الحوار

الحوار العدد ٨٣ السنة ٣١ ٢٠٢٤م

منطقة سري كانيه/رأس العين في ظل احتلال تركيا

الـحـوار

مجلة ثقافية فصلية حرّة تهتم بالشؤون الكردية

وتهدف إلى تنشيط الحوار الكردي - العربي

تصدر في: سوريا ـ قامشلي

منذ عام ١٩٩٣م

رئيس التحرير

د. آزاد أحمد علي

العنوان: قامشلي- شارع الجسرين.

للمراسلة:

رئيس التحرير: azad48412@gmail.com

أسرة التحرير: kurdox88@gmail.com

أسرة التحرير:

- **د. آزاد أحمد علي**
- **نواف بشار عبد الله**
- **سلمان بارودو**
- **محمد دلي**
- **د. بدرخان علي**

* الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها.

* أفضلية النشر للدراسات والمقالات الجديدة والموثقة علمياً.

* تحبذ المجلة عند إرسال المساهمات مراعاة ما يلي:

- أن تكون المادة جديدة، منقحة ومنضدة ولم تنشر من قبل.

- الإشارات المرجعية الموثقة تثبت بالترتيب:

اسم المؤلف - عنوان الكتاب - مكان الطباعة وتاريخها- رقم الصفحة.

- تثبيت الإشارة إلى الروابط الالكترونية في الهوامش بوضوح.

حقوق الطبع والاقتباس محفوظة للمجلة

- صورة الغلاف الأول: منظر عام لمدينة سري كانييه / رأس العين.

- صورة الغلاف الثاني: لوحة للفنانة ميديا سليمان امراني، رأس العين ٢٠ كم.

محاور واهتمامات مجلة «الحوار» للأعداد القادمة

القرّاء والكتّاب الأعزاء...

أسرة تحرير مجلة «الحوار» تقترح عليكم المساهمة في ملفاتها للأعداد القادمة، والتي تتوزع على الشكل التالي:

- موجبات الحوار الكردي- العربي والحوار السوري – السوري، ضروراته الاجتماعية والسياسية.

- مستقبل سورية السياسي في ظل المتغيرات الراهنة.

- تاريخ القرى الكردية وجوانب من حياتها الاجتماعية.

- دراسات في الأدب واللغة الكردية.

- دراسات ومواضيع حول: الآثار، التاريخ الكردي، الفلكلور.

- الهجرة بأشكالها (الأسباب ... النتائج ... الحلول).

- قراءات في الكتب والمطبوعات، الوثائق والخرائط.

يمكنكم اختيار أي جانب من المحاور المذكورة أعلاه، ونرحب في الوقت نفسه بجميع الدراسات والمساهمات الواردة إلينا بخصوص المواضيع المحددة في سياق المحاور المقترحة أو خارجها.

كما نرحب بأية ملاحظة أو نقد يرد إلينا بخصوص مجمل تجربتنا السابقة، أو أي مادة نشرت فيها.

وذلك بهدف الارتقاء بالحالة الثقافية والفكرية الكردية نحو أفق أكثر ديمقراطية وتنويراً، ونتعهد بتأمين المناخ الديمقراطي الذي يوفر حرية عرض وجهات النظر كافة، والرأي المختلف، لجميع أصدقائنا وقرائنا في الوسطين العربي والكردي على حد سواء.

وذلك لنشر ثقافة عقلانية مستنيرة ووعي متقدم يحيط بحقيقة مشكلات واقعنا بكامل أبعاده.

وبهذه المناسبة ننوه إلى أن مجلتنا متوفرة على شبكة النت عبر:

موقع نوروز: **www.yek-dem.net**

وصفحة الحوار: **https://www.facebook.com/alhiwarmagazine /**

الافتتاحية

مِن ينابيعِ السلامِ إلى جريمةِ «نبعِ السلام»

يتوصّلُ الدارسُ لتاريخِ منطقتِنا عموماً، ومنطقةِ سري كانييه/رأس العينِ بشكلٍ خاصّ، إلى نتيجةٍ واضحةٍ تتلخّصُ في أنّ المدنَ والأريافَ المزدهرةَ فيها قد نشأتْ كثمرةٍ للتعايشِ والتسامحِ وحُسنِ إدارةِ التنوعِ المجتمعيّ، في حين أنّ انكماشَ العمرانِ واندثارَ الأريافِ، فضلاً عن خرابِ المدنِ، كان وما زالَ نتيجةً لسيادةِ خطابِ الكراهيةِ وممارسةِ سياساتِ العنفِ والإقصاءِ.

لقد تراكمَ على أرضِ شمالِ منطقةِ الخابورِ والبليخِ إرثُ حقبٍ زمنيةٍ موغلةٍ في القدم؛ فمنذ العصورِ الحجريةِ بدأت تتّضحُ فيها ملامحُ الحياةِ الاجتماعيةِ، وازدانتْ بالتجمعاتِ السكنيةِ الأولى فالقرى والمدن، ولعلَّ من أهمّ المواقعِ والأماكنِ التي وُلدتْ فيها المدنُ المزدهرةُ وعواصمُ الممالكِ القديمةِ هي جغرافيةُ مدينةِ رأسِ العينِ الحاليةِ. فمن عاصمةٍ للمملكةِ الحوريةِ - الميتانية (واشوكاني) في أواسطِ الألفِ الثانية ق.م، إلى جوزانا عاصمةٍ للمملكةِ الآراميةِ التي قامت على أنقاضِ سابقتها في أواخرِ الألفِ الثانية ق.م، إلى مدينةٍ مزدهرةٍ أوائلَ العهدِ الإسلاميّ.

توفّرتْ في تلك البيئةِ الطبيعيةِ - المكانِ والبيئةِ الاجتماعيةِ - أهمُّ شروطِ تطوّرِ الحياةِ المادية، وهو وفرةُ المياهِ العذبةِ الغزيرة. لقد تضافرَ شرطُ وفرةِ المياهِ والأرضِ الخصبةِ مع أهمّ شرطٍ لنموّ الحياةِ الاجتماعيةِ، وهو روحُ التعاونِ والتسامح، فازدهرتْ الحياةُ الاقتصاديةُ وتنامتِ الحياةُ الثقافيةُ والروحية، ما أدّى إلى توطينِ الديانةِ المسيحيةِ فيها لأمدٍ طويل.

خصَّصْنا هذا العددَ من مجلَّةِ «الحوار» لتسليطِ الضوْءِ على مأساةِ احتلالِ منطقةِ رأسِ العينِ من قِبَلِ جيشِ الدولةِ التُّركيَّةِ وأتباعِهم من مُسَلَّحين يحملون الجنسيَّةَ السُّوريَّةَ، تُطلِقُ عليهم تُركيا وقطر وحُلَفاؤُهما تسميةَ «الجيشِ الوطنيِّ السُّوريِّ»، للتذكيرِ بالكارثةِ من جهةٍ، وللكشفِ عن تناقضِ فعلِ الاحتلالِ مع خاصّيَّةِ سِلْمِيَّةِ مجتمعاتِ المنطقةِ من جهةٍ أُخرى؛ وفي المُحَصِّلةِ، للكشفِ عن جانبٍ من الفعلِ السياسيِّ والعسكريِّ المُشينِ للدولةِ التُّركيَّةِ وأزلامِها، الذين أعادوا المنطقةَ إلى زمنِ الحروبِ والصراعاتِ القَبَليَّةِ وتجريفِ المجتمعاتِ الآمِنةِ الرَّاسِخةِ، خاصَّةً بعد احتلالِهم العسكريِّ للمنطقةِ في تشرينَ الأوَّل/ أكتوبر سنةَ ٢٠١٩، تحتَ تسميةٍ مُفارِقةٍ هي عمليةُ «نبعِ السَّلام»، المُناقِضةِ تماماً للواقعِ على الأرضِ وأهدافِ الاحتلالِ التُّركيِّ، وبذرائعَ واهيةٍ، منها حمايةُ الأمنِ القوميِّ لتركيا من تهديداتٍ مزعومةٍ وغير موجودةٍ على أرضِ الواقعِ، حيثُ لم يكن هناك أيُّ تهديداتٍ لتركيا أو اعتداءٌ على الأراضي التُّركيَّةِ من الجانبِ السُّوريِّ، والعكسُ كان صحيحاً منذُ بدءِ الأزمةِ السُّوريَّةِ إلى اليوم، إذ كانت الأراضي التُّركيَّةُ مُنطَلَقاً ومعسكراً كبيراً للتدريبِ والتوجيهِ تحتَ يافطاتٍ شتَّى، مروراً بسياسةِ البابِ المفتوحِ مع جهاديّين مُتطرّفين من شتَّى بقاعِ العالمِ للتجمُّعِ في سوريا، والتواطؤِ مع «الدولةِ الإسلاميَّةِ- داعش» وجِيرةٍ طيّبةٍ للغايةِ معها لسنواتٍ، وصولاً إلى الاحتلالِ العسكريِّ المباشرِ لأراضٍ واسعةٍ في الشمالِ السُّوريِّ.وفيما خصّ منطقة سري كانيه/ رأس العين، فقد عانَت مُبكّراً من اجتياحِ جماعاتٍ مُسَلَّحةٍ انطلقت من داخل الأراضي التركية في نوفمبر (تشرينَ الثَّاني) العامِ ٢٠١٢، و تمَّ توجيهُها تُركيّاً بإزالةِ الأسلاكِ الحدوديَّةِ الشَّائكةِ وفتحِ البوَّابةِ الحدوديَّةِ بإشرافٍ مباشرٍ من الجيشِ والمسؤولين الأتراكِ، لخلقِ فَوْضى وافتعالِ أزماتٍ والهجومِ ضدَّ المنطقةِ والسِّلمِ الأهليِّ فيها، ودونَ رغبةِ أهلِها وحراكِها السِّلميِّ.

يتضمّن العددُ دراساتٍ تاريخيةً للتذكيرِ بماضي المنطقة، وكذلك مقالاتٍ وتقاريرَ وشهاداتٍ تسلّطُ الأضواءَ على جوانبَ من الانتهاكاتِ الخطيرةِ لحقوقِ الإنسان التي تُرتكبُ إثرَ العدوانِ والاحتلالِ المستمرَّيْن منذ خمسةِ

أعوام، والتي شَمَلَتِ استيلاءً واسعاً على أراضي الأهالي - والكردِ منهم خصوصاً - وممتلكاتِهم وتهجيرَهم قسراً وتغييرَ ملامحِ المدينةِ بالتتريكِ وربطَها إدارياً بولايةِ «شانلي أورفا» التركيّة، وتمكينَ الجماعاتِ المتطرّفةِ العاملةِ بإمرةِ الاحتلالِ على حسابِ أهالي المنطقة، في استراتيجيةٍ هادفةٍ وبعيدةِ المدى نابعةٍ من السياساتِ التوسعيةِ العدوانيةِ للدولةِ التركية إزاءَ الكرد وسوريا على حدٍّ سواء. يكفي القولُ إنه لم يبقَ في منطقةِ «نبعِ السلام» التركيةِ المزعومةِ سوى أقلَّ من خمسينَ شخصاً كردياً معروفينَ بالاسم من مجموعِ عشراتِ الآلافِ من سكّانِها الكرد، مسلمين وإيزيديّين، قبلَ الاحتلال، كما أُخليتْ عشراتُ القرى تماماً، وفرَّ منها السريانُ والأرمنُ وكذلك قسمٌ غيرُ قليلٍ من السكانِ العرب، أما منطقةُ «تل أبيض» المشمولةُ هي الأخرى بشرورِ «نبعِ السلام»، فباتتْ خاليةً من سكّانِها الكرد.

إنها فلسفةُ وعقيدةُ «نبعِ السلام» التركية، وقبلها « غصنُ الزيتون»، التي أفصح عنها الرئيسُ التركيُّ، رجب طيب أردوغان، علانيةً عشيّةَ الغزو، حيث عرض خريطةَ المناطقِ «الآمنة» المزعومة على منبر الأمم المتحدة بتاريخ ٢٠١٩/٩/٢٤، لتشملَ كاملَ الشريطِ الحدوديّ وبعمقٍ يزيدُ عن ٣٠ كيلومتراً داخلَ الأراضي السورية. ويعني هذا، فعليّاً، احتلالاً عسكريّاً لأراضي دولة جارة، وتهجيراً للأكرادِ من سائرِ مناطقهم في سوريا، وتفكيكَ المجتمعاتِ الكرديةِ في شمالِ سوريا بالكامل، والاستحواذَ على مساحاتٍ شاسعةٍ من الأراضي السورية، وإعادةَ رسمِ الحدودِ التركية – السورية، بالقوةِ العسكريّة.

نحنُ إذًا أمامَ سياسةِ استئصالٍ وتطهيرٍ عِرقيّ، وإعادةِ تشكيلٍ للمجتمعِ وفقَ هندسةٍ اجتماعيةٍ - سكانيةٍ جديدة، وجريمةٍ ضدَّ الإنسانية، لا تقبلُ أيَّ تأويلٍ آخرَ أو تبرير. وهي ليست نتيجةً ثانويةً للمعاركِ العسكريةِ وحسب، بل تجسيدٌ واقعيٌّ لسياساتٍ تركيةٍ مُمَنْهَجة.

تُعَدُّ الموادُّ المدرجة في هذا العدد شهاداتٍ على تأكيدِ صحةِ المسارِ السلميّ الذي اتبعته مجتمعاتُ المنطقةِ المنتجةُ والمحبّةُ للتعاونِ والتضامن،

وهي في الوقتِ نفسهِ تنديدٌ ورفضٌ للمسارِ العدوانيّ لقوى الاحتلالِ التركيّ الساعيةِ لضربِ تنوعِ وخصوصيةِ مجتمعاتِنا المسالمةِ الراسخة.

وعلى الرغم من سطوةِ وظلاميّةِ قوى الاحتلالِ ، ستظلُّ المنطقةُ بأرضِها ومجتمعاتِها واحدةً من أهمِّ تجاربِ الازدهارِ والاستقرارِ والتعايشِ السلميّ في سوريا الحديثة. ويبدو أن الاحتلالَ وأدواتَه من المُعتاشين على السلاحِ والنهبِ والغزو جاءَ لضربِ هذه التجربةِ وطيّ صفحتها المشرقةِ في تاريخِنا، وإمحاءِ هذه التجربةِ الرائدةِ من ذاكرةِ الأجيال. ولكن الفشلَ المحتومَ سيكونُ مصيرَ الاحتلالِ وأعوانِه وسياساتِهم.

أسرة الَّتحْرِيرِ

منطقة سري كانيه/رأس العين في ظل احتلال تركيا

أولاً:

جوانب تاريخية واجتماعية

١- رأس العين – Serê kaniyê ... توأمُ الحضارةِ والتاريخِ
٢- مسيحيّو بيث نهرين في عهد الإتحاد الملي
٣-لمحة عن تاريخ سري كانيه Serê kaniyê / رأس العين
٤- ملحمة درويشي عفدي (الجغرافيا، المكان، الفضاء)
٥- لمحة عن التاريخ الحديث لمدينة سري كانيه/ رأس العين عروسة الجزيرة
٦- رأس العين في بعض وثائق الأرشيف العثماني (ملحق وثائقي)

رأس العين – Serê kaniyê
توأمُ الحضارةِ والتاريخِ

محمد جزّاع- كاتب وباحث

خيرُ ما نقدمُ به بحثنا ببيتينِ من الشعر وصفَ بها الشاعرُ العباسي أبو المحاسن الشواء جمالَ مدينة رأس العين طبيعة وبشراً، لوحة فنية أبدعها الخالقُ بقدرته وصاغَها الشواءُ بإبداعه.

فديتُ بنفسي رأس عينٍ ومَن فيها وبيضِ السواقي حول زُرقِ سواقيها

إذا راقني منها جواري عيونها أراقَ دمي منها عيونُ جواريها

رأس العين– أو بالكردية Serê kaniyê - تعتبر أهمّ وأقدم مدينة تاريخياً في محافظة الحسكة، تقع شمال غربي مدينة الحسكة على بعد ٨٥ كم، وغرب مدينة القامشلي ١٢٠ كم على الحدود الدولية السورية - التركية.

أقدم استيطان بشري في رأس العين يعود الى نهاية الألف الثامن ق. م وبداية الألف السابع قبل الميلاد في الفترة التي تسمى بعلم الأثار بالعصر الحجري الحديث، أي أن عمر المدينة ينوف على ٩ تسعة ألاف سنة.

أما الاستيطانُ المهم، والذي جذب اهتمام الأركيولوجيين، يبدأ بالعصر الحَلَفي الذهبي والذي استمد اسمه من موقع تل حَلَف الشهير. جدَّ المنقبون بحفرياتهم في تل حلف حتى وصلوا السوية العذراء في قاعدة التل وكشفوا النقاب عن ثقافة تعود الى ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد، أطلق عليها لاحقا ثقافة (حلف) نسبة الى تل حلف.

في حوالي سنة ٣٥٠٠ ق.م ظهرت آثار شعب «مسالم» أعطي للمنطقة ثقافته وأظهر تقدماً حضارياً. وهذا ما أباحه اكتشاف فُرضة نهريّة خلف التل (ميناء صغير) ينقل من خلاله البضائع والحاجات على القوارب عبر نهر الخابور فعبر الفرات، فإلى جنوب العراق، حيث كانت الحضارة السومرية... وهكذا تزامنت ظهور حضارة شعب سوبارتو في الشمال مع حضارة سومر في الجنوب، ووجود هذا الميناء واكتشاف أدوات نقل زيت الزيتون يوحي بأن المنطقة كانت مزورعة بأشجار الزيتون وغيرها من الزراعات والصناعات ... ثم تختفي ليظهر استيطان آخر أكثر تقدماً في الألف الثاني قبل الميلاد عام ١٥٠٠ ق.م والتي تجسدت في المملكة (الميتانية) الحورية والتي اتفق الآثاريون على أن عاصمتها (واشوكاني) تقع في موقع رأس العين الحالي على نهر الخابور، إلا أن ذلك لم يثبت عملياً من خلال التنقيبات، وهذا ما ذهب اليه الدكتور أنطون مورتغات الباحث الألماني الذي قاد حملة التنقيب في تل الفخيرية الواقعة على الينابيع في رأس العين قرب المقصف البلدي عام ١٩٥٥م. ويبدو أن ذلك أصبح هماً للأثاريين، ففي زيارة لنجل الدكتور مورتغات الى رأس العين في التسعينات من القرن العشرين، نزل ضيفاً على المثقف الياس صبري، حيث صرح بأننا نكتشف واشوكاني عملياً ومادياً، ولكن مازال هناك أكثر من أحدى عشر موقعاً ينتظر الحفر و التنقيب، رغم ذلك ظن العالمان أن رأس العين هي واشوكاني، فما شاهدوه على النقوش الاشورية التي تذكر

أن مدينة واشوكاني تقع عند منابع الخابور.

في عام ١٣٠٠ تأتي المرحلة الآرامية بعد سيطرة الآشوريين على المنطقة، وسميت المدينة بأسماء (غوزن) و (غوزانا) ويأتي الاستيطان الأهم مع بداية الألف الأول ق.م حيث ظهرت قبيلة بيت بخياني الآرامية، وتمددت، وأقامت مملكة قوية في تل حلف. ومن خلال دراسة التمثال الذي اكتشف (قرب كراج بلدية رأس العين القريب من قبور المسيحيين عام ١٩٧٩) يعود للملك الآرامي هدد ويقول بأن اسم المدينة (غوزن). في النهاية أصبحت المدينة مطمعاً للكيانات الإمبراطورية فتعرضت لتوسع فارسي، وبعدها وقعت تحت سلطة الرومان وأصبحت قرية رومانية صغيرة في القرن الثاني بعد الميلاد، وكان سكان المنطقة يدعونها (ريساينا)، ثم رفعت مرتبتها سنة ٣٨٠م الى مرتبة المدينة وأصبحت تعرف باسم) ثيودوسيوس بوليس).

وفي الفترة ما بين القرن الخامس والثامن الميلادي، لمع في الأوساط السريانية اسم المدينة ب (رش عينا – رش عينو) وأنجبت رأس العين (رش عينو) في العصر الوسيط في الثقافة السريانية كبير أطباء المدينة ورئيس فلاسفتها (سرجيوس الرأس العيني).

رأس العين والفتح الإسلامي

عام ١٧ هـ توجه جيش الإسلام بقيادة عياض بن غنم الى بلاد ما بين النهرين واستطاع فتح الجزيرة بكاملها بسرعة فائقة الرقة، الرها (اورفه)، وديار بكر وغيرها، إلا أن مدينة رأس العين استعصت على الفتح بضراوة مقاومة أهلها في الدفاع عن حصونهم، بل يقال أن القائد الإسلامي الشهير خالد بن الوليد قد وقع في الاسر، وبقي لمدة عام في الاسر حسب بعض المصادر الإسلامية، الى حين تحقق فتح المدينة (رأس العين) في العام التالي، عام ١٨ هـ بعملية خداع عسكريه أشبهُ بعملية حصان طروادة، بقيت المدينة محافظة على أهميتها وفاعليتها كمركز تجاري ومحطة للقوافل التجارية في العصر العباسي، وكانت رأس العين مصيفاً للخليفة العباسي (المتوكل). وهكذا حافظت رأس العين على وضعها، تنتقل من

حكم سلالة إلى أخرى، من العباسيين الى الحمدانيين فالأيوبيين، وأصابتها المصائب من خلال الحروب الصليبية، حيث تم احتلالها من قِبلهم، ثم كان تحريرها، لكن البلاء الأكبر الذي نزل بالمدينة هو الريح الأصفر القادم من الشرق عندما غزاها المغولُ والتتار خلال القرن الثاني عشر للميلاد، حيث كانوا يدمرون ما يصادف طريقهم من حجر وشجر وبشر، يتركون وراءهم الخراب واليباب إلا من استطاع الفرار الى الجبال، أما السهل فكان نصيبه السحق والفناء.

وهكذا انتهت مدينة رأس العين السهلية من الوجود، وخلال الحقبة العثمانية لم تكترث السلطة للاستيطان والتنمية حتى منتصف القرن التاسع عشر في عهد السلطان عبد الحميد، حيث بدأ التخطيط العمراني والاستيطاني، وقد كانت المنطقة من مدينة ويرانشهر حتى رأس العين والى جبل عبد العزيز تعتبر مراعي لقبائل الاتحاد الملي تحت نفوذ إبراهيم باشا الملي وأجداده، الذين أوكل إليهم قضية الإعمار والاستيطان. ويؤثر من عاصر تلك المرحلة أنه تم الإسكان في رأس العين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين: ثكنة عسكرية، وقائمقام وبضع بيوتات للمكوّن الشيشاني لا غير.

الصدفة أحياناً تغير مجرى التاريخ

في تلك المرحلة وتحديداً عام ١٨٩٩ م صادف قدوم العالم الألماني البارون ماكس فون أوبنهايم المنطقة وحطّ رحاله في منطقةٍ بين نهري الخابور وبليخ، وكانت حينذاك ضمن منطقة نفوذ قبائل الملية والتي يقودها إبراهيم باشا الملي صاحب النفوذ الأوسع والمسعى الأفضل لدى السلطات، وكان يحكم المنطقة من عاصمته ويرانشهر التي تقع ضمن أراضي الدولة التركية اليوم، وتبعد عن رأس العين شمالاً حوالي ٦٠ كم، كما تقع وسط الطريق بين ماردين واورفه.

نزل أوبنهايم ضيفاً عزيزاً ومكرماً على إبراهيم باشا الملي، وهناك سمع حكاية يتناقلها المجلس، أنه في رأس العين توفي شخصٌ، وعندما أرادوا دفنه في تل حلف، ظهر أثناء الحفر تماثيل غريبة، فخافت النساء

أن تكون هذه التماثيل متلبسة أرواحاً شيطانية شريرة، فأعادوها الى الحفرة بسرعة وطمروها ونقلوا ميتهم الى مكان أخر.

فقط أوبنهايم عرف دلالة هذه التماثيل ورمزيتها، فتوجهَ الى رأس العين بالرغم من المخاطر.. وفي راس العين وفي منزل المختار الشيشاني وبعد مداولاتٍ تخللتْها بعضُ المشاكل، اعترفوا له بالقصة وانتقل الى موقع تل حلف، ورأى بعينه اللُّقى وتأكد بأن التل غنيٌ بما يبحث عنه. إلا أنه كرجلٍ أجنبي وربما كان له مهام أخرى، لم يشأ العمل بدون قانون فلابد من أخذ الأذن من السلطات التركية المختصة بذلك، فعاد إلى وطنه ألمانيا (لسنا بصدد الدخول في تفاصيل الحدث) حتى عاد من جديد عام، ١٩١١ أي بعد أثنا عشر سنة وهو يحمل الترخيص الرسمي بالتنقيب، وظل يعمل في التنقيب حتى عام ١٩١٣ عند ذلك توقف عن العمل عائداً إلى بلده، ليعود في وقت آخر، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى في أعوام ١٩١٤ -١٩١٨ حال دون عودته حتى ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى الى عام ١٩٢٧ إذ عاد اوبنهايم من جديد وقد تغيرت الخارطة السياسية للمنطقة، حيث أصبحت رأس العين وموقع تل حلف التابع لها من تبعية الدولة السورية المعاصرة، و بدأ بحملة التنقيب في هذا العام، و تقاسم الاثار المستخرجة مع الحكومة السورية وكان حصته ١٤ عربة قطار شحنها من حلب الى برلين، وهناك ودَع تلك الآثار ورتبها في متحفٍ خاص سماه متحف تل حلف الذي تعرض للقصف الجوي من قبل دول الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية لكنه استطاع بعد الحرب أن ينقذ ما يمكن إنقاذه وبنى المتحف من جديد.

لم نقل رأس العين توأم الحضارة عبثاً، فبعد حملات الباحث ماكس فون اوبنهايم تفتحت العيون على المدينة وقاموا باستطلاعات ميدانية، ليقفوا على حقيقة وجود المواقع الأثرية، فخلا تل حلف، وقف أمامهم تل فخيرية جنوب مدينة رأس العين لمسافة (٢٠٠- ٣٠٠) متر - في جوار المقصف البلدي حالياً- وقف التل شامخاً بما يحتضن من حضاراتٍ وثقافات بشرية تعاقبت على هذه المدينة. فكانت حملة الباحث الألماني الدكتور أنطون

مورتغات سنة ١٩٥٥ بدأ العمل من الجهة الشمالية للتل.

هذا إضافة الى الموقع الثالث والذي قد يضم المدينة القديمة بأسوارها، تقع هذه المنطقة غربي تل الفخيرية مباشرة وجنوب المدينة، حالياً قرب دار الحكومة والمركز الثقافي أو ما يسمى أرض الأوقاف ومقابر المسلمين والمسيحين ليمتد شمالاً ويشملَ كامل المدينة القديمة أي (قبل سبعينات القرن الماضي وحتى منطقة الخرابات حتى خط قطار الشرق السريع، ثم من الجهة الشمالية الغربية يتجاوز خط الحديد ليشمل جزءاً من مدينة رأس العين التي ظلت شمال الحدود الدولية التركية - السورية (جيلان بينار – عين الغزال) وهضبة ملّان (kepezê Millan).

بداية القرن الواحد والعشرين وفدت الى رأس العين بعثات ألمانية لاستكمال ما بدأه أوبنهايم في موقع تل حلف وموقع تل الفخيرية، يمكن أن نستخلص العديد من الأسماء لمدينة راس العين حسب العهود التي مرت فيها:

١- واشو كاني في العهد الميتاني.

٢- (غوزن – جوزن) في العهد الاشوري.

٣- كابارا في العهد الآرامي نسبة للملك الآرامي (كابارا – قاويانو)

٤- و(راسينا - وثيود ديوسيلوس) في العهد الروماني.

٥- رش عينو في اللغة السريانية.

٦- (قطف الزهور، عين ورده، رأس العين) في العهد العربي.

٧- بالكردي (serêkaniyê).

أما بالنسبة للعيون والتي هي في حقيقة الأمر كانت تغذي نهر الخابور والرافد القادم من تركيا ربما نسبة مياهه أقل من عين الكبريت.

على أي حال كان يحلو لأهل رأس العين منذ القدم أن يذكروا أن عدد الينابيع هو بين ٣٦٠-٣٦٥ حسب أيام السنة ... كانت مياهها صافية كعين

الديك كما يقال، ومن أبرز هذه الينابيع من جهة الجنوب وبموازاة طريق الحسكة، أهم العيون هي:

١- عين الجاموس.

٢- عين بانوس: لها من العمق الكثير فقلما وصل أحد الى قاعها رغم صفاء الماء ويحس الناظر أنه يستطيع ان يلامس الأرضية.

٣- عين فوارة، عين المسبح الفرنسي، ومئات العيون الصغيرة المنبجسة من تحت الأرض.

٤- وفي جنوب المدينة كان عين الحصان أشبهُ ببحيرةٍ تجري مياهها من تحت الأرض الى الخابور، ولجمال العين، كانت احتفالات عيد نوروز تقام على حوافه.

٥- عين الزرقا هي كانت تغذي مشاريع أصفر ونجار.

٦- عين الكبريت الذي تفجر في وضح النهار عام ١٩٦٢ والعمال يشتغلون في القطن وفتح اخدوداً باتجاه نهر الخابور عمقه تجاوز ١٤٠ متراً.

لكن مع شديد الأسف كل هذه الينابيع جفّت، ولم يعد لها أثر سوى حباتِ رمالٍ تذروها الرياح وذلك بسبب الاستثمار الجائر.

رأس العين في العهد الوطني

أشرنا سابقاً الى ما كانت عليه مدينة رأس العين التاريخية خلال زيارة الباحث الأركيولوجي البارون فون اوبنهايم الألماني، فالمدينة عبارة عن أطلال لم تمتد اليها يدُ العمران منذ غزو المغول والتتار، واستمر الوضع هكذا حتى نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وفي عام ١٩١٥ صدرت الفرمانات العثمانية التي تقضي بإبادة الشعب الأرمني، وينسحب الفرمان ليشمل كل المسيحيين سواء أكانوا أرمناً أو سريانياً أشوريين وكلدان، فحصلت اعتداءات همجية من مذابحٍ وتهجيرٍ وقتلٍ وتشريد واغتصاب، وعشرات الكتب والبيانات تتحدث بالتفصيلٍ عما عاناه مسيحيّو

الإمبراطورية العثمانية وبخاصة الأرمن والسريان والآشوريون من إبادةٍ للجنس البشري بشكل منظم ومخطط لها قبل بدء الحرب.

وهنا لا يفوتنا أن نؤكد مسؤولية الدول الغربية أيضاً في ذلك خاصة ألمانيا، بريطانيا وفرنسا، أمريكا والروس.

أمام هذه الكارثة تحرك هؤلاء المساكين الضعفاء على شكل قوافل من أورفه ومنطقة ويرانشهر باتجاه مدينة رأس العين التاريخية.

ولمّا كان المسيحيّون بشكلٍ عام متقدمون على جيرانهم الكرد والعرب ثقافة وحضارة، فهم أولُ من قاموا بالتخطيط لبناء المدينة المعاصرة، لذلك اختاروا منتصف المدينة حيث الشارع العام، السوق الرئيسية، وشارع الكنائس حيث كنيسة السريان الأرثوذكس، وكنيسة الأرمن الارثوذوكس وكنيسة السريان الكاثوليك، وملحق بكل كنيسة مدرسة خاصة يدرسُ فيها كلُ أبناء البلد. أما الشيشان فقد اتخذوا من الحي جنوبي شارع السوق عام، وكان هناك في البداية قلّة من الكرد استقروا في الطرف الشرقي من المدينة، والعرب في الطرف الغربي من المدينة.

مع تطور أحداث الحرب العالمية الولى واستقرار الناس، توجه المسيحيون على الأغلب الى الأعمال الزراعية والتجارية ... وظهرت فيها مشاريع زراعية حديثة خلال سنوات الأربعينات، خاصة مشروع أصفر ونجار وغيره، مما كان سبباً في جذب اليد العاملة من كافة محافظات سوريا ... ولذا يمكننا تسميها بسوريا الصغرى. شيئاً فشيئاً توسع التعليم، فكثرت المدارس، وتطورت النشاطات الثقافية خاصة بعد سنوات الثمانينات والتسعينات. بعد الثورة الزراعية، توسعت المدينة حتى وصل عدد سكانها الى (٨٠) ثمانون ألف نسمة من كافة فئات الشعب السوري، وما كان يميّز رأس العين عن غيرها من المدن رغم تعدد الفئات فيها، كان يسود بينهم الود والاحترام، بينهم التزاور بالمناسبات والتدخل الفوري من أجل حل المشاكل المستعصية.

إلا أن ما أصاب المدينة من كارثة مما أقدمت عليه دولة تركيا الكبيرة

في الحلف الأطلسي، وفصائل مرتزقة ليس لهم هم سوى الغزو وهدفهم (نهب وسلب)، وترك السكانُ بيوتهم، وهذا الأمر ليس مقتصراً على فئةٍ معينة بل كلّ حسب نسبته.

فالكرد من أصل /٤٠/ ألف نسمة لم يبق منهم سوى (٤٥ شخصاً أو أقلّ). أما المسيحيون (خمسة أشخاص لا أكثر) هم رعاة الكنائس. أما الايزيديون لا وجود لهم الآن هاجروا جميعاً، المكون العربي الذي حاولوا أن يوجهوه ، خرجوا أيضاً حفاظاً على كرامتهم.

وهكذا في لحظاتٍ، انهارت كل الأحلام وتوجّهَ الجميع إلى المجهول، كلما ترى واحداً منهم، تراه مشرد الذهن والتفكير، تمر سيرة الحياة أمام عينه كشريط سينمائي يعرض لوحاتٍ سريالية.

إن الحدث الأصعب لم يكن التهجيرُ من الديار، إنما الأصعب عندما وجدوا أبناء شعبهم أنفسهم وحيدين يعانون الاغتراب، لم يكلف أحد من النشامى نفسه أن يطيبَ بخاطر رفيقه!

.

مسيحيّو بيث نهرين في عهد الإتحاد المللي

إعداد: أنطون قس جبرائيل
ستوكهولم – السويد ٢٠٢٣

الملخص:

لقرون عديدة عاش مسيحيو (بيث نهرين) بين مد وجزر يتناسبان مع المعيار الشخصي لحكامهم، فكانوا يتمتعون لسنوات بالعيش الآمن الذي سرعان ما ينقلب إلى الضد بتغيير الحاكم والياً كان أو خليفة أو سلطاناً.

ومن الفترات الزمنية التي عاشوا خلالها بسلام آمنين على حياتهم وأموالهم كانت الفترة التي عاشوها تحت حكم (الملية)، والتي امتدت لحوالي ثلاثة قرون شملت مناطق واسعة من بلاد النهرين، حيث نعموا

بأوقات السلم بوضع معيشي آمن ومستقر مع محافظتهم على دينهم ولغتهم ضمن مجتمع مركب الهوية يؤمن قادته بالمساواة وبالعيش المشترك.

يقدم هذا البحث دراسة تحليلية للملية وللعلاقة التي ربطت بين الملليين ومسيحيي (بيث نهرين)، ويقوم بمناقشة الدور الذي لعبه إبراهيم باشا المللي في الحفاظ على الوجود المسيحي في المنطقة وقتها، وكيف أثرت وفاته عام ١٩٠٨م على مصيرهم.

أولاً: المقدمة

عاش السريان منذ أقدم العصور فوق أرضهم التاريخية، ومنذ اعتناقهم المسيحية، تخلوّا عن الإهتمام بالقضايا السياسية، إلاَّ أن ذلك لم يجنبهم الإضطهاد على مر العصور، بداية من إضطهاد بعض القياصرة الرومان مروراً بالإضطهاد الأربعيني[١]، وصولاً إلى أحداث السيفو عام ١٩١٥م الكارثية التي كان أهم أسبابها إلتقاء مصالح بعض المتنفذين في السلطة العثمانية مع أطماع آغوات (بعض) العشائر الكردية، فقد تم إستغلال حالة الجهل والتخلف والتعصب الديني لدى تلك العشائر لتنفيذ مآربهم فكانوا (*السيف الذي قطع رقاب المسيحيين وكان الأتراك اليد التي حركت السيف*).

إن هول المجازر التي جرت يعرفه العالم بأجمعه، ولكن مالا يعرفه إلاَّ القلة من الباحثين هو وجود العديد من العشائر الكردية والعربية والأيزيدية التي عملت بقدر الإمكان لإنقاذ المسيحيين الفارين من المجازر وتضميد جراحهم ، وإنه من الواجب تسليط الضوء على المواقف الإنسانية لهؤلاء، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، مصطفى باشا زعيم عشائر الميران الكردية ، وآغوات عشيرة عباسا الكردية، والعديد من العلماء المسلمين الذين رفضوا إصدار الفتاوى بقتل المسيحيين كالشيخ فتح الله العين الكافي من قضاء مديات، والشيخ نوري السردحلي، ومفتي جزيرة ابن عمر أحمد

١ - أثاره شابور الثاني وامتد من عام ٣٣٩ – ٣٧٩م في بابل وأربيل ونينوى وغيرها.
المرجع: الملفونوعبدالمسيح نعمان قره باشي، الدم المسفوك. ص ٧٨.

حلمي[٢] وغيرهم.

فعلى سبيل المثال، ذكر القس داؤود رمو في معرض حديثه، عن مجريات الأحداث بتاريخ ٢٣ آب من عام ١٩١٥م مايلي:

« ثم أن هذا القس العريان الصائر نصف ميت، يثني على غيرة أولاد شمدين آغا في زاخو، وعصمان آغا في الجزيرة. ربنا يكافيهم عوضنا بكل سعادة ممكنة. ونذكر للتاريخ هؤلاء النشامى ، الذين رحموا المسيحيين في وقت الضيق وساعات الشدة ، فقد احتضنوا مع السيد حمو شرو اليزيدي السنجاري ، ولدوافع إنسانية نبيلة، اعداداً كبيرة من المسيحيين الفارين من مخالب الوحش العثماني.[٣] «

إضافة لأغلب العشائر العربية التي مدت يد العون لهم ونذكر هنا خاصةً الموقف النبيل للشريف حسين الذي

حث القبائل العربية للتعامل بالحسنى مع المسيحيين المنكوبين. حيث أن الدراسات التي تتعلق بمن يمكننا وصفهم بأصحاب الأيادي البيضاء قليلة جداً، لذا فإن هذا البحث يهدف لسد هذه الفجوة، وقد تم إختيار ويرانشهر (عاصمة) الإتحاد المللي لدراستها بإعتبارها أحد الأمكنة التي عاش فيها المسيحيون ومنهم السريان بأمان وطمأنينة ومساواة تحت قيادة الإتحاد المللي.

ثانياً: منهجية البحث

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث يصف الأوضاع السائدة في السلطنة العثمانية ومناطق الإتحاد المللي. ويقوم بتحليل المعلومات التي تم جمعها من المصادر التاريخية المختلفة في محاولة للوصول إلى تفسيرات عميقة لأوضاع المسيحيين في تلك الفترة، كما ويهدف إلى فهم

٢ - يوسف جبرائيل القس، د. الياس هداية، آزخ أحداث ورجال ص ٢٩.

٣ - الأب يوسف جزراوي، مقالته عن جزيرة ابن عمر في تركيا (جزيرة الشهادة والشهداء)، مواقع التواصل الاجتماعي ١١ يوليو ٢٠١١م ، المشاهدة ٢٠٢٣/٠٨/٢١م

أفضل للعلاقات والتفاعلات بين مكونات المجتمع. ويسعى البحث للإجابة على السؤال التالي:

- إلى أي مدى أثرت وفاة أمير أمراء الكرد إبراهيم باشا المللي عام ١٩٠٨م وانحسار الدور السياسي للإتحاد المللي على مصير مسيحيي بيث نهرين؟

للإجابة على سؤال البحث لابد لنا من توضيح الإطار التاريخي لتلك المرحلة ووصف الأوضاع التي كانت سائدة حينها.

ثالثاً: مدخل تاريخي

أ- أوضاع السلطنة العثمانية:

وصلت السلطنة العثمانية في القرن السابع عشر الميلادي إلى ذروة تفوقها العسكري والإقتصادي، وكانت تحكم مناطق شاسعة من شمال إفريقيا وجنوب شرق أوروبا والشرق الاوسط.

وبرغم إحتفاظها بقوتها في القرن الثامن عشر الميلادي، إلاَّ أنها خاضت حروباً مهمة أدت إلى تراجع نفوذها، وبحلول القرن التاسع عشر الميلادي كان التراجع واضحاً، وشهدت السلطنة العثمانية تدهوراً في الإدارة، وتحولات إجتماعية وإقتصادية وسياسية أدت إلى تراجع قوتها، وبدأت تخسر العديد من المناطق التي كانت تحت سيطرتها، وبدأت الحركات الوطنية في مختلف الأقاليم تنادي بالإستقلال عن السلطنة العثمانية.

وأدت هذه التحديات الكبيرة إلى إنهيار السلطة تدريجياً إلى حد إنهاء السلطنة العثمانية رسمياً بعام ١٩٢٢م, وتأسيس جمهورية تركيا في عام ١٩٢٣م بقيادة مصطفى كمال أتاتورك.

ب- أوضاع منطقة بيث نهرين:

تعرضت منطقة (بيث نهرين) للخراب نتيجة إجتياحها من قبل جحافل هولاكو في عام ١٢٢٨م، ثم جحافل تيمورلنك بين عامي ١٣٩٤ و١٤٠١م. وكان إقليم الجزيرة الفراتية، وهو الإقليم الذي قسمه الجغرافيون العرب

إلى (ديار بكر، ديار ربيعة، ديار مُضر)، أحد أبرز الأقاليم التي تعرضت للخراب بشكل شبه كامل، واقتصرت فيه المناطق شبه الحضرية على بقاع محددة جداً. وبقي هذا الإقليم على هذه الحالة من الخراب حتى عام ١٦٩٦م، عندما حاولت السلطنة العثمانية إعماره، بقصد تأمين مصادر دخل تعوض خسائرها الحربية، من خلال تطبيق برنامج الإعمار العثماني الأول الذي كان يهدف إلى توطين العشائر الرُّحل، ولكنه باء بالفشل. ولكن السلطنة أعادت الكرة بعد عدة عقود، وحاولت إعمار إقليم الجزيرة معتمدة على الإتحاد المللي المتجذر بالمنطقة منذ القديم. وكانت هذه المنطقة قد أصبحت (إضافةً للسريان والأرمن) موطناً للعديد من العشائر العربية والكردية والإيزيدية والتركمانية والقفقاسيون الشماليون (الشيشان) الذين وصلوها تباعاً بدايةً من عام ١٨٨٢م.

ولضرورات البحث سأتحدث بإختصار عن بعض القبائل التي كانت منافساً رئيسياً للملية.

ج- التعريف ببعض قبائل المنطقة:

١- قبيلة طيء: طيء الحاضرة هي في الغالب متحدرة من قبيلة طيء القحطانية القديمة. أما المستشرق الفرنسي مونتاني فيقول أنهم يمتون بصلة النسب لبعضهم فقط، وقد جاءت طيء الحاضرة إلى الجزيرة الفراتية من نجد في القرن الثامن عشر الميلادي، وفرضت سيطرتها على العشائر القديمة، ثم أزاحتها شمّر إلى منازلها الحالية حول نصيبين.[٤]

٢- **قبيلة شمّر**: هاجرت شمّر الجرباء من منطقة نجد، وأقامت في منطقة الجزيرة، ووصلت إلى جبل سنجار شتاء ١٨٠٢ / ١٨٠٣م. وقد أرغمت عشائر المنطقة على مغادرة مواطنها التقليدية. وفي سنة ١٨٢٣م توسع نفوذ شمّر واصطدمت مراراً مع قبيلة العنزة. إنَّ أقوى التحديات في الجزيرة لتفوق شمّر بصرف النظر عن العداء التاريخي مع عشيرة العنزة قد أتى من المللبين[٥].

٤ - أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام ص٦٣٦

٥ - الباحث الاميركي جون فريدريك وليامس، قبيلة شمر- مكانتها وتاريخها

٣- **قبيلة العنزة**: تنتمي إلى أقدم القبائل العربية العدنانية، موطنهم الأصلي أواسط نجد وشمالي الحجاز منهم آل سعود وآل الصُباح وآل خليفة، وقد وصلت العنزة إلى الفرات عام ١٧٠٥م وأبرز عشائرها: الحسنة، والفدعان، والولد علي، والسبعة، والعمارات، والرولة.

رابعاً: الإتحاد المللي

أ - تاريخه:

المعلومات المتوفرة حول (قبيلة ملاّن الكردية) نواة الإتحاد المللي قليلة جداً، وقد جاء بالموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية بأنه : «في سنة ستة وخمسين وخمسمائة - المعادلة لحوالي سنة ١١٦١م – وثب الأكراد المللية على قلعة شاتان وملكوها وانصرف عنها الأمير درباس الجوبي ...» [٦]. كما أن الأمير محمد المللي كان أمير سنجق الخابور، وقد ثار على العثمانيين عام ١٥٩٨م.[٧]

وموطن المللين الأصلي بلاد الرافدين منذ القديم، ولكنهم في القرن الحادي عشر الميلادي، رحلوا باتجاه منطقة (وان) لأن سلاطين السلاجقة كانوا يودونهم، ومنحوهم (إقطاعية) بتلك المنطقة، لكنهم تركوها وعادوا إلى موطنهم الأصلي في الجزيرة الفراتية.

ويقول محمد جمال باروت بأن العشيرة الكردية الرئيسية هي عشيرة ميلان التي تحولت في هذه الفترة الى الإتحاد المللي. وفي عام ١٧٠١م أسكنت الحكومة المللين في ديار بكر، ثم أسكنتهم منذ عام ١٧١١م في الرقة... وكان هذا الإتحاد مركب الهوية، وهذا ما تحمله الدلالة الفيلولوجية لإسم (المللية) التي تعني (هزار ملت أي ألف ملة).[٨]

السياسي ١٨٠٠-١٩٥٨م ص٥٣.

٦ - د سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج١١ ص ٢٧٦ . اصدار دمشق ١٩٩٥م

٧ - مصطفى اكداج، كفاح الشعب التركي من أجل السياسة والنظام باللغة التركية ص٤٦٧.

٨ - محمد جمال باروت، التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية

والمللية قسمان (ملية الخضر) وعددهم قليل ومساكنهم غرب وجنوب مدينة عامودا، ومللية (الباشات) ومساكنهم كانت ضمن منطقة واسعة تمتد من ديار بكر إلى ماردين والرقة وحلب والموصل، وهم موضوع هذا البحث.

وإبتداءً من القرن الثامن عشر الميلادي هيمنت المللية على شمال سوريا بالكامل [٩]. وحكمت ماردين وراثياً منذ عام ١٧٣٥م ، وكان امراءها يعرفون بلقب (سلطان البر).[١٠]

ب- بعض رجالاته:

١- تيمور باشا المللي

استلم زعامة الإتحاد المللي بعد إعدام والده محمود بك بسبب الثورة التي قام بها [١١]، وقد اشتهر بشجاعته وكرمه الشديدين وخضعت له العديد من القبائل الكردية والعربية في ولاية ديار بكر ووان وبادية الجزيرة وحلب [١٢]، وكان يدير الأمور من قلعته في ماردين قلعة (موك) [١٣]. وجهز جيشه تجهيزاً حسناً فاشتهر في مدة زمنية قليلة وهابه واليا حلب وديار بكر [١٤]. وبقي لسنوات طويلة يحكم المنطقة ، وسيطر على جميع المراكز الواقعة ضمن إيالات حلب وديابكر والرقة [١٥].

ص٥٥.

٩ - ستيفان وينتر، أكراد سوريا في الأرشيف العثماني خلال القرن ١٨م ص ٢٨٩.

١٠ - اوبنهايم، برونليش وكاسل ص ١١٠ (نقلًا عن باروت ص٥٧ مرجع سابق).

١١ - د. نضال محمود حاج درويش - أكراد سوريا في مرآة مصادر الأرشيف العثماني خلال القرن ١٨ للميلاد.

١٢ - عثمان علي - الحركة الكردية المعاصرة ص ١٨٩.

١٣ - محمد أمين زكي، مرجع سابق ص٢٣٤.

١٤ - السير بيركينغهام - بين النهرين ص٢٩٢ (نقلًا عن محمد أمين زكي مرجع سابق ص٢٣٣).

١٥ - عبد القادر عياش، حضارة وادي الفرات، مدن فراتية، دمشق ١٩٨٩

وقد جاء بتاريخ مدينة ماردين مايلي:

«فعند ذلك أرسل حسين السركجي إلى سلطان البر تيمور باشا الملي يتوقع عنده بأن يمنع عنه هذه العساكر ..... وكان تيمور باشا نافذ الكلم عند الوزراء وسائر الحكام؛ لكونه من أهل الشوكة والعظمة». [١٦]

وبسبب جبروته وخروجه عن سيطرة الأستانة، تم إعداد جيش جرار لم يستطيع الصمود أمامه، فسارع للتخلي عن (قلعة موك) في ماردين لأعدائه وتوجه نحو ولاية حلب، فقام الجيش العثماني بصب جام غضبه على العشائر الكردية وخاصة المللية، وأزاح حاكم ماردين من منصبه وقتل عدداً كبيراً من وجهاء المللية، وأصبحت ماردين بدون حماية يسود فيها القتل والسلب والنهب، وبقي تيمور باشا طليقاً في الخارج لمدة ثلاث سنوات. وفي عام ١٧٩٤م ذهب تيمور باشا إلى بغداد بناءً على دعوة رسمية من واليها بعد أن تم الصفح عنه، ليصبح بعدها والياً على الرقة عام ١٨٠٠م ولكثرة أعدائه لم يستطع القيام بأعباء هذا المنصب، فتم نقله إلى سيواس وأصبح والياً عليها عام ١٨٠٣م. وللعلم لم يكن يتقاضى الضريبة من الحجاج الذين كانوا يمرون بمنطقته[١٧]، كما نافس زعامة دياربكر الحضرية ، واصطدم بأهلها عدة مرات وقبل وفاته لجأ تيمور باشا إلى مقاطعة الخابور، وبدأ ببناء تحالف جديد من القبائل لمساعدته على استعادة منصبه، ولكنه توفي بعد ذلك بوقت قصير.

٢- أيوب بك بن تيمور باشا

دامت رئاسته حوالي أربعين عاماً أمضاها بإستقلالية ذاتية، وكان مشهوراً بجوده، وقال عنه الأب جوزيف وولف الذي زار مناطق المللية عام ١٨٢٣م ما يلي:

«لدى أيوب ثمانون ألف عائلة كردية وعربية تحت إمرته، إنه أقوى

ص ٣٢٤.

١٦ - د. حسين علي، تاريخ مدينة ماردين من الفتح الإسلامي حتى العصر العثماني، ص ١٧٤.

١٧ - د. عبد السلام رؤوف، رحلة طه الكردي الباليساني ص ٥٧.

شخص في البادية وكامل البلاد المحيطة به ترتجف خوفاً من إسمه، كما أن المسيحيين واليهود يثنون بشكل كبير على نزاهته وعدالته... « [١٨].

وقد وصفه الكثيرون، ومنهم السير باكنغهام الذي زاره عام ١٨١٦م وقال عنه: «إن أيوب رجل قوي للغاية، بكل ما تحمله الكلمة من معنى» [١٩].

لقد فرض أيوب بك سلطته على مناطق شاسعة جداً تمتد من بحيرة بنغول إلى سنجار، كما وصلت إلى مدينة حماة السورية عام ١٨١٨م [٢٠]. وكان حكمه للمنطقة المذكورة بشكل مستقل غير عابيء بأوامر السلطة الحكومية العثمانية.

ويقول ستيفان وينتر بأنه: «كان ... آخر حصن ضد أشرس هجمة لتحالف الغزو البدوي الوهابي بإتجاه الشمال» [٢١].

وقد تعاون أيوب بك مع جيش محمد علي باشا (المصري)، وقاتل معهم ضد القوات العثمانية [٢٢] . وكان دعم المللية للمصريين بارزاً في معركة حمص، إلاَّ أن هذا الوفاق لم يستمر، وبرغم تحويل أيوب بك ولاءه للعثمانيين، إلا أنهم عندما استعادوا السيطرة على الضفة الشرقية للفرات عام ١٨٣٤م، شنوا حملة شعواء على المللية، ولاحقوا وسجنوا زعماءها، واستولى أعدائهم القدامى على أراضيهم في الجزيرة الفراتية وخاصة قبيلة شمّر التي أصبحت سيدة الجزيرة[٢٣]، وبعد وفاة أيوب بك في سجن قلعة ديار بكر، إنتقلت رئاسة المللية إلى إبن أخيه تيماوي بك.

18 -Josef Wolff_Missionary to the jews vol2 - p 241

١٩ - السير باكنغهام، رحلات في بلاد ما بين النهرين، مرجع سابق.

٢٠ - ستيفان وينتر، ترجمة محمد شمدين، مجلة الحوار/ العدد ٧٤ لعام ٢٠٢٠م، مرجع سابق.

٢١ - ستيفان وينتر، مرجع سابق.

٢٢ - د. آزاد أحمد علي، الدور السياسي لعائلة إبراهيم باشا المللي في غرب كردستان وبلاد الشام، منشور في مجلة الحوار- العدد ٦٥، تشرين الأول ٢٠١٢ م.

٢٣ - ستيفان وينتر، مرجع سابق.

٣- تيماوي بك

كانت المدة التي قاد بها تيماوي بك الإتحاد المللي قصيرة ، إلاَّ أنها كانت مليئة بالأحداث التي عبّرت عن رغبته في مقاومة الهيمنة العثمانية الى حد التخلص من سلطتها فتابع التعاون مع المصريين وأفسح المجال لقواتهم للدخول الى بعض المناطق الكردية [٢٤]، وقدم لهم الطعام والمواشي والإمدادات اللوجستية، وسعى إلى تكريس العلاقة الدبلوماسية مع حكام مصر الذين ساعدوا المللية لاحقاً، وأدى توسطهم لدى السلطان العثماني الى العفو عن قياداتهم الذين كانوا معتقلين لدى السلطة العثمانية، وإعادة دورهم السياسي لهم من جديد [٢٥].

أما بالنسبة لنهايته فقد قُتل بإحدى المعارك مع العثمانيين حوالي عام ١٨٤٠م، ودفن في قرية الهيشري التابعة لماردين [٢٦]. ونظراً لفقدان المللية زعيمها، نزلت بها المصائب والويلات فقد أغارت عليها عشيرتا شمّر وطيء وإستولتا على الكثير من أراضيها.

٤- محمود بك المعروف معمو بك _

أصبح رئيساً للمللييين بعد انسحاب إبراهيم باشا المصري من بلاد الأناضول. وبعد أن تابع إعمار مدينة (ويرانشهر) جدد قلعتها وجمع جيشاً كبيراً من العشائر العربية والكردية، وساعده والي دمشق الذي وضع بعض القوات العسكرية بتصرفه، فأخذ يستعيد القرى والمناطق التي سيطرت عليها قبيلتا شّمر وطيء، وإثر نزاع بينه وبين والي ديار بكر قبض عليه الوالي وزجه في السجن لمدة طويلة، ثم عفى عنه السلطان العثماني عبد العزيز بشفاعة خديوي مصر نتيجة متابعة إبنه إبراهيم الحثيثة.

وبعد إطلاق سراحه توفي بعام ١٨٧٨م بسبب مرضه ودُفن بمقبرة

٢٤ - محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، طبعة لبنان ١٩٨٥م ص٢٢٢ /٢٢٣.

٢٥ - د. آزاد أحمد علي، بحث منشور على وسائل التواصل الاجتماعي بتاريخ ١٥ تموز ٢٠١٦م المشاهدة ٢٠٢٣/٠٨/٢٢.

٢٦ - المصدر عائلة الباشات.

الشيخ جاكير بحلب وخلفه إبنه إبراهيم.

٥- إبراهيم باشا المللي

ولد حوالي عام ١٨٤٥م وترعرع في ويرانشهر، وتزوج من خنسة باشا وهي كردية من عشيرة خلجان المللية من عائلة الداوود، كما تزوج من شمسة باشا وهي عربية من قبيلة (جيس) من بيت العثمان[٢٧]، وقد قابله الكثير من الرحالة والسفراء والقناصل الأجانب وكتبوا عنه ، ومنهم اوبنهايم الذي قال: «ينحدر إبراهيم باشا من سلالة قديمة من الأمراء البدو الذين غزوا ممالك وأسسوا سلالات ملكية...» [٢٨]، إلَّا أن وصف السير مارك سايكس له يبقى الأكثر تميزاً حيث قال:

«كان إبراهيم باشا شخصية عجيبة حقاً، فكان بلا شك قائداً طبيعياً للرجال يمتاز بقدرة عجيبة على ضبط النفس كما هي صفات أولئك الرجال الذين اختبروا الجوانب الأكثر قسوة وإضطراباً في الحياة « [٢٩].

ويتابع مارك سايكس القول: «... وأفصح الباشا خلال الحديث عن معرفة مدهشة ودقيقة بشؤون وأحداث أوروبا.... وكان الناس الذين يحيطون به ينتمون إلى شتى العناصر والمذاهب.... انخرط إبراهيم مع رؤساء أكراد آخرين في سلك قوات الحميدية، ورفعت رتبته إلى مير ميران وأعطي لقب الباشا بعد قيامه بزيارة إلى استنبول بعد هذا اخذت سياسته تأخذ طابعاً أكثر جرأة فبدأ يقاوم البدو ويشجع النصارى على النزوح إلى ضواحي ويرانشهر... وفي الوقت الذي كان رؤساء قبائل أخرى منهمكين في نهب وقتل الأرمن كان إبراهيم باشا يحمي المسيحيين من كل النحل والمذاهب. وقد قُدر أثناء المذابح التي ذهب الأرمن ضحيتها، بأن إبراهيم

---

٢٧ - المصدر عائلة الباشات.

٢٨ - ماكس فون اوبنهايم، قصة قصيرة بعنوان إبراهيم باشا أمير بدوي حياته ومماته، إرشيف اوبنهايم.

٢٩ - مارك سايكس، الآثار الكاملة للدكتور أحمد عثمان أبو بكر، جزء ١ إعداد الدكتور آزاد عبيد صالح ص ١٨١ مرجع سابق.

أنقذ عشرة آلاف أرمني من الهلاك «[٣٠].

وعن تميزه بالعدالة يقول عبد الكريم بهجت: «ولما انتشرت أخبار عدالته وصولته في مدائن رها (أورفة) وماردين وديار بكر صار أبناء المسيحيين والمسلمين يتقاطرون أفواجاً مع عيالهم إلى قضاء ويرانشهر مركز إبراهيم باشا المللي ويسكنون ويتاجرون فيها آمنين على أموالهم» [٣١]

ويقول باروت: «وأصبح القناصل الأجانب... يهتمون ببناء علاقة مباشرة به، ويدعونه إلى زيارتهم في حلب... وكان إبراهيم باشا، من جانبه ملاطفاً للأوروبيين بثبات، و حريصاً على كسب ثقة المسيحيين المحليين الذي اخذت أعداد متزايدة منهم في الإستقرار والتمتع بالحماية في عاصمته ويرانشهر» [٣٢].

وقد منحه السلطان العثماني لقب (أمير أمراء الكرد) ، ونتيجة إستفادته من فائض إنتاج القمح في ديار بكر في زمن الندرة العالمية والعثمانية وغيرها من الموارد [٣٣] أصبح ثاني أغنى رجل في الشرق بعد السلطان عبد الحميد الثاني.

وقد تحدث عنه إيف ترنون قائلاً: «... وقبيلة الملّي يرأسها إبراهيم باشا. وهذا الأخير هو اليوم الأقوى من جميع الرؤساء الأكراد في هذه المقاطعة. فقد كان غنياً جداً، ذكياً، داهية، وكان بخاصة محمياً من (الباب) ... كان يسود ناحية فيرانشيهير»[٣٤]

وقد ذكر الرحالة السويدي أليكس (Alexis) الذي زاره مدى عظمته ... ووصفه من لحظة دخوله إلى خيمته، وجلوسه فوق كرسي مغطى بجلد أسد ... وكان السجاد فوق الأرض مخصصاً لجلوس الضيوف، والمرشد

٣٠ - د. أحمد عثمان أبو بكر، أكراد المللي وإبراهيم باشا {أحاديث مارك سايكس}.
٣١ - المرجع السابق: د. أحمد عثمان أبو بكر ص١٨٥، مرجع سابق.
٣٢ - مرجع سابق، محمد جمال باروت ص٩٨، مرجع سابق.
٣٣ - محمد جمال باروت مرجع سابق ص٩٠.
٣٤ - إيف ترنون، ماردين دراسة تحليلية لإبادة عام ١٩١٥، ص .٨٣

كان أرمنياً ... ويذكر كيف يريد الباشا أن تتمتع المنطقة بالحرية والسلام ...[٣٥]

أما نهايته فكانت عام ١٩٠٨م عندما كلفه السلطان بحماية (الخط الحديدي الحجازي)، فوصل في ايلول من عام ١٩٠٨م الى دمشق مصطحباً معه فرسانه وزعماء عشيرة حرب العربية، ليستعين بهم على إقناع عشيرة حرب الحجازية لعدم تخريب خط السكة.

ولكن الفرصة لم تتسنى له بسبب تولي الإتحاديون السلطة في الأستانة، وإرغامهم السلطان عبد الحميد على إعادة العمل بالدستور، وقد نبهه أكراد دمشق وبعض القناصل الأجانب بنية الإتحاديين القضاء عليه، فعاد مع قواته إلى ويرانشهر والقوات العثمانية تتعقبه، ووقعت بينه وبين العثمانيين الذين آزرتهم عشيرة (الفدعان/ العنزة) معركة كبيرة قرب حلب نتج عنها وقوع قتلى من الجانبين وعند وصوله قام بإنذار القوات العثمانية لفك الحصار عن ويرانشهر ولما لم تستجب، وقعت أعتى المعارك بين الطرفين واضطرت القوات العثمانية إلى الإنسحاب وبقيت عشيرة قره كيج الكردية تواصل القتال ضد المللية.

وفي الأسبوع الثاني من أيلول ١٩٠٨م صدرت أوامر الأستانة إلى القوات في حلب وبغداد بأن يحضروا إبراهيم باشا حياً أو ميتاً.

وفي أواخر أيلول أخذت قوات إبراهيم باشا بالإنهيار، فطلب الأمان من السلطات وأن تسمح له بإستدعاء طبيب لمعالجته وألاَّ تتعرض له العساكر والعشائر ... ولكن بدون جدوى فواصل الفرار ، وتسببت حالة الحصار والمطاردة وعدم السماح بإستدعاء طبيب لمعالجته ، إضافة لإنفضاض الكثير من الرجال عنه بوفاته بتشرين الأول عام ١٩٠٨م بقرية صفيا التي تبعد عن مدينة الحسكة حوالي ١٢ كم شمالاً، وقد دفن فيها ثم نقل جثمانه لاحقاً إلى قرية تل البيزاري شرق صفيا [٣٦].

---

٣٥ - د. أحمد محمد أحمد، أكراد الدولة العثمانية، تاريخهم الاجتماعي والإقتصادي، والسياسي، أربيل ٢٠٠٩م، ص ٣١٢.

٣٦ - المصدر عائلة الباشات.

خامساً: ويرانشهر (تيلّا بالسريانية)

ويرانشـهر مدينـة مـار يعقـوب البرادعـي، كانـت تسـمى سـابقاً موزلـت تقـع بيـن ماردين والرّهـا أغلـب عائلاتهـا سـكنت ماردين ورأس العين[٣٧]، وقـد اختارهـا محمـود بـك لتكـون مركـزاً رئيسـياً للاتحـاد المللـي وجـدد قلعتهـا وتابـع إبنـه إبراهيـم باشـا العنايـة بهـا، فقـام بشـق الطـرق وبنـاء الأسـواق ومخـازن الحبـوب ومسـتودعات السـلاح والحدائـق، وبنـى قصـراً علـى النمـط الحديـث غـرب البلـدة (قصـر الباشـا) وهـو الآن مدرسـة. والعديـد مـن القصـور كمـا بنـى ميتمـاً ومدرسـة (تكيـة) وسـجن والعديـد مـن الجوامـع[٣٨] وعـدد مـن الكنائـس منهـا (كنيسـة القديـس يوحنـا المعمـدان وكنيسـة القديـس أفـرام وكنيسـة السـيدة العـذراء)[٣٩] وأسـقفية فـي ويرانشـهر للمسـيحيين[٤٠]

ويتحدث إيف ترنون عنها بكتابه ماردين:

«فيرانشـيهير قصبـة كبيـرة... يعيـش فيهـا ثلاثـة آلاف مسـيحي... فهـذه المدينـة فيرانشـيهير تمثـل حالـة مثاليـة للخليـط الطائفـي... وفـي القـرن التاسـع عشـر، بفضـل حسـن إلتفـات مـن رئيـس (أكـراد ميلـي) إبراهيم باشـا الـذي كانت فيرانشـيهير منطقـة نفـوذه، جـاء العديـد مـن مسـيحيي ماردين ومـن سـفريك فأقامـوا فيهـا وبنـوا بعـض البيـوت، وفتحـوا عـدة أنـواع مـن التجـارة، الأمـر الـذي سـاهم بالتطـور الاقتصـادي لمدينـة فيرانشـيهير، فمنـذ ١٨٨٠، مدينـة تيلّـة القديمـة، التـي ظلـت مفتقـرة مـدة طويلـة، عرفـت إزدهـاراً جديداً...». [٤١]

وقـال سـتيفان وينتـر بـأن: «ويرانشـهر ضمـت مـا يقـارب مـن ٦٠٠ عائلـة مسيحية عـدا الذيـن كانـوا يسـكنون فـي القـرى المحيطـة، غالبيتهـم كانـوا أرمـن كاثوليـك لكـن كان هنـاك أيضـا سـريان كاثوليـك، سـريان أرثوذكـس، أرمـن

٣٧ - مخطوطات دير الزعفران - ماردين.
٣٨ - معلومات مصدرها عائلة الباشات.
٣٩ - إيف ترنون، مرجع سابق، ص ١١٥.
40 -C.Leonard Woolley - Dead Towns And Living Men - p185
٤١ - إيـف تيرنـون، ماردين، دراسـة تحليليـة لإبـادة عـام ١٩١٥م، مرجـع سـابق ص ١١٥.

غريغوريون وعدد صغير من الكلدان» [٤٢]

ويقول د. عثمان علي: «إذ شجع إبراهيم باشا الكثير من الأرمن والأيزيديين على الإستيطان في ويرانشهر والقرى المحيطة بها، والتي كانت في إزدهار كبير حيث بنى أربعمائة قرية مزدهرة في أطراف ويرانشهر» [٤٣].

وحول هذا الموضوع نورد بعض ما قاله باروت: «جذب هذا المجال الآمن الذي حققه إبراهيم باشا في مثلث ويران شهر - قره جه داغ - رأس العين وجبل عبد العزيز بدءاً من عام ١٨٨٠م مئات العائلات السريانية والأرمنية التجارية النشطة في مدينتي ماردين وسفريك... إلى الإنضواء في حلفه، أو إتحاده العشائري المفتوح للملل كافة.» [٤٤]

ويقول الباحث الروسي (كردليفسي) بأن الأرمن الذين أنقذهم إبراهيم باشا من الموت، كانوا سبب في إزدهار ويرانشهر.[٤٥] وقد قام إبراهيم باشا بمد العاملين بالتجارة والصناعة برؤوس الأموال اللازمة من أجل تنشيط الحركة التجارية والصناعية.

سادساً: الأوضاع العامة في مناطق الإتحاد المللي

مارس أمراء المللية الحكم الذاتي في مناطقهم ضمن إطار السلطنة العثمانية فمن:

١- الناحية السياسية

تصرف الملليون معظم الوقت ككيان مستقل[٤٦]، ولم يهادنوا يوماً

---

٤٢ - ستيفان وينتر، مرجع سابق.
٤٣ - د. عثمان علي، الحركة الكردية المعاصرة ص ١٩٢، مرجع سابق.
٤٤ - محمد جمال باروت مرجع سابق ص٩٠.
٤٥ - كمال مظهر أحمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى ص ٢٩٦.
٤٦ - محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، طبعة لبنان ١٩٨٥م ص ٢٢٢.

القوى التي حاولت السيطرة على كردستان، فقد كانوا سباقين في إعلان الإنتفاضات والثورات... وكان الهدف الأول هو الإستقلال[٤٧] بدلالة تحالفهم مع المصريين في حربهم ضد السلطنة العثمانية، ورفض إبراهيم باشا محاربة اليونانيين، ورفضه الإشتراك في الحملة الموجهة ضد ثوار اليمن. وقد أكد الدكتور الفرنسي منسيل بأن إبراهيم باشا كان يحلم بدولة كردية[٤٨].

٢- الناحية العسكرية

كان التنافس شديداً بين القبائل، وكانت علاقة المللية مع محيطهم العشائري متوترة ويشوبها الحذر الشديد أغلب الأحيان، وفي ظل عدم تدخل السلطة المركزية بالصراعات إلاَّ في الحالات التي تخرج عن السيطرة، كان مبدأ القوة هو السائد في علاقة العشائر بعضها ببعض، خاصة أن السلطة كانت في بعض الأحيان تشجع مثل هذه الصراعات، ويكفي أن نذكر أنه مع بداية القرن العشرين اصطدمت المللية مع قبيلة شمّر مراراً بالأعوام ١٩٠٠م و١٩٠٢م و١٩٠٥م ومع عشيرة القره كيج الكردية بعام ١٩٠٤م.

لذلك كان لزاماً أن تبقى القوة العسكرية للمللية في جهوزية دائمة، طالما أن سلطة الدولة العثمانية كانت في شرق الأناضول (سلطة اعتبارية) في أغلب الأحيان.

٣- العدالة

كان المللیون يعملون على تحقيق العدالة في مناطقهم عن طريق:

- المحاكم التي كانت تتبع وزارة (الحقانية) وتطبق قوانين السلطنة

---

٤٧ - محمد علي بك إبراهيم باشا، أمير أمراء كردستان إبراهيم باشا المللي ص ٤٥.

٤٨ - د. فيليب مانسيل المتخصص بالتاريخ الفرنسي والتاريخ العثماني Philip Mansel – Aleppo : the rise and fall of Syria great merchant city p.44

السائدة.

- الملالي الذين كانوا يبتّون بالخلافات المعروضة عليهم وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

- العارفة (حسين الحنظل)، وهو من عشيرة عدوان وكان يعرف بلقب (عارفة المللية)، وكان يبت بالقضايا المعروضة أمامه وفق الأعراف العشائرية.

- المحاكم الطائفية المسيحية، وكانت تبت بالخلافات الناشبة بين أفراد الطائفة وفق الأحكام الكنسية، توفيقاً مع نظام الملّة العثماني الذي كان معمولاً به في السلطنة العثمانية.

٤- الإقتصاد

كان النشاط الإقتصادي في المدن تجارياً ، وفي القرى زراعياً ، وفي البوادي رعوياً ، ولكن القسم الأكبر من القبائل المللية كانت تعتاش على تربية الماشية من الأغنام والماعز والأبقار إضافة إلى القليل من الإبل[٤٩]. وكان التجار يتوجهون لمناطق المللية لشراء المواشي والأغنام والصوف، ونقلها إلى أسواق دمشق وبيروت وحلب، حتى أنهم كانوا يرسلونها إلى إستانبول، اما جباية الضرائب فكانت بواقع ليرة ذهبية عثمانية عن قطيع الأغنام أو الجمال وحوالي ١٢٪ من إنتاج القمح والشعير و١٠٪ من أرباح أصحاب دكاكين الفاتورة... إلخ [٥٠].

٥- الحالة الإجتماعية

رغم ندرة المراجع التي تطرقت إلى الناحيتين الإقتصادية والإجتماعية إلاَّ أن الأخبار المتواترة شفاهاً تقودنا إلى نتيجة مفادها أن كل النشاطات كانت تتمحور حول العائلة والعشيرة، وكانت بنية المجتمع طبقية هرمية شديدة التنوع من حيث الإنتماءات والعصبيات القبلية والطائفية والعرقية، وكل مكونات هذا المجتمع التعددي كانت تميل إلى التعايش مع بعضها

٤٩ - د. آزاد أحمد علي، مرجع سابق.
٥٠ - المصدر عائلة الباشات.

بسلام، وبدون هيمنة مكون على آخر، مع احتفاظ كل مكون سكاني بخصوصياته اللغوية والإثنية والدينية والثقافية.

ولعل أفضل تشبيه للتراتبية العائلية التي كانت سائدة في المجتمع المللي ما أورده هشام شرابي بهذا الخصوص: «فالأب هو المحور الذي تنظم حوله العائلة بشكليها الطبيعي والوطني، إذ إن العلاقة بين الأب وأبنائه وبين الحاكم والمحكوم ، هي علاقة هيمنة، فإرادة الأب، في كل من الإطارين، هي الإرادة المطلقة، ويتم التعبير عنها في العائلة والمجتمع، بنوع من الإجماع القسري الصامت، المبني على الطاعة والقمع»[٥١].

سابعاً: المسيحيون في ويرانشهر

برغم أن سنجق ماردين كان منطقة السريان وطور عابدين ملجأهم الجبلي، إلاَّ أن إنعدام الأمن الذي ازداد بسبب تهاون الإدارة العثمانية دفع الكثير من المسيحيين وغيرهم إلى الهجرة إلى ويرانشهر ومحيطها لتوفر الأمان خاصةً أن علاقة المللين بالمسيحيين كانت جيدة، ولدى الحديث عن أيوب بك أوردنا ما قاله الأب جوزيف وولف ونكرره هنا «... كما أن المسيحيين واليهود يثنون بشكل كبير على نزاهته وعدالته»

ويؤكد مارك سايكس بأن إبراهيم باشا إستمرّ بممارسة تقاليد قبيلته ومن هذه التقاليد حماية المسيحيين في المنطقة [٥٢].

أما فارس عثمان فيقول في كتابه (الكرد والأرمن العلاقات التاريخية): «ويتمتع الأرمن والمسيحيين بشكل عام بالأمان والإطمئنان طالما كانوا في حدود منطقة العشائر المللية، حيث كانوا يلقون المعاملة اللائقة عندما ينتقلون من ويرانشهر ومن أريافها إلى مضارب خيام البدو ومنها إلى ويرانشهر وهم يبيعون الأعلاف والدهون» [٥٣].

---

٥١ - هشام شرابي، البيئة البطركية، بحث في المجتمع العربي المعاصر، بيروت، دار الطليعة ١٩٨٧م (سلسلة السياسة والمجتمع) ص٢٢.

٥٢ - مارك سايكس، ميراث الخليفة الأخير {النسخة الإنجليزية} ص٣٢١.

٥٣ - فارس عثمان، الكرد والأرمن العلاقات التاريخية ص١٤٢.

وتفيد المرويات الشفهية المتواترة التي يتناقلها أحفاد سكان ويرانشهر بأن الحياة لم تكن مختلفة عن حياتهم في ماردين ومحيطها فقد حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم ومآكلهم ولباسهم وحتى أغانيهم وأهازيجهم، وعملوا بمختلف الأعمال الحرفية كصناعة المنتجات الحريرية والصوفية والملابس الجلدية، وتاجروا بالمنتجات الزراعية والحيوانية.

وعندما احتج اهالي ديار بكر وأرسلوا العديد من البرقيات إلى الباب العالي كانت إحدى التهم الموجهة لإبراهيم باشا انه كان يساعد الثوار الأرمن على الهرب إلى مصر وأوروبا بدلاً من قتالهم [٥٤].

وعندما طلب أعيان دياربكر مؤازرة المسيحيين لهم رفضوا الإنضمام إلى الحركة المناهضة لباشا الكتائب الحميدية .[٥٥]

والأدلة على حماية إبراهيم باشا للمسيحيين كثيرة ومنها الرسالة التي أرسلها مارك سايكس إلى جريدة التايمز البريطانية والمنشورة بتاريخ ١٩٠٧/١٢/٠٦ وهذا بعض ما جاء فيها:

«لا يمكن الإدعاء للحظة واحدة، بأن إبراهيم باشا كان في يوم من الأيام عدواً للمسيحيين الأرمن، لأنه وخلال أسوأ فترات المذابح في مقاطعتي ديار بكر وأورفة، قام بتوفير الحماية لمئات وآلاف اللاجئين، وفي العديد من المناسبات اللاحقة قام بحماية ومساعدة المسيحيين من مختلف الطوائف... الخ « [٥٦].

ثامناً: الإجابة على سؤال البحث

في محاولة للإجابة على سؤال البحث المتعلق بمدى تأثير وفاة إبراهيم باشا المللي وانحسار الدور السياسي للإتحاد المللي على مصير مسيحيي بيث نهرين، قام البحث بوصف الإطار التاريخي لتلك المرحلة محاولاً

54 -Dr. Joost Jongerden & Dr. Jelle Verheij -Social Relation in Othoman Diyarbekir P77

٥٥ - محمد جمال باروت، مرجع سابق ص١٠٣.

56 -Mark Syks - The times newspaper 06-12-1907 - the situation at Diarbekir

تسليط الضوء على وضع مسيحي بيث نهرين خلال مراحل مختلفة من حكم المللين.

وقد أتضح لنا بأن حماية المللين للمسيحيين كانت تقليداً متوارثاً في أسرة الباشات، توارثوه جيلاً بعد جيل. وخاصة أمير أمراء الكرد إبراهيم باشا الذي أثنى القاصي والداني على حسن تعامله مع الجميع بدون تمييز، وقد وصفه الأستاذ الإيطالي جيا نكارلوكاسا بعد أكثر من قرن على وفاته بالقول: «**في تاريخ البشرية، كانت هناك شخصيات ميزت نفسها على الرغم من طبيعتها ودورها، عبر أفعال يمكن أن نعتبرهم «رجالاً صالحين» ... على الرغم من الضراوة التي اعتاد بها هزيمة منافسيه، إلاَّ أن إبراهيم باشا كان لديه شيء من هؤلاء الصالحين العديدين الذين كانوا موجودين في التاريخ لجعل بعض أحلك اللحظات في إنسانيتنا أقل ظلمة «.**[٥٧]

وبالتالي، فإن وفاة إبراهيم باشا عام ١٩٠٨م وإنحسار الدور السياسي للإتحاد المللي كان له تأثير سلبي على مصير المسيحيين في المنطقة، وأتاح لأعدائهم الفرصة للتنكيل بهم بوحشية. ففي شهري أيار وحزيران من عام ١٩١٥م تعرض أهالي ويرانشهر وفق ما ورد بالمراجع المسيحية (الأب اسحق أرملة والأب ريتوريه والملفونو عبدالمسيح نعمان قره باشي) إلى أشد أنواع العذاب والإبادة الجماعية والترحيل القسري.[٥٨]

مع الإشارة إلى أن ابراهيم باشا لم يكن بإمكانه (على الأغلب) فعل الكثير للأرمن لأن السلطة قررت: (جمع جميع الأرمن وسوقهم لولايتي الموصل وسوريا وللواء دير الزور لإسكانهم في تلك البلاد إلى أن تضع الحرب أوزارها) وهذا كان قراراً سيادياً لم يكن بمقدور أية جهة منعه أو تعطيل (مسيرات الموت) وإنما كان يمكن تخفيف آثارها إلى حد بعيد.

أما بالنسبة للسريان الذين لم يصدر بحقهم أي إتهام ولا وجود لأية

57 -Mr. Giancarlo Casa -Ibrahim Pasa il principe curd oche rroteggeva I Cristiani – East jovrnal 28-07-2016

٥٨ - إيف ترنون، مرجع سابق، ص ١١٧.

وثيقة في كامل الإرشيف العثماني تدينهم، ومع ذلك تعرضوا للمذابح، ولو قيض للأمير إبراهيم باشا البقاء على قيد الحياة ولم ينحسر الدور السياسي للإتحاد المللي لما كانت خسائرهم تصل إلى هذه الحدود الكارثية.

تاسعاً: الخاتمة

لابد من القول إن أهم ما شعر به المسيحيون أثناء حكم المللين، بجانب أمنهم واستقرارهم، واحترام هويتهم ولغتهم وحرية ممارستهم لطقوسهم الدينية، كان شعورهم بالمساواة مع بقية المكونات السكانية، وهو الشعور الذي افتقدوه لقرون عديدة، ولو بقي الأمير إبراهيم باشا المللي حياً والمللين على سطوتهم لكانت أحلك اللحظات في تاريخهم أقل ظلمة.

****

المراجع:

١) ابراهيم باشا، محمد علي بك،أمير أمراء كردستان، ابراهيم باشا الملي ٥٤٨١- ٨٠٩١ مدراسة وتحقيق عبد الفتاح البوتاني وعلي الميران ، أربيل ٩٠٠٢م .

٢) أبوبك، أحمد عثمان، أكراد الملّي وابراهيم باشا،الآثار الكاملة، إعداد د. آزاد عبيد صالح .

٣) أحمد: أحمد محمد، أكراد الدولة العثمانية، تاريخهم الاجتماعي والإقتصادي والسياسي ، أربيل ٩٠٠٢م .

٤) أحمد علي : د. آزاد ، الدور السياسي لعائلة ابراهيم باشا المللي في غرب كردستان وشمال بلاد الشام ، ٥١ يوليو ٦١٠٢م .

٥) أحمد،كمال مظهر، كردستان في سنوات الحرب الأولى ، اصدار ٢١٠٢م .

٦) أوبنهايم ، ماكس فون ، ابراهيم باشا أمير بدوي حياته ومماته ، ارشيف أوبنهايم .

٧) أكداج ،مصطفى ، كفاح الشعب التركي من أجل السياسة والنظام بالتركية .

٨) باروت، محمد جمال، التكون التاريخي للجزيرة السورية : أسئلة واشكاليات التحول من البدون إلى العمران الحضري ، ط ١ ، المركزالعربي للأبحاث ودراسة السياسات بيروت ٣١٠٢ م.

٩) ترنون ، إيف ،ماردين ،دراسة تحليلية لإبادة عام ٥١٩١ ترجمة لطيفة عرنوق ،دار نعمان للثقافة ،جونيه لبنان ٨٠٠٢ م ط١ .

٠١) حاج درويش ، د. نضال محمود ، أكراد سورية في مرآة مصادر الإرشيف العثماني خلال القرن ٨١ للميلاد .

١١) رؤوف ، عبد السلام ، رحلة طه الكردي الباليساني .

٢١) زكار ، د. سهيل ، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١١ .

٣١) زكريا ، أحمد وصفي ،عشائر الشام ، دار الفكر ، ط٢ ، دمشق ٣٨٩١ م .

٤١) زكي ، محمد أمين ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن ، ترجمة محمد علي عوني ، طبعة لبنان٥٨٩١ م .

٥١) شرابي، هشام. البيئة البطركية، بحث في المجتمع العربي المعاصر ، بيروت دار الطليعة ٧٨٩١م

٦١) عياش، عبد القادر، حضارة وادي الفرات ء- مدن فراتية، دار الأهالي ، دمشق ٩٨٩١م ط ١.

٧١) علي، د. عثمان، الحركة الكردية المعاصرة ، دراسة تأريخية وثائقية ٣٣٨١- ٦٤٩١م .

٨١) عثمان، فارس ، الكرد والأرمن - العلاقات التاريخية ، سوريا

٨٠٠٢ م .

٩١) قـره باشـي، عبـد المسـيح نعمان،الـدم المسـفوك ، مجـازر ومذابـح السـريان فـي مـا بيـن النهريـن ، ترجمـة المطـران ثاوفيلـوس جـورج صليبـا ، ٥٠٠٢ م .

٠٢) القس ،يوسـف جبرائيـل واليـاس هدايـة ، آزخ أحـداث ورجـال ، تقديـم المطـران يوحنـا ابراهيـم – دار الرهـا حلـب .

١٢) وليامـس ، جـون فردريـك ،قبيلـة شـمر العربيـة ، مكانتهـا وتاريخهـا السياسـي ٠٠٨١- ٨٥٩١م .

• p - 2 lov sweJ eht ot yranoissim - ffloW hpesoJ 142

• - nem gnivil dna snwot daed - yellooW dranoeL.c 581p

• sairys fo llaf dna esir eht: oppelA - lesnaM pilihP 44p ytic tnahcrem taerg

• laicos - jiehrev elleJ .rd & nedregnoj stooJ .rd 77 p - rikabrayiD namohto ni noitaler

• 7091- 21 - 60 repapswen semit eht - sekyS kraM rikebraiD ta noitautis eht

• heveniN dna nolybaB ni seirevocsid drayaL

• odruc epicnirp li asap miharbI - asac olracnaiG .rM .6102 - 70 - 82 lanroj stae - inastirc I aveggetorp ehc

لمحة عن تاريخ
سري كانيه Serê kaniyê/ رأس العين

علي شيخو برازي
كاتب وباحث

سري كانيه Serê kaniyê / رأس العين عاصمة الميتانيين (وآششوكاني)، تعود الحضارة في هذه المنطقة إلى ٧٠٠٠ عام قبل الميلاد، احتلّها الملك الآشوري أدد نيراري الأول ١٣٠٥ – ١٢٧٤ق. م. وتعد سري كانيه من المدن الهامة والرئيسة في الجزيرة الفراتية، وهي حاضرة وادي الخابور تاريخياً، كانت الحد الفاصل بين الروم والفرس قبل الإسلام، وكانت بيد الإمبراطورية الساسانية في بداية القرن السابع الميلادي، تميّزت بسورها وأبراجها الرومانية قبل الغزو الإسلامي العربي لها. لم يستطع الجيش الإسلامي الدخول إليها إلا بعد سنة، لصمود أهلها ومناعة حصنها، وكانت سري كانيه من أهم محطات القوافل على طريق الحرير بين الموصل

وأورفا وحلب والاسكندرونة حتى نهاية العهد العثماني، عرفت بكثرة ينابيعها وخصوبة تربتها، وكانت ينابيعها تعدّ من أهم روافد نهر الخابور*.

حملت أسماء كثيرة منها: رزان تودويوبوليس - رش عينا – عين الوردة – سري كانيه - رأس العين ... قال عياش: «اسمها بالسريانية :(رش عينا) وكانت تسمى في العهد الروماني: (رزان تودويوبوليس، ورزان تعني: الرأس أو العنب، والتركيب الآخر نسبة إلى الإمبراطور ثيودوس الأول أو ثيودوس الثاني». (عياش، ١٩٨٤، ص٣٣٦).

في عهد الدولة العباسية كانت من أهم محطات القوافل على طريق بغداد – الرقة، وكانت تحت حكم المروانيين الكورد خلال القرن الحادي عشر الميلادي، إلى أن احتلّ السلاجقة الجزيرة الفراتية، ثم كانت في حكم الزنكيين حتى قيام الدولة الأيوبية التي سيطرت على بلاد الجزيرة بالكامل.

دمّرت المنطقة دماراً شاملاً أثناء الغزو المغولي للجزيرة الفراتية، وبقيت شبه خالية حتى العهد العثماني، فكان سهل ماردين من الجزيرة الفراتية مرعى لأغنام العشائر الكوردية الكبيرة مثل المللية والكيكية، باستثناء سهل نصيبين وخاصة منطقة چل آغا وما حولها امتداداً لشنگال (سنجار)، التي كانت شبه مستقرة منذ القرن الثامن عشر.

من بين الشعوب الذين سكنوا الجزيرة الفراتية وسوريا منذ العصور التاريخية القديمة، وعاشوا على هذه الأرض حتى الآن هو الشعب الكوردي، فقد تبلورت سمات الهوريين والميتانيين والسوباريين في المنطقة منذ الألف الثانية قبل الميلاد، وهم من شعوب جبال زاغروس القديمة، وهم أسلاف الشعب الكوردي، وفي هذه الجزئية أميل إلى رأي مينورسكي: «إن من المحتمل جداً أن يكون الشعب الكوردي قد هاجر في الأصل من الشرق (شرقي إيران) إلى الغرب (كوردستان الحالية) واستوطن به منذ فجر التاريخ – وهذا لا يمنع أنه كان قبل قدوم هذا الشعب المهاجر، هناك في كوردستان الأوسط، قوم أو أقوام مختلطة تعيش تحت أي اسم مشابه لاسم ذلك الشعب الوافد، ك (كاردو) مثلاً فاختلط الشعب الوافد بذلك القوم، أو

بتلك الأقوام المحليّة واندمج فيها اندماجاً كليّاً، وصاروا جميعهم أمة واحدة على مدى الأيام والظروف.» ويضيف المؤرخ الكوردي محمد أمين زكي: «أن نظرية القول بتمثيل الشعب الكوردي لجميع الشعوب المختلفة القديمة بكوردستان، نظرية قوية جداً.» (زكي، ٢٠٠٥، ص ١٠٠).

كان إقليم الجزيرة الفراتية قبل الإسلام مقسماً بين الروم البيزنطيين والساسانيين، وقد أشار إلى هذا التقسيم أبي يوسف يعقوب المتوفى سنة ١٨٢ هـ ٧٩٨ م، في كتابه الخراج: «إن الجزيرة كانت قبل الإسلام، طائفة منها للروم، وطائفة لفارس، ولكل فيها في يديه منهما جند وعمال، فكانت رأس العين فما دونها إلى الفرات للروم، ونصيبين وما وراءها إلى دجلة لفارس، وكان سهل ماردين ودارا إلى سنجار وإلى البريّة لفارس، وكل جبل ماردين ودارا وطور عبدين للروم.» (اليعقوبي، ١٩٧٩، ص٣٩)

احتلّ العرب المسلمون الجزيرة الفراتية العليا أيام خلافة عمر بن خطاب، على يد عياض بن غنم عام ٦٣٩ م. ومن ثم على يد عمير بن سعد الأنصاري، وكانت رأس العين (عين وردة) أشدّ مقاومة ضد جيش عياض بن غنم كما أسلفنا، وقد فشل عياض في احتلال مدينة رأس العين وقتلَ مجموعة من جيشه فتركها، ومات عيّاض في سنة ٢٠ هجرية، فاحتلها عمير بن سعد الأنصاري بعد قتال شديد.

قال البلاذري: «حدثني محمد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن مسلمة عن فرات بن سلمان عن ثابت بن الحجاج قال: «فتح عياض الرقة وحرّان والرها ونصيبين وميافارقين وقرقيسيا وقرى الفرات ومدنها صلحاً وأرضها عنوة». (البلاذري، ١٩٠٠، ص١٨٣) وهنا يفهم من كلام البلاذري أنّ مقاومة أهل القرى كانت أشد من مقاومة أهل المدن، ويقول أن المدن فتحت صلحاً، بينما نرى في تفاصيل هذا (الفتح) مقاومة شديدة ضد المسلمين، فمقاومة أهل مدينة رأس العين، ونقض أهل الرها للصلح بعد حادثة سميساط خير دليل على ذلك، حيث احتلّها المسلمون بعد مجزرة عظيمة بحق أهل رأس العين: «وأبواب السماء قد انفتحت، والأجسام قد جرحت، والروم مع نسائهم قد افتضحت، البطارقة قد ذبحت، ودلائل

الحق قد اتضحت، والقتل يعمل في رأس العين» (الواقدي، ١٩٩٦، دون، ص ١٥٤) ويقول الواقدي٢٠٧ هـ ٨٢٣ م، في موضع آخر «ولم يأخذ من ديار بكر بالسيف إلا رأس العين» (الواقدي، دون، ص ١٨٧). وكانت القبائل العربية من أشد الرافضين لدين الإسلام في الجزيرة الفراتية: «كان مع الروم كثير من العرب المتنصّرة عند حصار رأس العين، وكانوا بقيادة بني تغلب التي تعد منطقة عانات والحصون المجاورة لها، من شق الفرات الشامي من أهم مراكزهم. وبعد أن حقق المسلمون الانتصارات داخل الجزيرة أجابوا عيّاض بن غنم للمصالحة «. (الشريف، ٢٠٠٧، ص ٣٦).

عدّ المقدسي رأس العين من مدن ديار ربيعة: «وأما ديار ربيعة فقصبتها الموصل ومن مدنها: الحديثة، معلثاى، الحسنيّة، تلّعفر، سنجار، الجبال، بَلَد، أذرَمَة، برقعيد، نصيبين، دارا، كفرتوثا، راس العين، ثمانين، وأما ناحيتها فجزيرة ابن عمر ومدنها: فيشابور، باعيناثا، المغيثة، الزّوزان». (المقدسي, ١٩٩١, ص ١٣٧) .

في عهد الدولة الدوستكية الكوردية

كانت رأس العين من ضمن أراضي الدولة الدوستكية الكوردية، وهذا ما جعل الملك البيزنطي يحمّل مسؤولية الغارات التي كان يقوم بها أصفر التغلبي على الدولة الدوستكية. يقول الكاتب الكوردي عبد الرقيب يوسف: «حمّل الملك البيزنطي الملك الدوستكي نصر الدولة، مسؤولية قيام أصفر التغلبي بالإغارة على بلاده عام ١٠٤٨م، وكان أصفر من رأس العين عند معظم المؤرخين، فهذا يشير إلى أن رأس العين الواقعة الآن في منطقة الجزيرة من كوردستان سوريا، كانت تحت السيطرة الدوستكية.» (يوسف، دون ، ص٣٢) كانت السلاجقة تطمع دائما في الاستيلاء على الدولة الدوستكية الكوردية، وقد شجعهم ابن جهير على ذلك، فجهز السلطان السلجوقي ملكشاه جيشاً وأرسله مع ابن جهير إلى الأراضي الدوستكية، ودارت معارك كبير بين الجيش السلجوقي والجيش الدوستكي، وانتصر السلاجقة في النهاية: «فدخلت كردستان الوسطى وبلاد الجزيرة

الفراتيـة وشـمال سـورية، تحـت الحكـم السـلجوقي المباشـر، وأقطـع السـلطان محمـد ابـن شـرف الدولـة بعـض مـدن الجزيـرة :الرحبـة وأعمالهـا، وحـران، وسـروج، والرقـة، والخابـور» (طقـوش، ٢٠١٥ ، ص٨٦) وعنـد وفاة السـلطان السـلجوقي ملكشـاه عـام ١٠٩٢م، اسـتعد ناصـر الدولـة منصـور الدوسـتكي دولتـه: «فتوجّـه إلـى كردسـتان واسـتعاد أولا مدينـة الجزيـرة واتخذهـا قاعـدة لاتصالاتـه بالأكـراد فـي المـدن والمناطـق التـي كانـت داخلـة فـي إطـار إمارتـه، ثـم اسـتعاد العاصمـة ميافارقيـن عـام ١٠٩٣م (طقـوش، ٢٠١٥، ص٨٧). لكـن سـرعات مـا أعـاد السـلاجقة سـيطرتهم علـى الدولـة الدوسـتكية، لتنتهـي بعـد حكـم دام ١١١ عامـاً. ووقعـت الجزيـرة الفراتيـة بعـد ذلـك تحـت حكـم السـلاجقة، ثـم خضعـت لحكـم عمـاد الديـن الزنكـي حيـن عيّنتـه السـلاجقة حاكمـاً علـى الموصـل والجزيـرة عـام ١١٢٧م، وكانـت رأس العيـن مـن المناطـق التـي طالهـا الغـزو الفرنجـي الصليبـي، فـي أواخـر النصـف الأول مـن القـرن الثانـي عشـر. قـال ابـن العبـري: «وصلـت جيـوش الفرنـج إلـى آمـد، ونصيبيـن، ورأس العيـن.» (ابـن العبـري، ١٩٩١، ص ١٤٣).

في عهد الدولة الأيوبية

خيـر مـن وصـف راس العيـن/ سـري كانيـه Serê kaniyê فـي العهـد الأيوبـي الرحالـة الأندلسـي ابـن جبيـر: «رأس العيـن هـذا الاسـم لهـا مـن أصـدق الصفـات»، حيـث وصـف أرضهـا وينابيعهـا وصفـاً جميـلاً، وقـال أن أعظـم هذه العيـون عينـان، إحداهمـا فـوق الأخـرى، فوصـف كل ما فيهـا من: عمـار وينابيع وجوامـع وحمامـات وخاكاهـات وأشـجار وبسـاتين، حيـث يقـول: «وشـأن هـذا الموضـع كلـه عجيـب جداً: فغايـة حُسـن القـرى بشـرقيّ الأندلـس أن يكـون لهـا مثيـل هـذا الموضـع جمـالاً أو تتحلـى بمثـل هـذه العيـون.» (ابـن جبيـر، دون، ص ٢١٨) وقـال ابـن شـداد عـن رأس العيـن: «هـي مدينـة بمسـتو مـن الأرض أكبـر مـن دارا، بهـا سـور يشـتمل علـى طواحيـن ومـزارع وبسـاتين، وبهـا أكثـر مـن ثلاثمائـة عيـن جاريـة صافـي، منهـا مـا لا يعـرف لهـا قـرار». (ابـن شـداد، ١٩٧٨، ص ١٤٥) فـي عـام ١١٨٢ م استولى صـلاح الديـن علـى حلـب والجزيـرة الفراتيـة بعـد وفـاة نـو الديـن الزنكـي، وعيـن عمـاد الديـن علـى مـدن

الجزيرة: «سنجار، الخابور، نصيبين، وسروج.» (طقوش، ٢٠١٥، ص ٧٥). في عام ١٢٢٩م يقول البدليسي عندما جاء الملك الكامل من مصر لأخذ دمشق من صاحبها: «استقر الأمر بين الملك الناصر داود والملك الأشرف، على أن يكتفي الملك الناصر بحكومة الشوبك، ونابلس، والكرك، وأن يجلس الملك الأشرف على عرش دمشق، ويتنازل عن حران، والرها، والرقة ورأس العين، للملك الكامل.» (البدليسي، ٢٠٠٦، ص ١١٠).

وبقيت الجزيرة الفراتية جزء من الدولة الأيوبية ومرتبطة بشكل مباشر بحكام حلب، حتى الغزو المغولي، فخلال عامي ٦٤١هـ/١٢٤٢م و٦٤٢هـ/١٢٤٤م، تحرك جيش المغول إلى إقليم الجزيرة، إلا أن وصل إلى ماردين (ابن العبري، ١٩٩١، ص ٢٨٩) .

في العهد المغولي

استولى المغول على الجزيرة الفراتي بقيادة هولاكو عام ١٢٥٩، وكان نهر الفرات الحد الفاصل بين المماليك والمغول: «اجتاحت جيوش المغول بلاد خوارزم، في الوقت الذي كان ملوك الجزيرة منشغلين في نزاعاتهم الداخلية، وتطاحنهم السياسي لتحقيق مكاسب إقليمية» (قداوي، ٢٠١٥، ص٥٩)، وبعد استيلاء تيمورلنك على بغداد عام ١٣٩٣م، تعرضت القرى والمدن الكوردية للسب والنهب على يد ابنه ميران شاه، مما دفع الكثير من العشائر الكوردية إلى الهجرة نحو بلاد الشام، وتراجع قسم من القبائل الكوردية نحو المناطق الجبلية، وبعد الحكم التيموري باتت المنطقة شبه خالية من السكان، إلى أن سيطر الشاه إسماعيل الصفوي على بلاد الجزيرة في بداية القرن السادس عشر، وبعد صراع غير طويل مع العثمانيين انتصر السلطان العثماني سليم الأول على الشاه إسماعيل الصفوي عام ١٥١٦ في معركة قوچ حصار (قزل تبه) وأصبحت الجزيرة الفراتية تحت حكم العثمانيين.

في العهد العثماني

في عام ١٥٣٤ كانت الدولة العثمانية قد سيطرت بشكل كامل على

الجزيرة الفراتية، حيث كانت المنطقة خالية من العمران إلا ما ندر، نتيجة ما تعرّضت لها من دمار على يد المغول. وذكر كارستن نيبور مدينة رأس العين في القرن السابع عشر خلال رحلته من ماردين إلى ديار بكر: «رأس العين تقع على بعد ١٢ أو ١٤ فرسخاً إلى الجنوب الغربي من ماردين، وعلى نبع الخابور، وهي مدينة مهدّمة كلياً.» (نيبور، ٢٠١٢، ص ٣٠٠) .

عن وجود القبائل العربية شمال دير الزور، وعلى الضفة اليسرى لنهر الفرات تتحدث الليدي آن بلنت في رحلتها في بداية عام ١٨٧٨م، كانت قبيلة البقارة تسكن في وادي الفرات، حين شنت الشمر عليها غارة كبيرة ونهبتها: «في الحادي والعشرين من كانون الثاني طرأ تعقيد جديد على موافقتنا في الدير، جعلتني أشك بنوايا الباشا، مقتنعة أنه يخطط لإعادتنا إلى حلب من جديد. ففي هذا الصباح جاء رجل ليخبر الباشا أن عصبة من شمر أغارت على قبيلة البقارة الرعوية الصغيرة على الفرات، التي تقيم قبالة الدير في الضفة اليسرى من نهر الفرات، وساق الغزاة ثمانين فرسا وخمسة آلاف شاة.» (بلينت، ١٩٩١، ص ١١٦) وهذه الغارات لم تكن ضد القبائل العربية المستقرّة وحدها، بل طالت القبائل الكوردية أيضاً، مما سببت هجرة جماعية للقبائل الكوردية من ديارهم مرّة أخرى. «وتتابع مجيء العشائر العربية البدوية من الجزيرة العربية إلى الجزيرة الفراتية ذات المراعي الخصبة لأغنامها، استوطنت براري الخابور، وكانت حرباً على ما تبقى من عمران وادي الخابور الذي ظل قفراً حتى الفترة الأخيرة من العهد العثماني» (العياش، ١٩٨٩، ص ١٨٦) .

أما القبائل الكوردية فكانت تعيش شمال وادي الفرات، في سهول نصيبين وماردين وويران شهر امتداداً إلى سري كانيه (رأس العين)، وهذه السهول امتداد طبيعي لمناطق سكنهم التاريخي.

وهذه شهادة مارك سايكس حول وجود العشائر الكيكية: «الآغا الرئيس للكيكية هو: عبد الرحمن، وهو رجل يجيد القراءة. وقد قام بقدر من العمل لغرض تحديد مواقع المدن القديمة على ضفاف نهر الخابور. لقد

قرأ عدداً محدداً من كتب التاريخ، ويقول بأن الكيكية هم إحدى آخر بقايا السكان المستقرين في الجزيرة الفراتية، وبأنهم قد أُبعدوا شمالاً من قبل قبيلة شمر، وأنهم يأتون جنوباً فقط لغرض إظهار حقوقهم في الاستقرار، في حال إعادة إقامة أخرى للزراعة في الشطر الشمالي من الجزيرة.» (سايكس، ٢٠٠٧، ص ٧٩) و «كانت قبيلة الجبور تعيش على نهر دجلة قرب الموصل، والسبخة على نهر الفرات، والبقارة على نهر الفرات قبالة دير الزور.» (بلينت، ١٩٩١، ص ٤١٨) .

أما من الناحية الإدارية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تخبرنا سالنامه ولاية ديار بكر عن تفاصيل شؤون قضاء رأس العين الإدارية، حيث كانت تتبع لقضاء رأس العين، العشائر والنواحي التالية: دقوري، كيكي خلجان، كيكي جركان، مللي، ديريك، ويرانشهر.

الصفحة ٨٠، من سالنامه ولاية ديار بكر الدفعة الأولى عام ١٨٧٠ م

ترجمة الوثيقة:

قضاء رأس العين

١ - مأمور الملكية والشرعية: القائم مقام دكاب قپوجي* (باشيلرندن) يعقوب بك.

٢ - كاتب ومحرر المالية: مدير المالية مصطفى أفندي.

٣ - كاتب التحرير: سليمان.

٤ - أعضاء إدارة مجلس القضاء: علي بك، جان تيمور أفندي، پاصيفو أفندي.

٥ - ميزان مجلس الدعاوي: جان تيمور آغا، جاوبد بك، صقللو أغا .

٦ - ملحق النواحي: دقوري، كيكي خلجان، كيكي جركان، مللي، ويرانشهر، ديريك .

٧ - المدراء: جمال أفندي، قپوجي باشي محمود آغا، شيخموس آغا،

أيوب آغا، محمد آغا، حسين آغا.

٨ - الكتاب المعيّن: أفندي حسين أفندي.

---

* - ركاب قپوجي باشيلرندان يعني: القائم على سفارة الركاب.

* - قپوجي هو السفير الرسمي للسلطان العثماني، الذي أسمته الدولة العثمانية للبولنديين في مولدوفا في العصور الوسطى. وكان من المقرر أن يتم استدعاء مهمته وواجباته مرة أخرى بسلطة غير محدودة فيما يتعلق بالمضيف (في بعض الحالات، يشمل ذلك إعدامات سريعة واعتقال أسرى).

خلال رحلة أوبنهايم في الجزيرة الفراتية يؤكد وجود القرى الكوردية في سهول ماردين ونصيبين بقوله: «صحيح أنه لم يكن هناك مستوطنات كبيرة، في هذه المسافة من بلاد الرافدين، باستثناء نصيبين، وأنه وجدت قرى صغيرة جدا، استوطنها الأكراد وبدو رحل سابقون، غير أن المنطقة بأسرها مغطاة بتلال - هضاب – خرائب – دلت على أنها عرفت كثافة سكانية هائلة في الماضي.» ويذكر الصراعات القبلية في منطقة Serê kaniyê (رأس العين) بين القبائل العربية من جهة والعربية الكوردية من جهة أخرى فيقول: «كانت رأس العين ومنطقة حفرياتي* منطقة اضطرابات مزمنة في القسم الأعلى من بلاد ما بين النهرين، حيث تصادمت مناطق قوة وانتشار مجموعة قبائل كبيرة كالفدعان، عنزة، شمر، والمللي.» (أوبنهايم, ٢٠٠٤, ص ٥٩)

في بداية القرن العشرين: «توجه سايكس من منطقة البليخ باتجاه الشرق وبعد مسيرة دامت سبع ساعات وصل إلى مضارب قبيلة العدوان. وهنا يزوّدنا سايكس بمعلومات هامة عن طبيعة السكان في الجزيرة، حيث يقول: «أن موقف عشيرة العدوان يعطينا نظرة ثاقبة عن التاريخ السياسي للمنطقة، هذه العشيرة هم في الأصل فرع من العنزة وقد هاجرو إلى الجزيرة من محيط تدمر بعد غزو قبيلة الشمر وذلك بنهاية القرن

الماضي. منذ ذلك الوقت ابتعدت عشيرة العدوان تدريجياً عن وسطها العربي وارتبطت مع القبائل الكردية وبسبب المصاهرات مع الكرد أصبحوا كرداً تقريباً. يُدعى شيخهم محمود آغا ويتحدث العربية بصعوبة، وخلال حديثه عن سلوك الشيخ الذي يصفه سايكس بغير اللائق، يصفه سايكس بالآغا الكردي.

ويشير سايكس إلى الأمان الذي كان يتمتع به التجار خلال تحركهم ضمن مناطق قبيلة الملية، وبشكل خاص التجار الأرمن إذ يقول: «اليوم الثاني من الرحلة كان مشابهاً لليوم الأول حيث أننا في وضع جيد وآمن وصادفنا قوافل التجار الصغيرة التي تتاجر بين مختلف قبائل الاتحاد الملّي، وقد ساهم في تلك التجارة بعض تجار القرى الأرمنية حول ويران شهر، الذين كانوا يشعرون بأمان كبير ويتم معاملتهم بلطف واحترام في منطقة الملّان، في حين أنهم كانوا عرضة للسرقة في مناطق الحدود الجنوبية من قبل العنزة والشمر.) (درويش، مجلة الحوار، ٢٠٢٠، ص٧٦)

الخلاصة:

تعايش الكورد في هذه الإقليم عبر التاريخ مع شعوب أخرى مثل: الآشوريين – الروم – الكورد - السريان - العرب – التركمان وغيرهم. وغالبة سكانه اليوم هم من الكورد، وقد ذكر وجودهم الكثير من المصادر التاريخية، من البلدانيين العرب والمستشرقين، والوثائق العثمانية.

قاوم أهل سري كانيه (رأس العين) وقراها أشد مقاومة ضد الغزو الإسلامي العربي، ولم تفتح المدينة إلا بعد خسارة كبيرة لحقت بالجيش العربي الإسلامي، وأدى ذلك إلى انتقام المسلمين من أهل المدينة وارتكاب مجازر عظيمة بحق الأهالي.

أدى الغزو العربي الإسلامي للمنطقة إلى إحداث تغيير جذري في معالم المنطقة، من إنهاء صراع الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية شرق البحر المتوسط والجزيرة الفراتية، وتغيّرت البنية الاجتماعية والسكانية والمعتقدات الدينية، وشمل هذا التغيير المنطقة الكوردية في الجزيرة

الفراتيـة.

بعد استيلاء تيمورلنك على الجزيرة الفراتية، تعرضت المنطقة بأسرها للسب والنهب، مما دفع الكثير من العشائر الكوردية إلى الهجرة نحو بلاد الشام، ولتراجع قسم من القبائل الكوردية نحو المناطق الجبلية، باتت المناطق السهلية شبه خالية من السكان حتى العهد العثماني.

لعبت العشائر البدوية العربية دوراً تخريبياً في الجزيرة الفراتية، حيث انعدم الأمن والأمان جراء غزواتهم على سكان المنطقة من كورد وعرب، حتى سيطر الاتحاد الملّي، وأعاد الأمن للمنطقة وأبعدهم من سهل ماردين وسهل رأس العين.

---

* - من أسماء العيون والينابيع في رأس العين: عين الزرقاء - عين البانوس - عين الحصان وعين سالوبا

* - يقصد أوبنهايم: حفرياته في تل حلف قرب رأس العين.

المصادر والمراجع:

١ – زكي, محمد أمين, خلاصة تاريخ كورد وكوردستان, ط٢ , العراق- بغداد ٢٠٠٥ .

٢ – اليعقوبي, أبي يوسف , الخراج , دار المعرفة, بيروت – لبنان, ١٩٧٩ .

٣ – العياش, عبد القادر, حضارة وادي الفرات, ط ١, دمشق – سوريا, ١٩٨٩ .

٤ – البلاذري, أحمد بن يحي, فتوح البلدان, ١٩٠٠ , دون مكان الطبع .

٥ – الواقدي, محمد بن عمر, فتوح الشام, ج ٢, الاسكندرية دون سنة الطبع .

٦ – الواقدي, محمد بن عمر, تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق, الوقدي, دمشق ١٩٩٦ دار البشائر.

٧ - المقدسي, أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم,القاهرة, ط ٣, ١٩٩١.

٨ – الشريف, حامد محمد الهادي, أحوال غير المسلمين في بلاد الشام, عمان- الأردن,٢٠٠٧ .
٩ – يوسف, عبد الرقيب, الدولة الدوستكية,
١٠ – طقوش, د. محمد سهيل, تاريخ الأكراد ٦٣٧ – ٢٠١٥, ط ١, دار النفائس, بيروت – لبنان.
١١ - ابن العبرى, أبي فرج جلال الدين, تاريخ الزمان، دار المشرق, بيروت – لبنان ١٩٩١.
١٢ – ابن شداد, عزالدين محمد بن علي, الأعلاق الخطيرة,ج ٣, دمشق ١٩٧٨ .
١٣ – البدليسي, شرفخان, تاريخ الدول والإمارات الكردية, ج١ , دار الزمان, ط ٢, دمشق – سوريا . ٢٠٠٦ .
١٤ – ابن جبير, محمد بن أحمد, رحلة ابن جبير, بيروت – لبنان, دون سنة الطبع .
١٥ – قداوي, د. علاء محمود, الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية, عمان – الأردن ٢٠١٥ .
١٦ – نيبور, كارستن, رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها, ج ٢, بيروت – لبنان, ٢٠٠٧ .
١٧ - بلنت, الليدي آن, قبائل بدو الفرات ١٨٧٨, دار الملاح, دمشق – سوريا, الطبعة الأولى ١٩٩١.
١٨ – سايكس. مارك , القبائل الكردية في الإمبراطورية العثمانية, دار الزمان , دمشق – سوريا, ٢٠٠٧ .
١٩ - سالنامه ولاية ديار بكر الدفعة الأولى عام ١٨٧٠ م .
٢٠ - أوبنهايم , ماكس, البدو , الجزء الأول, , دار الوراق للنشر, المملكة المتحدة, ٢٠٠٤ .
٢١ – درويش, د. نضال, مجلة الحوار العدد ٧٦, ٢٠٢٠م, الجزيرة الفراتية في مطلع القرن العشرين من خلال كتاب مارك سايكس ميراث الخلفاء الأخير.
٢٢ - سالنامه ولاية ديار بكر الدفعة الأولى عام ١٨٧٠ , ص ٨٠

ملحمة درويشي عفدي

(الجغرافيا، المكان، الفضاء)

عبد الناصر حسو
كاتب وناقد أدبي

ملحمة درويشي عفدي[1] - مختصر الحكاية

ذات مرة في سرديّات العشق، تبادل درويشي عفدي وعدولة ابنة تمر باشا نظرات الاعجاب، فأعلن دوريش عفدي ذات سهرة ربيعيّة أو بعد

---

١ - بخصوص الأسماء: يلفظ الاسم أحياناً بالكردية «دوريش» بدل» درويش» بالإبدال بين حرفي الواو والرّاء، و»عفدي» بدل « عبدي» والمقصود هو درويش ابن عبدي، أي بالكردية: درويشي/دوريشي عفدي/ عبدي. وهو من عشيرة شَرْقيان- الكردية الإيزيدية-، والنسبة لها هنا هي شَرْقي، كـ عبدوي شَرْقي، أو عفدي شَرَقي. وعدولة بالكردية تلفظ «عدولي». و»الغيس» هي قبيلة القيس/ الجيس العربية. (الحوار)

فوز في سباق الخيل: (أنا عسلٌ بين شفتي عدولة) أو (أنا كحلٌ في عيني عدولة). نقل عيسى ملا علي، ابن عم عدولة، الخبرَ إلى والدها تمر باشا الملّي. تأكّد تمر باشا من الخبر، وفكّر بالانتقام من دوريش عفدي وعشيرته، و وضع خطة للتخلّص من العشيرة بعد أن استشار وجهاء القبيلة، وأمرَ أن ترحل عشيرة المليّة غداً إلى مكان آخر، وخطط للقضاء على عشيرة الشرقيان، عندما ينصبون خيامهم. رحلت العشيرة في اليوم التالي.

لكن صداقة جيلو إيزولي مع دوريش عفدي لم تسمح إلا أن يخبر عفدي ملحم بما ينوي تمر باشا الملّي تجاه الشرقيان، فابتعدت عشيرة الشرقيان عن الملّيّة، ونصبت خيامها في مكان يبعد عن مضارب الملّيّة مسافة نصف يوم.

عندما علِمَ أعداء المليّة (زعماء الترك والعرب) أن الشرقيان افترقت عن الملّية، انتهزوا الفرصة واستعدوا لشنّ هجوم على المليـة ، إنْ لم يوافقوا على شروطهم وهي (تقاسم المراعي ومياه الآبار بيننا وبينكم)، ومنحوا الملّية مدة قصيرة لتحقيق شروطهم، وإلا سيشنّون هجوماً عليهم، ويمزّقون خيمة تمر باشا الملي بالسيوف، ويَسْبون حسناوات الملّية الخمس الشهيرات. أرسلوا رسالة إلى تمر باشا، يحملها مراسلان يثيران ضجيجاً ويخلّفان عموداً من الغبار وراءهما.

أبلغَ تمر باشا مضمون الرسالة إلى فرسان الملّيّة الذين اجتمعوا في المضافة، سادَ الصمت، طأطأوا رؤوسهم جميعاً. حاول تمر باشا تحفيزهم، فأعلن أن من يشرب فنجان "قهوة الشرط" ويقود الفرسان إلى المعركة، فإذا عاد سالماً غانماً، سيزوّجه ابنته عدولة وسينصب له خيمة مؤلفة من ٢٤ عموداً أمام خيمته.

أرسل تمر باشا من فوره رسالة إلى عفدي ملحم وعيشه ولي يطلب فيها منهما تولي ابنهما دوريش عفدي قيادة الفرسان لصدّ هجوم الترك والغيس(الجيس). قيل إن تمر باشا حذّر فرسانه بأن لا يرفع أحد من فرسانه فنجان القهوة لأنه سينتقم من دوريش عفدي.

عندما سمع دوريش عفدي أن الملّية تتعرض للهجوم، سارع إلى مجلس تمر باشا غير مبالٍ بنصائح والده عفدي شرقي، ومتناسياً طرد عشيرته. لحق به عفدي ملحم وشقيقه سعدون وعمر الشرقي وأولاده إلى مضافة تمر باشا، خوفاً من تهوّره. رفع دوريش فنجان "قهوة الشرط» وشربها دفعة واحدة، مؤكداً انتماؤه للملّية وللمكان، واختار من فوره الفرسان الذين سيشاركونه في المعركة. وقاد الفرسان الأحد عشر ضد ٣٧٠٠ فارس مشهود لهم بالفروسية أباً عن جد من فرسان الترك والغيس.

استمرّ البحث عن أماكن تمركز قوات الترك والجيس ثلاثة أيام، وعندما سمع عَفَر الجيسي أن دوريش سيشارك في المعركة، التقى به خارج المكان وحاول أن يثنيه عن مشاركته باعتبار أنهما أصدقاء بعد أن تآخيا، لكنه لم ينجح. أشار دوريش بطرف من عينه إلى سعدون الذي كان يقف وراء عَفَر الجيسي أن يجرحه في كتفه، وجّه سعدون إليه ضربة للبدء بالمعركة المرتقبة. يُقتل سعدون، ثم يُقتل فرسان الملّيّة واحداً تلو الآخر في ساحة المعركة، ويبقي دوريش وحيداً يقاتل بشجاعة نادرة، وعندما اقتنع جيل إبراهيم بكدلي أنه لا يستطيع التغلب عليه إلا بخدعة، استدرجه إلى أرض مليئة بجحور الفئران والجرذان، انكسرت قوائم هدبان الأربع من شدة الركض في الحُفر، فسقط دوريش أرضاً، اجتمع عليه فرسان الترك والعرب يغرزون جسده بحرابهم، فصرخت زهرة خانم أخت عفر الغيسي ساخطة على الترك: (إن كنتم فرساناً، لواجهتموه على ظهر الهدبان)، ثم التفتت إلى أخيها عفر بغضب ولوم (ألم يكن أخاً لك!). سحب عَفَر سيفه فوراً مهدداً الترك أن يتراجعوا عنه، ثم حمله إلى تل عطشانة بجانب أصدقائه الفرسان. عندما شعر دوريش قدوم فرسان الملّيّة طلب من عَفَر الجيسي أن يغادر المكان.

هل يستكين المستمع أمام هذه النهاية الأليمة لمصير فرسان الملّية الأحد عشر الشجعان، خاصة لمصير دوريش عفدي؟ كيف يُقتل رمزه بيد العدو غدراً دون الأخذ بالثأر؟ المستمع لم يسلّم أمره بهذه النهاية المأساوية، يريد الثأر للفرسان، بل يريد النصر، ويرفض الهزيمة. لذلك يستجمع المغنّي

فرسان الملّيّة تحت قيادة عفدي ملحم وعمر الشرقي للهجوم على قوات الترك والعرب، قيل إن فرسان عَفَر الجيسي لم يشاركوا في المعركة حزناً على دوريش عفدي، وقيل إن التحالف الملّي كان يستعد لهجوم قوي كما يتمنّاه المستمع.

جاءت عدولة مع الفرسان وأسرعت إلى دوريش الذي كان على التل يحتضر، وضعت رأسه على ركبتها غير مبالية بما يجري، وبدأت بمرثيّتها: (دلال).

ذهبت المدونات التاريخية إلى أن سليمان باشا والي بغداد قام بالهجوم على الملّية عام ١٧٩١م، والتي اندرجت تحت الحملة التأديبيّة على تمر باشا الملي.

- مفاهيم (الجغرافيا، المكان، الفضاء)

في سياق التمييز بين المفاهيم الثلاث وعلى مستوى التطبيق الفنّي المستخدم، تتداخل هذه المفاهيم فيما بينها نتيجة المرادفات التي تقابل الكلمة الواحدة في السياقات اللغوية من حيث الوظيفة والمهام والخصوصية، ولعل (المكان) هو الأكثر استجابة في هذه الدراسة بوصفه يتقاطع مع العديد من المصطلحات الأخرى كالحيّز والمجال والحقل والفضاء والجغرافيا بكافة أنواعها السياسية والديمغرافية والطبيعية.

تتميّز جغرافيّة ملحمة (دوريش عفدي) بتنوّعها الطبيعي من الجبال إلى براري ماردين وسهول سروج، مروراً بنهر الفرات ومدن ويران شهر وأورفه ورأس العين والرقة، هذه التضاريس المتفاعلة فيما بينها تشكّل ملحمة (دوريش عفدي)، في حين أن جغرافيةً أخرى مختلفة شكّلت ملحمة (ممي آلان) الكُرديّة الشهيرة بدورها، هكذا تشمل الجغرافيا دراسة الثقافات البشرية وتأثيراتها على المكان.

الفضاء هو الجانب المتخيّل للحدث في الملحمة، يتم بناؤه في خيال القارئ أو مستمع الأغاني التراثية عن طريق السمع ومرجعيّاته الخاصة لإكمال سير الأحداث في فضاءات مغايرة، كأن نقول فضاء الحرية، فضاء

المدينة. كما يتعلق الفضاء بالشعور العام أو الأجواء التي يخلقها المكان، يمكن أن يتضمن مجموعة عناصر أخرى مرتبطة بالمكان مع المكونات الحكائية للسرد.

المكان عنصر أساسي في جميع الأعمال الأدبية والفنية وعادة يكون المكان جزءاً من الحكاية. وهو الموقع الذي تجري فيه الأحداث (غرفة، مدينة، خيمة). ويعزز المكان هوية الشخصيات ويحدد خلفياتهم الثقافية والاجتماعية وأحياناً الطبقية. يستخدم المكان لتحديد الأحداث (معارك في الأراضي المفتوحة، مبارزة في الساحات)، وعندما يفقد العمل الفنّي عنصر المكان والفضاء، فإنه يفقد خصوصيته.

المكان هو مجموعة من الإشكاليات التي تؤرّق عملية وصف الوقائع، فيتخيل بأنه جغرافيا لرسم حياة مجموعة بشرية أو سجّلاً تاريخياً للتوثيق أو بُعداً هندسيّاً لحركة فيزيائية، لكنه يؤسس الحكي والغناء، لأنه يجعل القصة المتخيّلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة.

لقد شكلت البيئة الجغرافية للجزيرة السورية أهم عوامل الانزياح والتشتّت بين سكانها في مواسم القحط والكوارث الطبيعية (الأمراض التي أصابت المنطقة في منتصف القرن الثامن عشر كمثال)، وساهمت في فرض أشكال الحكم القَبَلي في مواجهة صعوبة الحياة.

أخيراً، إن خصوصيّات المكان تكمن في المؤثرات الزمانيّة، وخصوصية الزمان تكمن في المؤثر المكانيّ، وبالتالي، فالبيئة الجغرافية هي التي تمنح ملامح الشخصية الثقافية، وما يحرّكها هو تفاعل الذات مع الوسط المحيط به، سلباً أو إيجاباً.

تشكلت شخصيات الملحمة عبر سيرورة تاريخية من القيم والمثل الإنسانية النبيلة في تفاعلها مع المكان كفضاء جغرافيّ يمكن للمستمع تلمّس ملامحه من أجل ايجاد علاقة واقعية باعتباره يشبه المكان الذي نعيش فيه، وقد يخلق المكان نوعاً من الألفة أو النفور، ويلعب في تفعيل الأفكار والعادات والتقاليد والسلوكيات الاجتماعية.

ـ تموضع العشائر البدوية في منطقة الجزيرة السورية

ينقسم مجتمع الجزيرة السورية إلى حضر، يستقرّون في المدن والقرى والبلدات الصغيرة، يعملون في الزراعة والتجارة والصناعة، وبدو رحل يسكنون الخيام، ويبحثون عن أراض خصبة لرعي مواشيهم، ولا أحد يعرف منذ متى استقرت هذه العشائر الكردية في تلك المنطقة، وهم يشكّلون الأكثرية والأقدم في تلك المنطقة، إضافة إلى العشائر الأخرى كالجبور والعدوان و طي... ثم جاءت بعض العشائر العربية إلى المنطقة بموافقة الدولة العثمانية أو هرباً من الحركة الوهابية في الجزيرة العربية[2] ولعل أشهرهما (الشمر والعنزة).

انتشرت قبائل البدو الرحل[3] في مناطق الجزيرة السورية، على شكل قوس جغرافي خصيب سُميت بمنطقة (ميزوبوتاميا)، تعيش على قطعان الماشية، وتصارع الطبيعة القاسية من أجل البقاء، يتجولون على الجغرافية الواقعة بين الرقة ودير الزور والحسكة إلى جبال عبد العزيز لتمتد إلى ماردين وويرانشهر وتطلّ برأسها على أورفه وجبل قره جداغ من الجهة الأخرى وصولاً إلى الموصل وجبل شنكال بحثاً على المراعي، على شكل مجموعات بشرية، متصالحة ثقافياً وغير متقاربة أثنياً ولغوياً، وإن كانت متفاعلة في ما بينها اجتماعياً، وما يجمع بينها نمط العيش الذي يعتمد على البحث الدائم عن مصادر الكلأ في المناطق المحيطة بالينابيع والأنهار.

استوطنت العشائر الوافدة من خارج المنطقة إلى جانب عشائر كردية

---

٢ ـ سعد الهروتي، دراسات أكاديمية في تاريخ كردستان الحديث، ص ١٨١، بينما الحركة الوهابية، هي حركة سياسية دينية، ظهرت عام ١٧٥٠ على يد محمد بن عبدالوهاب الذي انتهج نهج الاسلام الاصلاحي، وأصبحت أكثر الحركات الاسلامية المتطرفة، والذي اتبع المذهب الحنبلي كما فسره ابن تيمية، فرأى كل اصلاح أدخل بعد القرن الثالث الهجري، بدعة، وكل بدعة ضلال. لذلك أرغمت العشائر الضعيفة في الجزيرة العربية على الانصياع لسيطرتها أو اللجوء إلى أقاليم أخرى.

٣ ـ قبائل البدو (قبائل كردية وعربية وتركمانية وغيرها)، والبدو الرحل، حالة اجتماعية/ حياتية وليست منظومة ثقافية فكرية.

متأصّلة في المكان حيث كانت مرتبطة في الوقت ذاته خارج الحدود السياسية بمثيلاتها في المناطق المجاورة لتشكل وحدة جغرافية أو امتداداً ديمغرافياً، رغم ذلك، لم تهيمن الأيديولوجية القومية أو الدينية أو العرقية أو المذهبية على العشائر التي تحالفت مع بعضها (الملية، البرازية، الكيكان)؛ قبائل خلفت وراءها آثاراً وأخرى رحلت، وثالثة عبرت، ورابعة استوطنت وعاثت فساداً في المنطقة.

ارتبطت بعض هذه العشائر ببعضها البعض لتؤسس تحالفاً عشائرياً، يتزّعمه رجل قوي من أصول ارستقراطية نبيلة لإدارة شؤون العشائر المتحالفة وتأمين الأمن والأمان والرد على غزوات العشائر الأخرى وتوفير متطلبات أفرادها والسيطرة على مناطق واسعة من المراعي والمياه. إلّا أن قبيلة الملّية الكرديّة شكّلت ثقلاً تاريخياً في تلك الجغرافيا التي جرت عليها أحداث ملحمة (دوريش عفدي) فيما بعد.

تزوّدنا مرويات تاريخ المنطقة بمعلومات عن الخلافات التي أدت إلى الاشتباكات بين العشائر المتمركزة بين ماردين ورأس العين وويران شهر بهدف السلب والنهب واللصوصية رغم تقديم الشكاوى من قبل أهالي المناطق بحق قبيلتي عنزة وشمر، لكن السلطات العثمانية لم تعر اهتماماً لتلك الشكاوي.

يلاحظ مارك سايكس البريطاني أن (انتساب العشيرة الكردية إلى شخص واحد أو جد أعلى، أمر يخالف طبيعة المجتمع الكردي، لأن الكردي يرتبط بالمكان أو بالبقعة الجغرافية التي يعيش عليها، وينسب نفسه إليها من الناحية العشائرية، أي أن العشيرة هي عشيرة أرض ومكان وليست عشيرة نسب)([4])، وحدث هذا الانتماء بشكل كبير في القروسطية الكردية، لذلك، فالقرابة البيولوجية خرافة عرقيّة دحضتها الانثروبولوجيا.

كان الأكراد في ماردين وسهولها، يعرّفون أنفسهم بأنهم فرع من العشيرة الملّيّة الذين حكموا المنطقة وراثيّاً، وكانوا يعانون من غزوات

٤ ـ مارك سايكس، القبائل الكردية في الامبرطورية العثمانية، ص ٧٢.

قبيلتّي شمّر والعنزة بشكل دائم. وعندما سنحَت لتمر باشا الملّي الفرصة، التحق بعشيرته في ويران شهر وأسس قوّة للدفاع عن وجودها في سهول ماردين ورأس العين.. و(كان بوسع جميع أكراد ماردين أن يلتفوا حول تمر باشا الملي)(5) الذي بسط السيطرة على مناطق خصبة.

دافعت الملّية عن الأرض الجغرافية التي تعيش عليها في الجزيرة السورية طالما هي جزء من هذه الجغرافيا، وعن التاريخ المشترك مع القبائل المتحالفة معها، معتبرةً أنّ الأرض هي استمرارية وجودها ووجود مواشيها على قيد الحياة، لذلك كانت تتحرك في رحلتي الشتاء والصيف إلى جبال قره جداغ عبر عملية الانزياحات الموسمية عن الأمكنة المؤقتة من الزوزان إلى براري ماردين ضمن جغرافية التحالف الملّي نفسها، والملّية (عشيرة نصفها رحل، تقوم بتربية الماشية ورعيها في سفوح الجبال والمناطق الصحراوية، ينتقلون من مكان إلى آخر بحثاً عن العشب والكلأ)(6). لذلك، تزداد حالات الاستيلاء والسيطرة في فترة الغياب عن المكان خاصة عندما يحلّ القحط أو المجاعة أو الكوارث الطبيعية. بينما كانت العشائر العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية (لا تدافع عن الأرض بقدر ما تدافع عن حقها في الحياة في تلك الأرض، أي عن حقها في المرعى والمنهل)(7)، ويؤكد العفيدلي هذه المقولة إن عشيرة الجيس (لم تستقر في مكان معين، توجد الجيس حيث يوجد المراعي، وحروبها كثيرة مع العشائر الاخرى، فاصطدمت مع الملّية ومع العشائر العربية الأخرى)(8).

كانت الملّية داخل مناطق ديار بكر، (ما كانوا يغادرون هذه الأراضي

٥ ـ ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق، تر جعفر الخياط، ط٦، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٥٣.

٦ ـ ستيفن هيمسلي كونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ج١، ص٢٥٣.

٧ ـ أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، ط٢، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٩٨٨، ص١٨٢.

٨ ـ محمود الذخيرة، أهل الرقة، ص ٤٨.

المخصصة لهم ويعودون إلى الشمال إلى المراعي الأفضل، لذا اكتسبوا سريعاً على سمعة كونهم من بين القبائل الأكثر تمرداً في برنامج توطين الرقة. أتُهمت الملية في ١٧٢٣، بتدمير مزارع وسرقة الماشية في مرعش بعد أن هربوا من الرقة وأورفه، وسلبوا (٣٠٠ رأس من الأغنام في آرغاني، ما أثار احتجاج رسمي ضدهم في إسطنبول. وفي مناسبات أخرى، فرضت الملّية الأتاوات على القبائل، وقمعوا تلك القادمة من جنوب الرقة للرعي في الشتاء)([9]) كقبيلة شمر وعنزة.

مجتمع البدو الرحل، مجتمع قلق، دائم الترحال، لا يستقرّ في مكان واحد، تحرّكه الحاجة إلى المرعى فيرتحل، وصورته غير المستقرّة نتيجة العلاقة بينه وبين الأرض، يتعامل مع المكان والزمان كفضائين رئيسيين لاستمرارية الحياة، حيث التعامل مع قطيع الماشية انتقالياً من مكان إلى آخر وبحثاً عن المراعي زمنياً، ربيع/ خريف، والخيمة باعتبارها سهلة التنقل، تتكيّف مع طبيعة النمط الرعويّ، وبالتالي تراوغ الزمان والمكان لتكتسب هوية مؤقتة، والمؤقت يتحول مع مرور الزمن إلى دائم الحضور، فهل أُنجزت الحكايات الكردية الأولى في ثقافة الخيمة، وانتقلت إلى فضاءات القرى ومقاهي المدن أم أنها ثقافة ارستقراطية تأسست في القصور كونها تخص الأمراء والزعماء؟.

إن حياة البدو الرحل (بطبيعتها معرضة للهلاك بسبب الكوارث، لذا، فهي بحكم الضرورة، حياة عملية دنيوية، تستنفذ طاقتها المحدودة للتشبّث بالحياة والبحث عن البقاء في هذه الدنيا دون أن يكون لها رصيد من الطاقة للبحث في أمور الغيب والحياة والآخرة)([10])، لذلك لم يكن لرجال الدين تأثير كبير على مجتمع البدو آنذاك كونه مجتمع يبحث عن مبررات الحياة، ولا يهمّه ما بعد الحياة.

٩ ـ شتيفان فيتنر، النهضة الأخرى: البدرخانيون، والمِلّيون، والجذور القَبليّة للقومية الكردية في سوريا ، ترجمة: محمد شمدين ، مجلة الحوار- العدد 74- عام 2020-

١٠ ـ سعد العبد الله الصويان، الصحراء العربية، ثقافتها وشعرها عبر العصور، قراءة انثربولوجية، ط١، بيروت، ٢٠١٠، ص ٤٩.

لم ترتق فضاءات الجغرافيا الطبيعية إلى مستوى قداسة التاريخ في مخيلة مستمع الملحمة المُغنّاة بقدر ما يوحي إلى فضاء المكر والخديعة، حيث يطل من خلاله على فظائع برابرة التاريخ وسلاطين القتل في إشارة إلى الصراعات الدامية بين الدولة العثمانية والصفوية على تلك المنطقة الأكثر استراتيجية في الشرق والتي انتفضت عديد المرات ضد السلطة العثمانية، إلى أن حلّت لعنة الجغرافيا عليها علاوة على موقعها الاستراتيجي، تعتبر من طرق تجارة الحرير الرئيسية، والطرق الواصلة بين مراكز المدن الكبرى (حلب، ديار بكر، الموصل).

تشير المدوّنات التاريخية إلى أن (كلش عفدي كان يقيم في جوار بلدة قبا حيدر من ولاية أورفه)[11] وأصبح والياً على اورفه، و(اكتسب لقب الباشوية، وتمر باشا أكتسب هذا اللقب من كلش عفدي)[12]، ورغم ذلك، كان لتمر باشا الملّي قصر في ويران شهر بوصفها عاصمة له، بينما كان أحفاده ينتقلون بين رأس العين وأورفا، ودُفن معظم عائلة تمر باشا في رأس العين. وفي المدونات التاريخية يأتي ذكر قلعة (بوك)، وفي بعض المراجع (موك)، التي تحصّن فيها تمر باشا الملي وأسرته وحراسه والتي تبعد مسافة يوم واحد من تل عطشانة)[13].

نستعرض هنا بعض المواقف التاريخية التي تؤكد سيادة العشائر الملّيّة على مناطق واسعة منذ بداية القرن الثامن عشر، (حكم كلش عفدي وأحفاده في ديار بكر ووان وبتليس على مدى ثلاثمائة عام تقريباً، وفي عام ١٧٥٨ م)[14]، دخل تمر باشا وأخاه محمود كلش عفدي مسؤول الإسكان وادي خابور، وخضعت لهما القبائل المحلية، وعندما اشتدت قوته،

١١ ـ محمد عبد الحميد الحمد، عشائر الرقة والجزيرة، ص٤١٩.

١٢ ـ محمد علي بك ابراهيم باشا، مير ميراني كردستان، اربيل، دون ذكر العام، ص٢٧.

١٣ ـ محمد علي بك ابراهيم باشا، مير ميراني كردستان ص٤٧

١٤ ـ شتيفان فيتنر، النهضة الأخرى: البدرخانيون، والمِلّيون، والجذور القَبليّة للقومية الكردية في سوريا ، ترجمة: محمد شمدين ، مجلة الحوار- العدد ٧٤- عام ٢٠٢٠-

(استولى في أورفا على السلطة عام ١٧٧٤)[15]. بعض المدونات التاريخية تعيد سيطرة الملّيّة إلى القرن السادس عشر، منذ عهد بشير بن كلش عفدي وأخيه محمود.

ذكرت الوثائق العثمانية أن الحكومة العثمانية أصدرت بحق الملّيّة فرماناً همايونياً عام ١٧١١، يقضي بنقلهم وتوطينهم في ولاية الرقة عقاباً لهم، إلا أن الملّيّة استطاعت العودة إلى مناطق نفوذها القديمة بعد تدخل اثنين من أمرائهم اللذين استطاعا أن يرفعا نظام الاسكان الذي نفذ بحقهم، وسرعان ما عادت العشيرة إلى إثارة المشاكل والقلاقل مع السلطنة وفق الرواية العثمانية مرة أخرى، مما اضطرت السلطة في اسطنبول في عام ١٧١٣ إلى إصدار فرمان همايوني آخر يقضي بنقلهم إلى ولاية الرقة مرة أخرى، فبدأت العشيرة بإثارة الفوضى في ولاية الرقة وممارسة سلوك عدواني تجاه المناطق المجاورة[16].

يحدد الباحث أحمد وصفي زكريا جغرافية (رأس العين) المنطقة التي كانت تحت سيطرة التحالف الملّي في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر بشكل دقيق، خاصة موقع تل عطشانة من الجهة الشرقية، والذي جرى عليه أحداث معركة (دوريش عفدي) كمكان لاستراحة الفرسان بعد كل جولة من المعركة، وقد امتدت أمام تل عطشانة ساحة حرب كبيرة، كسهل واسع للبدء بالمعركة.

تركّز تواجد التحالف الملّي حول مدينة راس العين بشكل أساسي في الجانب السوري من الحدود التركية، وامتدت سيطرته إلى الجنوب من جبال طوروس الشرقية، بين نهري دجلة والفرات.

هكذا نستطيع القول أن جغرافية ملحمة درويشي عفدي هي منطقة راس العين وجوارها، حيث تقع الأحداث على الحدود الجنوبية للدولة العثمانية، وتمتد ضمن ممرّ عريض إلى سهل سروج موطن عشيرة الشرقيان

١٥ ـ عباس عزاوي، العراق بين احتلالين، ص٢٤٠.

١٦ ـ محمد علي أحمد، الكرد والعشائر الكردية في الارشيف العثماني، سنة ٢٠١٧، مدارات كرد.

والدنـان، حيـث كانـت للملّيـة (١٩) قريـة داخـل الحـدود الشـامية، وقريتـان داخـل الحـدود التركيـة، و(كانـت عشـائر البـدو (الماليـة) ترتـاد البقـاع الجبليـة وسـط بـلاد الأكـراد بيـن سـيورك وبيرجيـك وديـاربكـر وويـران شـهر وأورفـه، ويقطنـون فـي سـفوح جبـل قره جـداغ مـن كانـون الثانـي إلـى نيسـان، فـإذا حلّ شـهر نيسـان هبطـوا السـهل المحيـط بغربـي رأس العيـن، وامتـدوا حتـى جبـل عبـد العزيـز، وإذا حـل شـهر حزيـران عـادوا نحـو الشـمال فـي اتجـاه دياربكـر، وفـي الخريـف يذهبـون رويـداً نحـو مشـاتيهم فـي قـره جـداغ)[17] بحثـاً عـن الأمـن الغذائـي.

ـ فضاء الملحمة

حكايـة ملحمـة (دوريشـى عفـدي) تعـود إلـى واقعـة حقيقيـة جـرت أحداثهـا بيـن التحالـف الملّـي وبيـن تحالـف التـرك والجيـس. تـورد المدونـات التاريخيـة فـي عـام ١٧٩١، فـي عهـد السـلطان العثمانـي سـليم الثالـث[18]، الفتـرة التـي سـيطر فيهـا تمـر باشـا الملّـي علـى مسـاحات واسـعة مـن السـهول والمراعـي الخصبـة فـي الجزيـرة السـورية، الـذي شـكّل بـدوره تحالفـاً قويـاً مـن عشـائر مختلفـة الأثنيـات والأديـان. ومـع انزيـاح الحـدث الحقيقـي انزياحـاً كليـاً مـن التاريـخ إلـى الأدب الملحمـي المُغنـى شـفهياً (مـا أدى إلـى الاسـتغناء الكلّـي عـن خلفيتـه المعرفيـة السـابقة تحـت تأثيـر المعرفـة الجماليـة الجديـدة والتـي يكـون فـي الغالـب جاهـلاً بهـا، وتاليـاً يصبـح أفـق توقعـه مناقضـاً لأفـق توقـع الملحمـة المُغنّـاة)[19].

إذا عرفنـا أن البـدو الرحـل لا يحبـذون الاسـتقرار في مكان واحـد، باعتبارهم يبحثـون عـن المراعـي لماشـيتهم، لذلـك تتنـوع الأمكنـة والفضـاءات الجغرافيـة الطبيعيـة والاجتماعيـة لتحتضـن قبائـل عديـدة. والتعـارف بيـن دوريـش عفـدي

١٧ ـ أحمـد وصفـي زكريـا، عشـائر الشـام، ط٢، دار الفكـر، دمشـق، سـورية، ١٩٨٣، ص ٦٦٧.

١٨ ـ السـلطان سـليم الثالـث (١٧٦١ـ ١٨٠٨)، قـام بتطويـر الجيـش الإنكشـاري بعـد سلسـلة مـن الهزائـم فـي اوروبـا بتزويدهـم بالتدريـب والاسـلحة الجديـدة، انقلـب عليـه الجيـش وقُتـل بالسـيف عندمـا كان مـع محظيتـه.

١٩ ـ رضا معروف، جدلية التاريخ والنص والقارئ، ص٢٧٥.

وعَفَر الجيسي تمّ في جبال شنكال/سنجار حيث دفنا معاً حَجَراً للتآخي في ملحمة (دوريشي عفدي) بوصفها تروي أحداث العشائر المنتشرة والمنتمية إلى جغرافيات متنوّعة. يستحضر المغني أحداثاً جرت سابقاً في أماكن أخرى كسجن ديار بكر وساحة الإعدام في أورفا، ومزار لالش النوراني الخاص بالإيزديين وأحداث مروية خارج فضاء الحدث كامتداد في الجبال أو على ضفاف الفرات وعلى تضاريس الطبيعة القاسية.

(كانت محور حركة هذه القبائل الرحل تتم شمالاً وجنوباً، حيث تكون مراعيهم الصيفية على أطراف الجبال ومرابعهم الشتوية في سهول الجزيرة السورية على ضفاف الفرات. وكانت هذه القبائل تتوزع على جغرافية أرض واسعة تقدر بعشرات الآلاف من الكيلومترات المربعة، تقع بين المدن (ديار بكر، حلب، الرقة، ماردين، الموصل) إلا أن المركز الحضريّ لجغرافية الاتحاد الملّي كانت مدينة ويران شهر، الواقعة داخل الأراضي التركية حالياً وتبعد عن الحدود التركية- السورية الحالية حوالي خمسين كيلومتراً. وقد كانت جغرافية انتشار التحالف الملّي على الشكل الآتي: (تقع منازل هذه الطوائف الكردية في الولايات الشرقية والجنوبية من تركيا، وشمالي الشرق من سوريا. يحدها قوس يمتد من بلدة الجزيرة ونهر الخابور إلى بينغول صاعداً وإلى بلدة سفريك نازلاً. ومن هناك إلى بيره جك وأورفه غرباً. وإلى الحسجة وجبل سنجار جنوباً. ومن هناك إلى ماردين والجزيرة شرقاً، فتقع مواطنها في الجنوب من جبال طوروس الشرقية وعلى نهر الفرات نحو الشرق والغرب. وتقع بلدة ويران شهر في وسط الخط بين ماردين وأورفة)[20].

استدعى الفعل الذي أنتجه دوريش عفدي في ساحة السباق أول مرة عندما بدأت أحداث الملحمة، حيث قال (أنا كحلٌ في عيني عدولة) أو (أنا عسلٌ على شَفَتَي عدولة)، لكن جاءت ردّات الفعل في أماكن مغايرة على خلفية دينية واجتماعية في فضاء شنكال المتنازع مع فضاء ويران شهر،

٢٠ ـ د. آزاد علي، الدور السياسي لعائلة إبراهيم باشا الملي في غرب كردستان وشمال بلاد الشام، ٢٠١٥.مدارات كرد.

وفضاء عشيرة حسنان وزعيمها أحمد بك الرافض تماماً لهذه العلاقة غير المتكافئة أكثر قوة وتأثيراً، وانتهت الأحداث في موقع تل عطشانة التي كانت نتيجة ردّات الفعل الأول، وما بين المكانين أو الفضائين هناك العديد من المواقع التي كانت حصيلة أفعال مُنتجة في هذا المجال، والتي تؤكد على أن الأحداث جرت على هذه المنطقة تحديداً.

إذا عرفنا أن عشيرة الشرقيان الايزيدية لها من القوّة والامتداد التاريخي في ماردين وويران شهر وجبال شنكال/سنجار، تميل الكفة التي تقف بجانبها نتيجة تعرضها لمآسي حملات الإبادة بحقهم، فمن واجب دوريش عفدي ووالده، الدفاع عن الجغرافية التي عاشوا عليها كفضاء للتسامح يضم العشائر الكردية والعربية والتركمانية بغض النظر عن تحالفاتها.

جرت أحداث المعركة في تل عطشانة كوجود حقيقي بتفاصيلها الطبيعية، وإلى الأسفل منها، امتدت ساحة المعركة إلى جانب (أرض الفئران)، يُقتل دوريش عفدي فيها بخدعة، ويُدفن بعد المعركة على التل القريب من قرية أولاقجي[21] التابعة لمنطقة ويران شهر، ولازال قبره موجوداً حتى الآن، حيث يبتعد المكان خمسة عشر كيلو متراً عن مدينة (ويران شهر) من جهة الجنوب، وفي صياغة أخرى يبتعد المكان مسافة (ثلاثة أيام بلياليها مشياً على الأقدام) عن مضارب الملّيّة، بينما تسكن عشيرة الشرقيان والدنان على مسافة نصف يوم من مضارب الملّية في الملحمة، وهذه المسافة تحدد العلاقة المتوترة بين تمر باشا ودوريش عفدي.

الخيمة نمط عمراني مفتوح يكشف من في داخلها بسهولة، ويحدد هذا النموذج من العمران شبكة العلاقات القانونية بين العشيرة وزعيمها، فضلاً عن أنها مكان اللقاء واتخاذ القرارات المصيرية، وبالتالي ليس فضاء مكانياً فحسب إنما فضاء للعلاقات الاجتماعية والقانونية والعسكرية الممتدة إلى عشيرة الدنان الإيزيدية وزعيمها بويك بك في سهل سروج التابعة لولاية أورفه وإلى فضاءات البلدات والمدن الأخرى.

٢١ ـ حسو هورامي، قراءة في ملحمة درويشي عفدي. بحزاني نت١,١,٢٠٢١ . قرية عشيرة الدنان في المدونات التاريخية.

كانت الملّيّة (تقيم تحت خيام الشعر في جهات ويران شهر من أعمال قضاء رأس العين التابعة للواء دير الزور)[22]، بينما التلّ الذي احتضن جثث فرسان الملّيّة منتهك، وما بين المكانين، تمتد أرض شاسعة للصراعات والتفاوضات والتحالفات ضمن تجمعات أثنية، ممتلئة بالأحداث الجانبية التي تطاول مزار أبو مسلم الخرساني وسجن آمد كأماكن حقيقية، إذ لازال المزار يُزار، ولازال السجن يضم سجناء.

بعض المصادر التاريخية تشير إلى أنه كان لتمر باشا قصر في ويران شهر بعد مرحلة التوطين والاستقرار في الرقة، وهذا ينفي ثقافة الخيمة والبداوة وعلاقة الشخصيات بالمكان، لكن نفرق هنا بين مكان سكن تمر باشا التاريخي (قصره في ويران شهر) ومكان رعي الماشية (الخيم، المضافة) في الملحمة المُغنّاة، وبالتالي فالمكان حقيقي ومُتخيّل في التفاصيل التي تخدم أحداث الملحمة ويتشكّل في كل أداء غنائي، بينما تنحرف الشخصيات المرتبطة بالمكان وزمن الأحداث نحو المبالغة في التصرفات والأفعال، إلا أن معطيات الملحمة تشير إلى خيمة تمر باشا وليس إلى قصره.

المكان هو الموقع الذي يتعامل معه الانسان، يتسع تدريجياً ليطاول البيئة الطبيعية والأحداث الجارية على تخوم الدولة العثمانية، كمثال، يتواجد فرسان الملّيّة المحاربين في تل عطشانة الذين يواجهون قوات الترك والجيس، لكن هناك فرسان آخرون غير موجودين في هذه المعركة لأن دوريش عفدي لم يختر أحداً منهم للمعركة، لذلك تميّز هذا الموقع بوظيفته وليس بتضاريسه الجغرافية، وهؤلاء الفرسان (المحاربين) لا نجدهم يرافقون تمر باشا الملّي في رحلات الصيد والمصايف.

خاتمة

ثمة علاقة وثيقة بين الأحداث والأماكن تتحدد خصوصيتها في الملحمة وبالانتقال إلى أماكن أكثر عمومية مثل الأنهار والينابيع وساحة المبارزة،

٢٢ ـ أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، ط٢، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٩٨٣، ص ٦٦٧.

وخصوصية مضافة تمر باشا الملّي الخاصة بالفرسان، وتل عطشانة، فالخصوصية في المضافة تمثل رفاهية المالك. هذه الأماكن لها فاعليتها في الأحداث الرئيسية، غير أن تمثيل هذه الأماكن يعتمد على مواجهة الشخصيات ما يمنح المستمع كشف طبيعة الصراع ونوايا كل شخصية، بينما الأماكن الأكثر وضوحاً من حيث التعامل في الطبيعة كالأماكن المغلقة (الخيمة)، تدفع المستمع للوقوف على سلطة تمر باشا الملّي الذي يفكر بالانتقام من دوريش عفدي والذي بدوره اخترق الأماكن المحرمة علناً (مخدع عدولة)، والفعل الذي استقر في أذهان أحمد بيك في كردستان الشرقية، مما ينتقل المستمع من مكانه إلى فضاء متخيّل.

هل يمكن للوعي الكردي أن يتجاوز حدود المكان الطبيعي ليعبر إلى أبعد الأبعاد الممكنة للحقيقة؟ هل يمكن فصل أحداث الملحمة عن جغرافيّتها؟

لمحة عن التاريخ الحديث
لمدينة سري كانيه/رأس العين عروسة الجزيرة

عبد العزيز محمد أيو
محامي وناشط

تُعتبر مدينة سري كانيه/ رأس العين السورية واحدة من أقدم المدن التي شهدت تعاقب الحضارات المختلفة، حيث تمتد جذورها التاريخية لآلاف السنين. يشهد على ذلك تل الفخيرية الذي يحتضن بقايا مملكة "ميتاني" وعاصمتها "واشوكاني". ومن هذه المملكة خرجت شخصيات تاريخية بارزة مثل الملكة "نفرتيتي" ابنة الملك توشراتا، والتي ساهمت في نقل معتقدات التوحيد إلى مصر عبر زواجها من الفرعون أخناتون.

وكذلك تل حلف الذي كان مقراً لمملكة "بيت بخياني" وعاصمتها "جوزانا" التي حكمها الملك كابارا بن قاديونو.

عبر القرون، شهدت رأس العين / سري كانيه تفاعلاً دينياً وثقافياً كبيراً، فكانت موطناً للعالم الطبيب الشهير "سيرجيوس راسعيني"، الذي عاش بين القرنين الخامس والسادس الميلادي، وهو أول من ساهم في نقل الثقافة من اليونانية إلى السريانية (نقلاً عن الباحث صلوح يوسف) ولقد برع في الترجمة والأمانة العلمية.

كما كانت موطناً للقديس "مار أحو" الذي نشر رسالة المحبة والسلام وبنى الكنائس والمعابد. بالإضافة إلى كل ذلك، لا تزال هناك الكثير من المعالم التاريخية غير المكتشفة في المنطقة، التي تنتظر جهوداً لاكتشافها وإحياء قيمتها التاريخية.

في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فُتحت المدينة على يد الصحابي عيّاض بن غنم، ورافقه الصحابي خالد بن الوليد في هذه الفتوحات، والذي يقال إنه أُسر فيها في بعض الروايات، وفي روايات أخرى يقال إنه دخلها للتفاوض.

ودخلت المدينة تحت الحكم الإسلامي وتعرّضت لغزو الصليبيين، وضمّها الأيوبيّون لدولتهم، واستخدمها صلاح الدين الأيوبي كقاعدة لقواته. كما لم تسلم المدينة من غزوات تيمورلنك الذي دمّرها عام ١٤٠٣.

في العصر العثماني، كانت رأس العين / سري كانيه جزءاً من مراعي القبائل الملّيّة، ويعود تاريخ اتحاد قبائل وعشائر المللي في المنطقة في أقل تقدير إلى ما قبل عهد السلطان العثماني سليم الأول ١٥١٢ (أحمد عثمان بكر، أكراد المللي وإبراهيم باشا الملي) حيث كانت تنتشر قبائل التحالف الملّلي في المنطقة.

دخل الفرنسيّون إلى رأس العين في أيار عام ١٩٢٢ وأنشأوا ثكنة عسكرية (قشلة) فيها، والتي تشمل الآن موقع مديرية التجنيد والجمارك وقسم المخابرات العسكرية ومؤسسة المياه والمركز الثقافي وبناء المجمع

الحكومي.

وبعد انفصال الحسكة عن متصرفية دير الزور، تم تعيين السيد نسيب صادق الأيوبي متصرفاً للحسكة، ليتم لاحقاً تحويل رأس العين إلى ناحية تحت إدارة السيد محمد العلي. وفي عام ١٩٦٤ أصبحت رأس العين/ سري كانييه منطقة إدارياً تتبعها ناحية الدرباسية وناحية أبو راسين، وهي متاخمة للحدود التركية، وتمتد حدودها لأكثر من ١٠٠ كم، وبلغ عدد سكان المنطقة وفق إحصاء ٢٠٠٤ حوالي ١٧٧,٠٠٠ نسمة، وعدد سكان المدينة نحو ٨٠,٠٠٠ نسمة.

تم بناء أول مدرسة ابتدائية في رأس العين في نهاية العشرينات من القرن المنصرم، ودشنت في عهد الرئيس تاج الدين الحسيني. وكانت الدراسة في المدينة مختلطة حتى الثمانينات من القرن المنصرم. وتوجد في رأس العين ثلاثة مدارس ابتدائية خاصة إضافة إلى المدارس الحكومية، وكانت توجد أيضاً إعدادية قطف الزهور التي أُغلقت بقرار من حكومة الوحدة السورية - المصرية.

الحياة الاجتماعية:

تميّزت رأس العين بالتعايش المشترك بين مكوناتها المختلفة من مسلمين ومسيحيين وإيزيديين وأكراد وسريان وعرب وشيشان وأرمن.

وصل الشيشان إلى منطقة رأس العين في عام ١٨٥٨، وكان عددهم كبيراً. قام السلطان العثماني بتوطينهم على ضفاف نهر الخابور. إلا أن الكثير منهم ماتوا نتيجة تغيّر الظروف المناخية وتفشّي مرض الملاريا بينهم.

توافد الأرمن والسريان إلى مدينة رأس العين أثناء الحرب العالمية الأولى، بسبب المجازر التي لحقت بهم، وعلى إثر مذابح الأرمن والتهجير القسري لهم، ومجازر السيفو عام ١٩١٥. وصل عدد العوائل الأرمنية في رأس العين إلى ٤٧١ خانة، إلا أن الكثير منهم هاجروا بعد الستينات إلى مدينة حلب وإلى لبنان وإلى جمهورية أرمينيا وإلى مناطق أخرى،

وبقيت عوائل قليلة جداً. وهناك المردلية (نسبة لمدينة ماردين) وهم الذين هاجروا من ماردين وريفها ومنهم مسيحيّون وقسم منهم مسلمون ويوجد بينهم عرب وكورد.

توجد قبائل عربية مثل العدوان والجيس والشرابيين وحرب، والغراجنة. كما توجد عائلات عربية من عشائر طي والبكارة وجبور والعبيد والعفادلة. ويوجد في رأس العين بعض العائلات من الأصول التركمانية.

وخلال خمسينيات القرن الماضي، شهدت مدينة رأس العين تدفقاً لعدد من العائلات من منطقة حوران في سوريا. جاء هؤلاء بحثًا عن فرص عمل وظروف معيشية أفضل، واستقروا في الجزء الجنوبي من المدينة. انخرط معظمهم في أعمال تتناسب مع احتياجات المدينة آنذاك، مثل السقاية، والعتالة (نقل البضائع) والزراعة. وعاد القسم الكبير منهم إلى حوران.

و عاش الجميع في وئام وسلام. وكانت المدينة تحتوي سابقاً على ثلاث كنائس ومسجدين فقط، مما يعكس التنوع الديني.

الزراعة:

كانت رأس العين تُعرف بكونها منطقة زراعية غنيّة، بفضل وفرة مياهها ومرور نهر الخابور فيها، وروافده كالجرجب وزركان في شرقها، إضافة إلى ينابيعها الغزيرة والينابيع الكبريتية (المعدنية).

الثورة الزراعية الحقيقية في منطقة رأس العين بدأت عندما أبرمت شركة "أصفر ونجار" اتفاقاً مع عائلة إبراهيم باشا المللي لاستثمار جزء من أراضيهم الزراعية. اعتمدت الشركة على تقنيات زراعية حديثة تشمل استخدام الجرّارات، البذور المُحسّنة، أدوات الحصاد المتطورة، ونظم الري المتقدمة. ساهمت هذه الأساليب في تحسين الإنتاجية وتطوير عملية التسويق، مما أحدث نقلة نوعية في الزراعة بالمنطقة. ولولا قرارات الإصلاح الزراعي وقرارات لجان الاعتماد التي بموجبها تم الاستيلاء على تلك المشاريع والأراضي لتغيّر وجه رأس العين والمنطقة نتيجة لتلك

المشـاريع.

وكان هنـاك مزارعـون كبـار فـي رأس العيـن/ سـري كانييـه أمثـال السـادة أراكيـل كشيشـيان وحبيـب مريمـو وآل العاصـي وجـورج شـماس وآل الـرزة وجـان اسـمريان وغيرهـم مـن المزارعيـن.

لكـن للأسـف جفَّ نهـر الخابـور وتلـك الينابيع نتيجـة عوامل بيئيـة وتدخلات بشـرية، وعـدم إيجـاد حلـول علميـة وعمليـة مـن قبـل الدولـة، وحفـر الآبـار الارتوازيـة بطريقـة عشـوائية.

بلغـت مسـاحة الأراضـي الزراعيـة الصالحـة للزراعـة فـي منطقـة رأس العيـن حوالـي ٢٤٠,١١٩ هكتـاراً، منهـا ١٦١,٦٤٠ هكتـاراً تـزرع بشـكل بعلـي، و٧٥,٤٤٥ هكتـاراً تـروى بميـاه الآبـار المرخصـة التـي يبلـغ عددهـا ٨,٣٥٥ بئـراً، إضافـة إلـى ٣٦٨ بئـراً غيـر مرخصـة. كان المصـرف الزراعـي فـي رأس العيـن يصـرف سـنوياً نحـو ٢٥ مليـار ليـرة سـورية لشـراء الحبـوب والأقطـان والأسـمدة والبـذور، ناهيـك عـن القيمـة المرتفعـة للمحاصيـل الزراعية الموسـمية.

الينابيع والبساتين:

كانـت مدينـة رأس العيـن تُعـرف منـذ زمـن بعيـد بوفـرة ينابيعهـا العذبـة التـي كانـت ترفـد نهـر الخابـور، حتـى أصبحـت هـذه الينابيـع سـمةً مميـزة لهـا، ولقّبـت بسـببها بـ»رأس العيـن» / سـري كانيـه بالكرديـة. تواجـدت تلـك الينابيـع جنـوب المدينـة، وكان يُقـال أن عددهـا بلـغ ٣٦٠ نبعـاً، تتدفـق مياههـا لتـروي عطـش الأرض وتغنـي المدينـة بحكاياتهـا المنسـابة عبـر الزمـن.

مـن بيـن تلـك الينابيـع، كان هنـاك نبـع "حبيـب" الـذي اسـتمد اسـمه مـن موقعـه قـرب بنـاء السـيد حبيـب مريمـو، ليصبـح مصـدر حيـاة لأهالـي المدينـة الذيـن كانـت جرارهـم تمـلأ منـه. إلـى جـواره، كانـت تنبـض ينابيـع أخـرى بأسـماء تضفـي طابعـاً مـن الأصالـة علـى المـكان، مثـل نبـع "أروخـوم"، "السـيارات"، "قـدس"، "الفـوارة"، "السـالوبا"، و»عيـن البنـات» فـي بسـتان أبـو سـليمان، و»عيـن الجبـارة»، "بانـوس"، "جامـوس". كلّ منهـا يحمـل ذكـرى

ترتبط بوجود أهالي رأس العين وذاكرتهم. كانت تلك العيون والينابيع مياهاً زرقاء رقراقة، تمدّ يديك وتغرف منها لتشرب.

لم تقتصر جاذبية رأس العين على ينابيعها فقط، بل امتدت إلى بساتينها الغنّاء، تلك المساحات الخضراء التي كانت بمثابة واحات سحرية بين أرجاء المدينة. لكلّ بستان منها قصةٌ ورائحةُ ترابٍ مميزة؛ بستان "أبو هاكوب"، "بستان سلمى"، "بستان الخالة سيرانة"، و»منتزه ومقصف سيروب»، و»منتزه ومقصف الرياض». كانت هذه البساتين ملاذاً للجميع، تضجّ بالحياة كما كانت تضج بالأحاديث والأماني المخبّأة تحت ظلال أشجارها الوارفة.

أما المنتزهات، فكانت نبضاً آخر من نبضات المدينة، يجتمع فيها أهلها بحثاً عن الراحة والمتعة. كان منتزه بستان سلمى الذي أنشأ عليه السيد عبد الرزاق حسو منتزه مشوار و»حديقة قصر» و»أصفر ونجار» أكثرها شهرة، يجسّدون روعة الطبيعة وكرم أهل المكان في استقبال زائريهم.

وعلى مقربة من "عين حصان"، كانت تُقام احتفالات عيد النيروز، حيث تنساب الأنغام وترتفع الأهازيج، لترسم في الأذهان ذكرياتٍ لا تُنسى، يستعيدها أبناء المدينة كلّما مرّوا بتلك الأماكن أو جال في خواطرهم عبقُ الماضي.

لقد كانت رأس العين، بعيونها المتدفّقة وبساتينها الحالمة، لوحةً منسوجةً من الجمال والذكريات، كلّ زاوية فيها تحمل بين طياتها حكاية، وكل نبع ينبض بروح المكان وعراقة تاريخه.

قطار الشرق السريع:

خط قطار الشرق السريع الذي يمر بشمال مدينة رأس العين على الحدود التركية له مكانة خاصة في ذاكرة أبناء المنطقة. صوت صفيره وحركته يختزلان ذكريات وحكايات لا تُنسى. يُعتبر هذا القطار جزءاً من تاريخ رأس العين، حيث عاش السكان المحليّون لحظات مليئة بالمشاعر على مر الزمن، سواء في انتظار وصول أحبائهم، أو في استرجاع قصص

قديمة مرتبطة بهذا القطار الذي شكل جزءاً من الحياة اليومية لسنوات عديدة. وقد ربط رأس العين منذ الثلاثينات من القرن الماضي بمدينة حلب. أما المحطة نفسها فقد أُنشئت في عام ١٩٤٠.

الحياة السياسية:

كان لكلّ الأحزاب السياسية السورية وجود في رأس العين: الحزب الشيوعي السوري، الحزب القومي السوري الاجتماعي، الاتحاد الاشتراكي، حزب البعث العربي الاشتراكي قبل انقلاب ١٩٦٣، جماعة الإخوان المسلمين، والحزب الديمقراطي الكوردستاني في سوريا، وهو أول حزب سياسي كردي في سوريا وأصبح له تواجد في رأس العين سريعاً بعد تأسيسه في عام ١٩٥٧م.

مثّل سري كانيه/ رأس العين في البرلمان السوري السيد خليل بيك إبراهيم باشا الملّلي منذ تأسيسه إلى عام ١٩٥٠، وكان واحداً من أعضاء اللجنة الدستورية لكتابة أول دستور لسوريا ونال وسام أُميّة، الذي لا يُمنح إلا لمن قدّم خدمات كبيرة لسوريا. وبعده كان ابن أخيه محمد إسماعيل إبراهيم باشا المللي عضواً في البرلمان السوري من عام ١٩٥٠ إلى عام ١٩٥٤، وبعده كان ابن أخيه السيد خليل محمود إبراهيم باشا المللي (خليل معمو) الذي عُرف بجوده وكرمه وخدماته التي كان يقدمها لكل من لجأ له. ودخل البرلمان السوري أيضًا السيد عبدالكريم أَخْتا- الشيشاني الأصل-. وكان السيد عبدالعزيز حسن بيك أحد أعضاء اللجنة الدستورية في الأربعينات من القرن الماضي وكان أول نقيب للمحامين في محافظة الحسكة وأصبح وزيراً للعدل.

الحياة الثقافية والفنية:

في ستينيات القرن الماضي، شهدت مدينة رأس العين نهضةً ثقافيّة وفنيّة ورياضيّة تجلّت في ازدهار المسرح والفنون المختلفة. كان هذا العصر، بحق، عصر الإبداع المسرحي والفني الذي برز فيه العديد من الأسماء المضيئة التي أسهمت في بناء هذا المشهد الثقافي.

في طليعة هؤلاء المبدعين، يبرز اسم السيد محمد نابلو (أبو علي)، الذي كان رائداً في مجال المسرح، مقدماً العديد من الأعمال المتميزة التي حظيت بإعجاب الجمهور، وكان من أبرزها مسرحية "براويز". بعده، جاء جيل جديد من الفنانين والشغوفين بالمسرح، أمثال السيد إبراهيم دوشي والسيد أنطون كرمو، الذين واصلوا حمل شعلة الفن، برفقة مجموعة من شباب المدينة الموهوبين، ليكملوا مسيرة أبي علي ويساهموا في إثراء الحياة الثقافية في رأس العين.

وقُدّمت الكثير من الأعمال المسرحية على مسارح أعياد النيروز من قبل الأحزاب الكوردية، وبرز الفنان المسرحي محمد عرب. لم يكن المسرح وحده هو المزدهر في هذه الفترة، بل كانت الموسيقى أيضاً حاضرة بقوة. فقد تشكلت فرقة موسيقية متميزة ضمت السيد ناجي الرهاوي، والمبدع عبد اللطيف مزعل، وضمَّت أيضاً ظافر ديبو. برع السيد ناجي الرهاوي، بشكل خاص، في العزف على آلة العود، ليضع بصمته الفنية الفريدة ويثري المشهد الموسيقي في المدينة.

آل الرهاوي هي عائلة معروفة في منطقة رأس العين، وكان لها تأثير كبير على الحياة الفنية هناك. يعود هذا التأثير إلى تعدد المواهب الفنية في هذه العائلة التي ساهمت في إغناء المشهد الثقافي والفني للمنطقة. شملت هذه المواهب مجالات مثل الموسيقى، الرسم، المسرح، مما جعل من العائلة رمزاً للإبداع والتميز في المنطقة.

وقد لعب الشاعر والأديب الكردي المعروف يوسف برازي (١٩٣١-٢٠٠٩)م ، الملقب بـ(بي بهار Bêbuhar)، دوراً ملحوظاً في سري كانيه بنضاله القومي حيث كان من أوائل المنضمين لأول حزب كردي في سوريا وبدوره الأدبي واهتمامه باللغة الكردية، وقد اعتقل بسبب ذلك من قبل السلطات، مع مجموعة من النشطاء في العام ١٩٦٦.

أنجبت المدينة أيضاً العديد من الفنانين والمطربين الذين شقّوا طريقهم إلى الشهرة. كان من بينهم المطرب نواف مزعل، الذي اكتسب شهرة واسعة في دمشق، قبل أن ينتقل إلى بريطانيا ليواصل مسيرته الفنية. وكذلك

الفنانان الشقيقان محمود عزيز ومحمد علي شاكر، اللذان قدّما العديد من الأغاني والألحان الكردية التي نالت إعجاب الجمهور على مستوى كبير جداً تجاوز حدود سوريا، وخصوصاً الفنان محمود عزيز، الذي تميز بمشاركته من خلال فرقة "سركفتن" في تقديم الأغاني على مسرحي سينما "ريفولي" و»الجندول» في بيروت خلال السبعينيات، بحضور نخبة من الفنانين والشخصيات السياسية البارزة، وعلى رأسهم رئيس مجلس الوزراء اللبناني آنذاك، السيد صائب سلام. كما قدم مع الفرقة المذكورة حفلاً فنياً في الأردن بناءً على طلب من جمعية صلاح الدين في الأردن. وكان له حضور مميز في الإذاعة الكردية ببغداد، حيث سجل العديد من الأغاني التي لا تزال محفورة في الذاكرة.

وبرز أيضاً كل من الفنانين أوميد سليمان وخضر سليمان وروني جان (محمد حسو) وحمي أبو زيد ومصطفى خالد وجوهر أوسو. وكان لعائلة كيكي دور في المشهد الموسيقي والثقافي المحلي من خلال الفنانين صلاح وسعيد ومحمد أمين كيكي، حيث تعاونوا في العزف على الآلات الموسيقية والغناء وتنظيم الأنشطة الفنية. هذا يعكس دور العائلة في الحفاظ على التراث الموسيقي وتقديمه للأجيال القادمة في المنطقة. وبرز أيضاً المطرب محمود عبوش الذي كانت هوايته الغناء منذ صغره، والفنان عمر سليمان الذي وصلت شهرته إلى كل مكان.

هكذا كانت رأس العين في تلك الفترة منارة للفن والموسيقى، حاضنة للإبداع، وموئلاً للمواهب التي أثرَت الساحة الفنية والثقافية بأعمال خالدة تردد صداها في أرجاء المنطقة، وظلّت شاهدة على عصر ذهبي من تاريخ المدينة.

الرياضة:

شهدت الرياضة نشاطاً ملحوظاً، لا سيما في كرة القدم. تم تشكيل العديد من الفرق والأندية الأهلية، منها هومنتمن، فريق السوري، فريق الخابور، فريق الجزيرة، وفريق صلاح الدين. ونشطت فرق كرة الطائرة والسلة وبرز في هذه الألعاب أسماء لاعبين كبار.

ومع ذلك، كانت الرياضات التي حازت على شهرة أوسع في المدينة تشمل رياضة كمال الأجسام، المصارعة، وحمل الأثقال، حيث برز العديد من الرياضيين في هذه المجالات، ما أكسب المدينة مكانة مرموقة في عالم الرياضة المحليّة. ومن أبرز هؤلاء الرياضيين البطل نوري أيوب المللي، الذي فاز عدة مرات ببطولة الجمهورية في كمال الأجسام لفئة الطويلة لأعوام ١٩٥٨ و١٩٦٠ و١٩٦١ و١٩٦٣ و١٩٦٥، ورُشّح لبطولة العالم لعام ١٩٦٦، إلا أن ظروفه لم تسمح له بالسفر. وكان راعياً ومدرّباً لهذه الألعاب وهو حكم دولي مجاز.

كما كان لبقية الألعاب الرياضية دور وحقق اللاعبون مراكز متقدمة في المسابقات مثل الكاراتيه والجودو وكرة الطاولة والجري وسباق الدراجات.

من الثورة إلى الاحتلال التركي:

مع اندلاع الثورة السورية، شارك أهالي رأس العين بفعالية في المظاهرات السلمية، لكن سرعان ما تحولت المدينة إلى ساحة للصراع المسلح. في ١٨ نوفمبر ٢٠١٢، دخلت المجاميع المسلحة، مثل "غرباء الشام" و»كتائب الفاروق» و»جبهة النصرة» إلى رأس العين، مما أدى إلى انقسام المدينة إلى قسمين: القسم الغربي تحت سيطرة تلك الفصائل، والقسم الشرقي تحت سيطرة وحدات حماية الشعب الكردية. بعد اشتباكات عنيفة، تمكّنت الوحدات الكردية من السيطرة على المدينة بالكامل.

في ٩ أكتوبر ٢٠١٩، شنّت القوات التركية، بمساندة الفصائل المسلحة التابعة لها، عملية عسكرية أُطلق عليها "نبع السلام"، تحت ذريعة حماية أمنها القومي، مما أدى إلى نزوح معظم سكان رأس العين نحو مدن الحسكة، القامشلي، الدرباسية، وعامودا، حيث أنشئت لهم مخيمات إيواء، مثل مخيم «سري كانيه» و "واشوكاني".

اليوم، يعيش الآلاف من النازحين في ظروف صعبة للغاية، وسط قلة التجهيزات واللوازم المدرسية، وتدني الخدمات الأساسية، وارتفاع تكاليف المعيشة.

تعيش المدينة اليوم واقعاً مريراً تحت سيطرة القوات التركية والفصائل الموالية لها، مما يعرف بـ»الجيش الوطني السوري» مثل "فصيل الحمزات" و»السلطان مراد»، الذين فرضوا سطوتهم على المدينة وأهلها. يُعد التنقل من وإلى رأس العين أمراً في غاية الصعوبة والخطورة، وتتعرض كل محاولة للعودة من قبل الأهالي للتحقيقات والاعتقالات التعسفية. تم إسكان الوافدين من إدلب ومناطق أخرى في منازل السكان الأصليين بعد الاستيلاء عليها، ما أدى إلى تغيير ديموغرافي كبير، وأصبحت المدينة مقراً لصراعات الفصائل على النفوذ والغنائم.

في ظل هذه الأوضاع، بات من الضروري العمل على تنظيم تحركات دولية ومحلية لتسليط الضوء على معاناة أهالي رأس العين من خلال:

- تنظيم اعتصامات سلمية أمام سفارات الدول المعنية للضغط على تركيا لإنهاء احتلالها.
- تقديم الدعم الإنساني والإغاثي للنازحين، سواء داخل المخيمات أو في أماكن نزوحهم الأخرى.
- مطالبة المجتمع الدولي والمنظمات الحقوقية بتحمل مسؤولياتها وإطلاق سراح المعتقلين والمختطفين، وضمان عودة النازحين إلى منازلهم.
- توثيق الانتهاكات الجارية في المناطق المحتلة، والتواصل المستمر مع المنظمات الدولية.
- تنظيم ندوات ومحاضرات لشرح معاناة النازحين، ونشرها إعلامياً بشكل دوري.

إن ما يعانيه أهالي رأس العين من نزوح قسري، وتشرّد وفقدان ممتلكاتهم، يتطلب جهوداً حثيثة من المجتمع الدولي وأبناء المدينة في الشتات، لتبني قضاياهم والعمل على إنهاء معاناتهم التي امتدت على مدار سنوات دون حل.

رأس العين في بعض وثائق الأرشيف العثماني خلال القرن ١٩م (ملحق وثائقي)

إعداد: بدرخان علي

أولاً - رأس العين في ولاية/إيالة كردستان العثمانية:

- إيالة (ولاية) كردستان العثمانية تأسست في العام ١٨٤٧م و دامت حتى ١٨٦٧م.

ورد في «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» الذي وضع العام ١٨٦٣م، مايلي:

ولاية كردستان (مركزها مدينة دياربكر)، وهي ثلاثة (٣) ألوية:ماردين، وإسُعُرد (أو سُعُرد)، ودياربكر[1]. وماردين: مدينة في تركية الآسيوية

١ - المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية – تأليف: س. موستراس،

(الأناضول)، مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية كردستان[2]. و نصيبين: بلدة في تركية الآسيوية (الأناضول)، في ولاية كردستان، لواء ماردين[3]. و رأس العين: مدينة في تركية الآسيوية، في ولاية كردستان، لواء دياربكر على نهر الخابور[4].

- كتاب من قائمقام ماردين إلى والي إيالة كردستان عام ١٨٦١م.

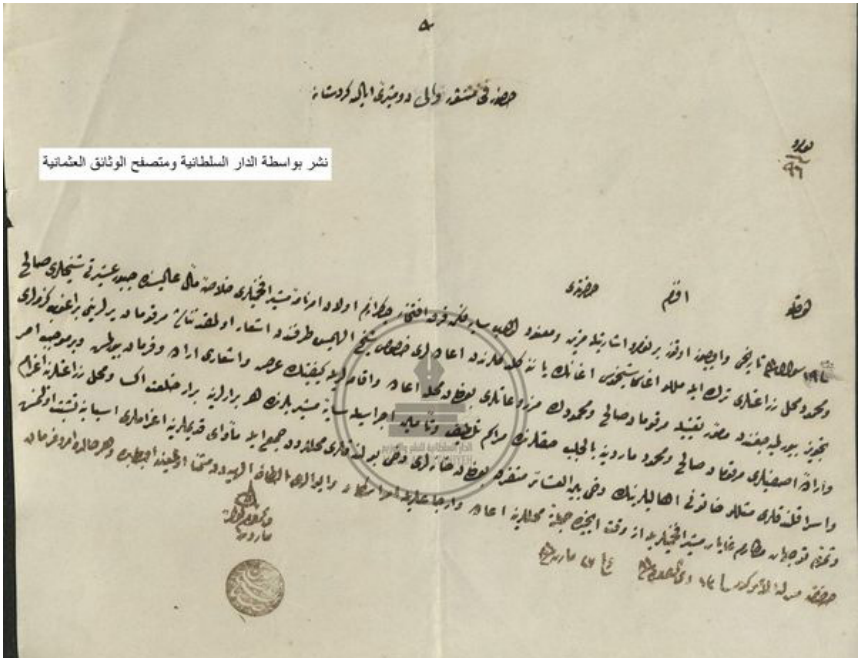
نشر بواسطة الدار السلطانية ومتصفح الوثائق العثمانية

رفع قائمقام ماردين «السيد عبد الرحمن ضيا» إلى والي كردستان «السيد مصطفى» كتاب ذكر فيه طلب عودة عشائر من الجبور برئاسة الشيخ «محمود» والشيخ «صالح»، كذلك عودة عشائر من الملي: برئاسة

ترجمة وتعليق(ترجمة عن الفرنسية): عصام محمد الشحادات ، دار ابن حزم، بيروت، طبعة ٢٠٠٢م، ص ٢٤.

٢ - المصدر السابق ، ص ٤٥٢.

٣ - المصدر السابق، ص ٤٧٩.

٤ - المصدر السابق ، ص ٢٧٦.

«شيخموس آغا» إلى أماكنهم القديمة في سنجق ماردين بعد أن اضطرتهم الأحداث ومعارك القبائل، إلى هجرتها والنزوح إلى أماكن ثانية. كما أكد قائمقام ماردين على تكريم الشيوخ وتشجيعهم ودعمهم على زراعة أراضيهم التي سيعودون إليها حتى يتمكنوا من تأمين سبل عيشهم وراحتهم[٥].

وثيقة من الأرشيف العثماني رقم I.MVL.537

تاريخ: ١٢٨١ هجري الموافق ١٨٦٤ ميلادي

كتاب من والي كردستان إلى الصدارة العظمى يبيّن فيه حالة رأس العين الزراعية والأمنية والسكنية/ فبعد قرار التشكيلات الإدارية التي شملت المنطقة كانت هناك عدة تشكيلات مؤقتة لحين قرار تعيين حدود لواء الزور كما جاء في اجتماع حلب عام ١٨٦٤م.

وقد طلب والي كردستان إنشاء قشلة للعسكر تغطّي منطقة الجول تضم رأس العين و ويران شهر ومنابع نهر الخابور وجبل عبدالعزيز، وأطلق على تلك المنطقة اسم الجول، ويجب تشجيع الزراعة وصناعة الصابون وحماية المنطقة من هجمات البدو وإسكان العشائر الموجودة في المنطقة مثل عشيرة شمر وتعداد خاناتها ٣٠٠ خانة، وشيخها الهميس وهو على استعداد للتوطين مع عشيرته، فيجب تشجيعه وتخصيص راتب له، كذلك تخصيص رواتب لمشايخ العشائر البدوية الأخرى، بعد أن يعطوا التعهد بالعمل بالزراعة وترك الغزوات والاعتداءات، كذلك فإن عشيرة الجبور التي تنتشر في منطقة الخابور وهي على استعداد للاستقرار والتوطّن بتعهد شيخها محمد الأمين وتعداد خاناتها ٥٠٠ خانة، وهناك عشائر أخرى مختلطة في المنطقة تعهدت بالعمل بالزراعة، فيجب تشجيعها على ذلك ومتابعة ذلك من حاكم سنجق دياربكر ولا بد أيضاً من تحديد خطوط الحدود الفاصلة مع منطقة سنجار وتلعفر وذلك لحسن سير عملية الإعمار[٦].

---

٥ الدار السلطانية ومتصفح الوثائق العثمانية ، الباحث أحمد السلامة.

٦ - أحمد السلامة القيسي، ترجمة وإعداد، لواء الزور في الوثائق

وثيقة من الأرشيف العثماني رقم : A.MKT.MHM.350.27.2

تاريخ ١٢٨٢هجري الموافق ١٨٦٥ ميلادي

كتاب من ولاية كردستان لتكريم «عباس بك» محافظ منطقة الجول (رأس العين والخابور وويران شهر وأجزاء من سنجار وتلعفر) بعد انتهاء مأموريته في محافظة الجول، وقد أحسن الخدمة في إسكان العشائر والمهاجرين وكان صاحب غيرة وشجاعة وعلى قدر المسؤولية.

أنشئت هذه المحافظة بعد صدور قرار الولايات وتعمير مناطق حوض الفرات والخابور والبليخ لكنها مع تنظيم حدود لواء الزور ضمت إليه بتاريخ ١٨٧٢م)[٧].

وثيقة من الأرشيف العثماني رقم : MVL.775.74.20

تاريخ : ١٢٨٣ هجري الموافق ١٨٦٦ ميلادي

كتاب من مأمور الإسكان والمهاجرين إلى قائمقام ماردين

يذكر المأمور بأن المهاجرين الذين جاؤوا[٨] من منطقة الشيخان وقوج حصار خلال أيام العيد قد خلقوا منازعات مع الأهالي الموجودين في المنطقة وقد وصلوا إلى منطقة رأس العين؛ فلا بد من إسكانهم وعملهم في الزراعة وزيادة دعم الخزينة الجليلة من المال لزيادة المصاريف الحاصلة وإكمال إسكان المهاجرين في رأس العين، ومتابعة ذلك من الوالي، وتسوية

العثمانية ، الجزء الثاني، مركز التاريخ العربي للنشر، اسطنبول، ط١ ، عام ٢٠٢٠م، ص ١٩٠.

٧ - المصدر نفسه، ص ١٩٢.

٨ - المقصود بالمهاجرين هم الشيشان الذين هُجّروا من موطنهم في القفقاس بعد التوسع الروسي، وقد وطنتهم الدولة العثمانية في عدة مناطق منها رأس العين، وكانت قوج حصار(وهي مدينة «قزل تبه» الحالية، الواقعة في تركيا بالقرب من الحدود السورية التركية) إحدى محطات وصولهم قبل إرسالهم إلى رأس العين.

أوضاعهم بالسرعة الممكنة لإنهاء الخلاف الحاصل[٩].

ثانياً : رأس العين في ولاية دياربكر:

- تخبرنا سالنامه ولاية دياربكر لعام ١٢٨٦ هجري، الموافق لعام ١٨٧٠م، أنّ قضاء رأس العين كان يشمل نواحي بأسماء العشائر والقبائل الكردية التالية (ملّلي، كِيكي/كيكان، خَلَجَان، دَقوري)، وهذه العشائر كانت من نمط أنصاف رحّل، أي تسكن في قرى وتمتلك خياماً بنفس الوقت، وتنتجع في المنطقة في مناطق تجوالها الاعتياديّة في بريّة ماردين المُمتدة حتى الخابور وجبل عبد العزيز وبادية رأس العين.

- قضاء رأس العين في سالنامه ولاية دياربكر لعام ١٢٨٦ هجري، الموافق ١٨٧٠ ميلادي

رأس العين ١٨ (المقصود قرية)

ديرك ٢٦ (قرية)[١٠]

دشتكور ١٩ (قرية)

ميللي ٦٠٠ خيمة وخانة

جركان ٣٠٠ خيمة وخانة [١١]

خلجان ٣٠٠ خيمة وخانة

دقوري ٣٠٠ خيمة وخانة

٩ - أحمد السلامة القيسي، ترجمة وإعداد، لواء الزور في الوثائق العثمانية ، الجزء الثاني، مركز التاريخ العربي للنشر، اسطنبول، ط١ ، عام ٢٠٢٠م، ص ١٩٥.

١٠ - وهي ديرك، الواقعة في تركيا حالياً. بالقرب من الحدود السورية. وتعرف كردياً ب « ديركا جيايي مازي».

١١ - جركان هي قسم من كيكان/شرق نهر زركان الذي يصب في الخابور- ويبدو أن التسمية قد قلّ استعمالها لاحقاً لصالح تسمية كيكان. وخَلَجَان تعتبر وفق البعض قسماً من كيكان /غرب نهر زركان، والبعض يعتبرها عشيرة كبيرة أو قبيلة مستقلة عن كيكان أو انفصلت عنها.

ويران شهر ٦٠٠ خيمة وخانة

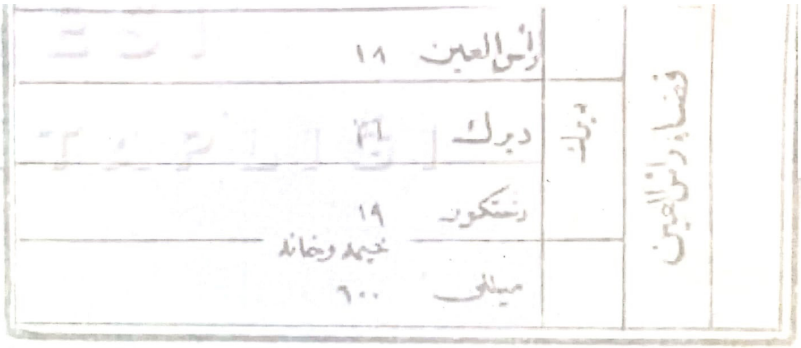

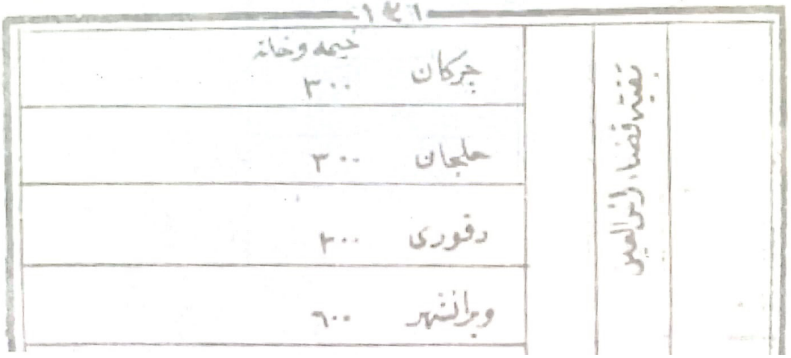

- قضاء رأس العين في سالنامه ولاية دياربكر لعام ١٢٨٧ هجري، الموافق ١٨٧١ ميلادي

رأس العين ١٨ (المقصود قرية)

ديرك ٣١ (قرية)

دشتكور ١٩ (قرية)

ميللي ٦٠٠ خيمة وخانة

جركان ٣٠٠ خيمة وخانة

خلجان ٣٠٠ خيمة وخانة

دقوري٣٠٠ خيمة وخانة

ويران شهر ٦٠٠ خيمة وخانة [١٢]

١٢ - ويران شهر (المدينة الخراب). داخل الأراضي التركية حالياً، شمال رأس العين نحو ٥٠ كم. وقد كانت بمثابة عاصمة للاتحاد القبلي المللي الكردي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

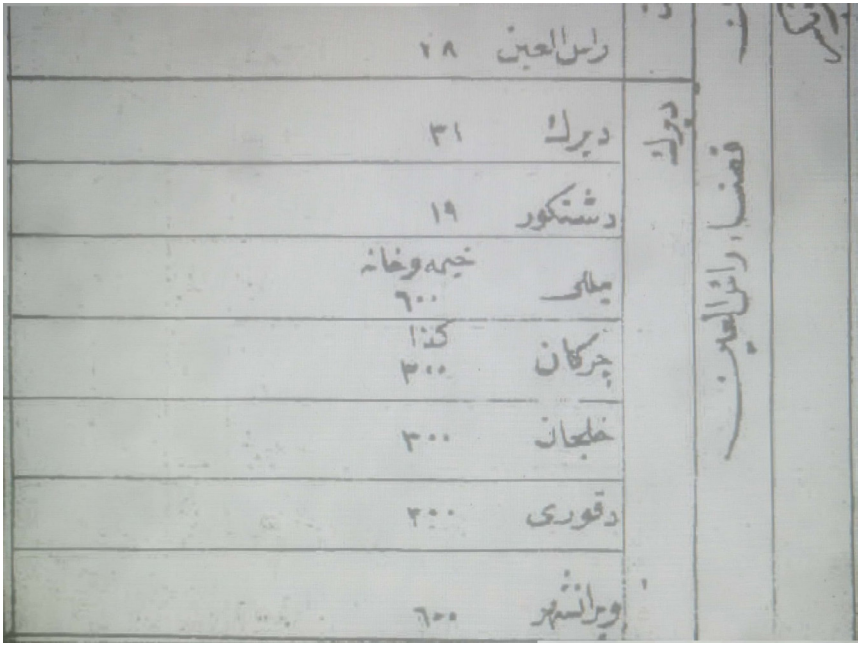

- قضـاء رأس العيـن فـي سـالنامه ولايـة دياربكـر ١٢٨٨ هجـري الموافـق لعـام ١٨٧٢ ميـلادي .

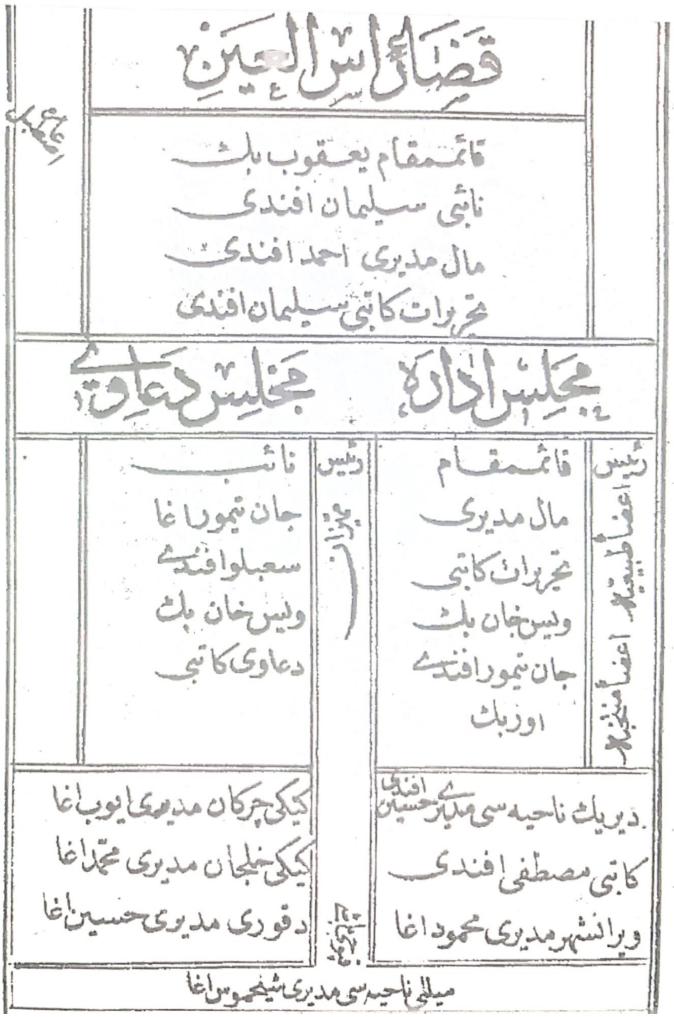

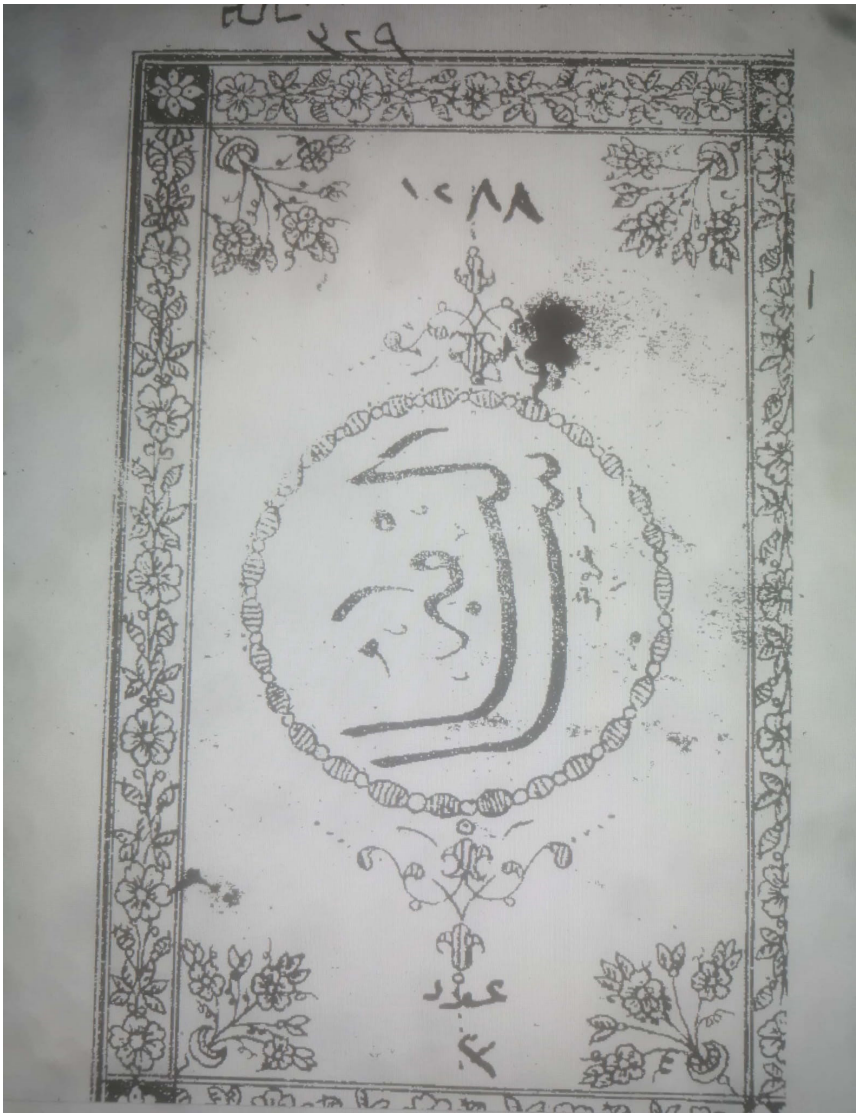
١٧٨٨
عدد

ثالثاً- قضاء رأس العين في متصرفيّة دير الزور:

- في الفترة ما بين عامي ١٨٧٠م و ١٨٧٦ م كانت دير الزور لواءً مستقلاً يتبعه عدد من الأقضية والنواحي والقرى. وقضاء رأس العين، ملحق به نواحي: كيكي، دقوري، ميلي، خَلَجَان[١٣].

- وثيقة من الأرشيف العثماني رقم SD.2213.8.5، التاريخ : ٢٤ ذي القعدة ١٢٨٩ هجري الموافق ١٨٧١ ميلادي:

شكوى من أهالي رأس العين إلى متصرف لواء الزور بخصوص تعدّي العشائر على المزروعات والحيوانات، ونهب وسلب الأموال والأغراض[١٤].

١٣ - رامي وحيد الدين الضللي ، دير الزور في العهد العثماني ، دار التكوين، دمشق، ط١ ٢٠٠٨ ، ص ٥٩.

١٤ - لواء الزور، مصدر مذكور ، ص ٢٠٥.

- متصرفية دير الزور[١٥] بين أعوام ١٨٧٢-١٨٧٥م، قضاء راس العين: النواحي التابعة للقضاء: كيكي- ملي- دقوري- خلجان، قضاء ويران شهر.

استمر الأمر على ماهو عليه في عام 1871م إذ بقيت دير الزور لواءاً تابعاً لولاية حلب وظل محتفظاً بأقضيته الخمسة دون تغيير[53]. وبعد استكمال التقسيمات الإدارية سافر المتصرف ارسلان باشا إلى اسطنبول وحلب والحكومة العثمانية وفك ارتباط لواء دير الزور عن ولاية حلب وجعله لواءاً مستقلا مرجعه العاصمة العثمانية وذلك في عام 1871م [54] , هذا بالإضافة إلى إن لواء دير الزور في هذا العام أضيف له قضاء السبخة[55] , وخلال المدة مابين 1872–1875م كانت دير الزور متصرفية مستقلة تتبعها عدد من الاقضية والنواحي والقرى . كما مبينا في الجدول الآتي[56].

جدول رقم (2):التقسيمات الادارية في متصرفية دير الزور (1872–1875م).

المركز او القضاء	الناحية التابعة للمركز أو القضاء	القضاء	الناحية التابعة للقضاء
قضاء الدير (مركز المتصرفية)	تدمر	قضاء الشدادة	–
قضاء الرقة	–	قضاء سنجار	تلعفر
قضاء سبخة	–	قضاء نصيبين	رورينية
قضاء عشارة	–	قضاء رأس العين	كيلي– ميلي– دقوري– خلجان
قضاء البصيرة -	–	قضاء ويران شهر	–
قضاء أبو كمال	–	قضاء مسكنة	–

١٥ - د.سامي المنصوري، إقبال الهلالي، التقسيمات الإدارية في متصرفية دير الزور (١٨٦٦-١٩١٨).جامعة القادسية/كلية التربية-قسم التاريخ. ٢٠١٧. ووردت كيلي بدل كيكي ، خطأ. ربما بسبب صعوبة قراءة الكلمة في الوثيقة أو سهواً.

- التقسيمات الإدارية[١٦] في متصرفية دير الزور لسنة ١٨٨٨م، قضاء رأس العين ٢٤ قرية.

Find text or tools

جدول رقم (8):التقسيمات الإدارية في متصرفية دير الزور في عام 1887م.

القضاء	النواحي التابعة للمركز أو القضاء	المجموع
قضاء رأس العين	تدمر	أربعة اقضية وأربع نواحي
قضاء الرقة	سبخة	
قضاء عربان	كوكب	
قضاء عشارة	يكيشهر	

يتبين من الجدول أعلاه مايأتي:

– حدث تغيير آخر في متصرفية دير الزور فقد فصل قضاء البوكمال عن دير الزور وألحق بولاية حلب بصفة قضاء وبذلك تقلصت مساحة لواء دير الزور[80].

جدول رقم(9) التقسيمات الإدارية في متصرفية دير الزور لسنة 1888م[81].

مركز اللواء أو القضاء	عدد القرى التابعة له	النواحي التابعة للقضاء	عدد القرى التابعة لكل ناحية	المجموع
دير الزور مركز المتصرفية	35	سبخة تدمر كوكب	13 3 20	3 أقضية 4 نواحي 148 قرية
قضاء عشارة	16	بصيرة	18	
قضاء رأس العين	24	–	–	
قضاء البوكمال	19	–	–	

يتبين من الجدول أعلاه مايلي: فصل قضاء الرقة عن دير الزور والحق بلواء حلب مرة أخرى [82] , وأعيد ارتباط قضاء البوكمال وقراه بالمتصرفية بعد أن فصل عنها السنة السابقة , و عودة ناحية بصيرة من جديد لتتبع قضاء عشارة هذه المرة بعد فصل ناحية يكيشهر عن القضاء .

١٦ - نفس المصدر.

- إحصاء عام ١٨٦٩م في سنجق دير الزور[١٧]، رأس العين مع النواحي والقرى ٤,١٩١ نسمة، ١,٦٠٠ بيت.

دير الزور (مركز المدينة فقط)	٣,٣٩٢ نسمة	١,٠٦٦ بيت
الرقّة (مع النواحي والقرى)	٤,٢٠٠ نسمة	٢,٤٠٠ بيت
رأس العين (مع النواحي والقرى)	٤,١٩١ نسمة	١,٦٠٠ بيت
العشارة (مع النواحي والقرى)	٣,٢٦٤ نسمة	١,٠٢٩ بيت
البوكمال (مع النواحي والقرى)	١,٨٧٠ نسمة	٧٧٩ بيت
السبخة (مع النواحي والقرى)	٣,٤٠٠ نسمة	٩٠٠ بيت
تدمر (القرى والعشائر)	٧٥٠ نسمة	٣٠٠ بيت
تدمر (مركز الناحية فقط)	٨٠٠ نسمة	٢٥٠ بيت
السخنة (مع القرى والعشائر)	١,٠٠٠ نسمة	٨٠٠ بيت
المجموع	٢٢,٨٦٧ نسمة	٩,١٢٤ بيت

١٧ - رامي الضللي ، الفئات الاجتماعية في سنجق دير الزور منذ بادية القرن التاسع عشر حتى نهاية العهد العثماني، مجلة جامعة الفرات، لعام ٢٠١٥.

- إحصاء عام ١٨٧٧ سنجق الزور، رأس العين مع النواحي والقرى ٩ آلاف نسمة، ٣ آلاف بيت.

دير الزور (مركز المدينة فقط)	٤,٢٨٢ نسمة	١,٩٦٠ بيت
رأس العين (مع النواحي والقرى)	٩,٠٠٠ نسمة	٣,٠٠٠ بيت
الرقة (مع النواحي والقرى)	٩,٦٠٠ نسمة	٣,١٢٤ بيت
البوكمال (مع النواحي والقرى)	٣,٠٠٠ نسمة	١,٠٢٠ بيت
السبخة (مع النواحي والقرى)	٣,٤٥٠ نسمة	١,١٩٨ بيت
البصيرة (مع النواحي والقرى)	١,٤٩٠ نسمة	٨٨٠ بيت
العشارة (مع النواحي والقرى)	٣,٤٤٣ نسمة	١,٤٦٣ بيت
المجموع	٣٤,٢٦٥ نسمة	١٢,٦٤٥ بيت

- إحصاء ١٨٩٤م، رأس العين ٢٤ قرية، ١٦ ألف نسمة.

- وثيقة من الأرشيف العثماني رقم S.2213.38.1، تاريخ ١٢٨٩ هجري الموافق ١٨٧٢ ميلادي:

فرمان بفك قضاء رأس العين وقضاء نصيبين من ولاية دياربكر وإلحاقهما بلواء الزور من أجل تحسين زراعة وتجارة الأهالي وكذلك من أجل إسكان العشائر على أطراف نهر الخابور واستكمال أسباب الراحة والرقي والتعمير[١٨].

- توطين الجبور والشرابيين في ناحية (كوكب – الحسكة) عام١٨٧٦م:

بعد تشكيل لواء الزور»سنجق الزور» (١٨٦٤- ١٨٦٥م) عملت الحكومة العثمانية على توطين قبائل البدو الرحل، الذين يتنقلون في البادية دون استقرار، وقد مضى على طبيعتهم هذه سنين طويلة، ومن هذه القبائل الجبور والشرابيين، فالجبور كانت مستقرة على ضفاف الفرات (ناحية البصيرة) قبل عقود من تاريخ تشكيل لواء الزور، وكانوا يُدرجون تحت مسمى قبائل الموالي مثلهم كمثل (العقيدات والجنابيين والبقارة والبوشعبان واللهيب... وقبائل فراتية وخابورية أخرى). وبعد مغادرة الجبور الفرات باتجاه الخابور بقيت على حالة الترحال وتعرضت للغزو من قبيلتي «عنزة وشمر» إلى أن تقرر توطينها في «قضاء كوكب» الخالي، الذي سُمّي فيما بعد بـ قضاء (الحسجة). وترغيباً لهم ولشيخهم الشيخ «خطاب» بالاستقرار، قدمت لهم الحكومة مساعدات معيشية، وتطمينات أمنية وأنشأت لهم نقطة عسكرية لمنع الاعتداء عليهم من غزو القبائل الطامعة.

تذكر الوثيقة المرفقة والموجهة إلى ولاية بغداد، أن الإصلاحات التي شملت قبائل شمر التابعة للموصل ستشمل أيضاً قبيلة الجبور ورئيسها (خطاب) وقبيلة الشرابيين في إسكانهم «قضاء كوكب». وعدد بيوتهم (١٥٠) بيت. وعلى الشيخ «فرحان باشا» شيخ قبيلة شمر أن يساعد على ذلك ويرغبهم أيضا بالاستقرار ويعمل على ضمان انتشار القبائل وتوزعهم

١٨ - لواء الزور، مصدر مذكور، ص٢٢٤.

في المنطقة دون حدوث نزاع أو خلاف.

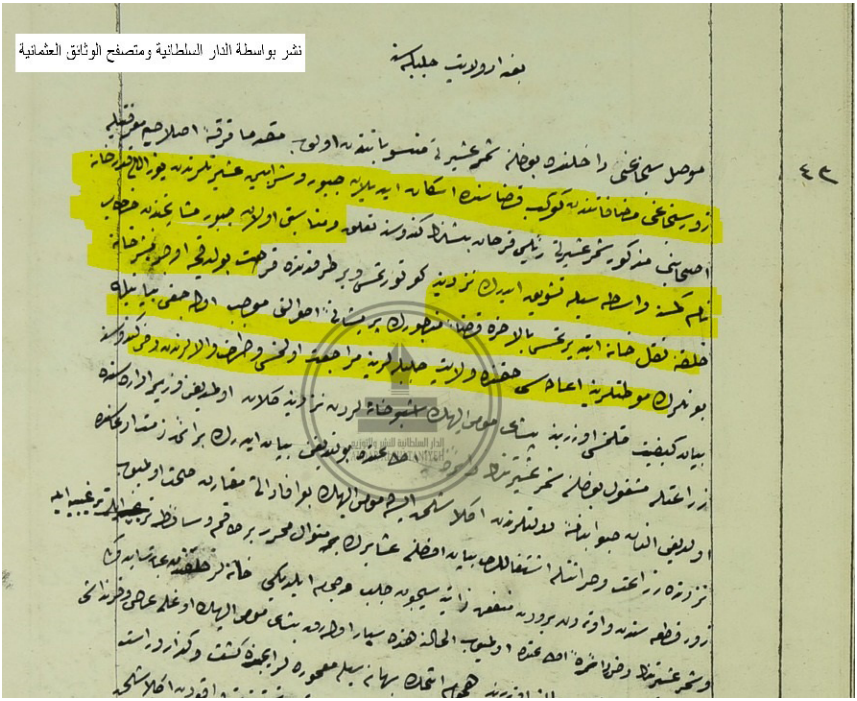

صورة عن الوثيقة[١٩]

- في عام ١٨٨١ صدرت الأوامر السلطانية بجعل دير الزور متصرفية مستقلة ممتازة مرتبطة مباشرة بالأستانة.

- في سنة ١٨٨٥ تغير آخر، أصبح قضاء الشداداة ناحية، وظهر كذلك ناحية جديدة هي ناحية كوكب وفصل قضاء الرقة عن دير الزور وألحق بحلب، بالإضافة إلى تحول نواحي (ميلي وخلجان وكيكان و دقوري) إلى قرى تتبع قضاء رأس العين[٢٠].

- وثيقة بتاريخ ١٣٠٢ هجري الموافق ١٨٨٥ ميلادي:

١٩ - الدار السلطانية ومتصفح الوثائق العثمانية، الباحث أحمد السلامة.

٢٠ - رامي الضلي ، مصدر مذكور، ص ٦٢.

كتاب إلى مجلس الشوري في الأستانة بخصوص ربط ناحية ويران شهر التابعة لقضاء رأس العين بولاية دياربكر، وذلك لبعد المسافة عن مركز لواء الزور.

- متصرف لواء الزور[٢١]، وثيقة رقم DH.MKT.1478.112.1، تاريخ ١٣٠٥ هجري الموافق ١٨٨٨ ميلادي، إنشاء القشلة:

طلب من متصرف لواء الزور «إسماعيل زهدي» من رئاسة الحكومة للموافقة على بناء المقر الحكومي في رأس العين والبوكمال والعشارة وتدمر، كذلك إنشاء نقطة عسكرية في منطقة الحسجة (الحسكة) وتخصيص المبالغ المالية اللازمة[22].

- وثيقة من الأرشيف العثماني رقم I.DH.1296 ، تاريخ ١٣٠٩ هجري الموافق ١٨٩١ ميلادي:

فرمان صادر عن مجلس الشورى بخصوص توزيع الأراضي الخالية في ريف قضاء رأس العين مجاناً على العشائر، وعشائر كيكي و خلجان، مع إعطاء سندات التمليك القانونية وذلك من أجل إعمار وإحياء الأراضي في تلك القرى[٢٣].

٢١ - لواء الزور، مصدر مذكور، ص٢٠٧.
٢٢ - نفس المصدر، ص ٢٦٢.
٢٣ - نفس المصدر ، ص ٢٠٨. وقد ورد خطأ ، كسيلي بدل كيكي ، وحلجان بدل خلجان.

ثانيًا:

سري كانيه/ رأس العين تحت احتلال الدولة التركية

١- السياسة التركية وأهداف العدوان على سري كانيه/راس العين Serê kaniyê

٢- سري كانيه/ رأس العين.. قربانٌ كردي للتاريخ والجغرافيا

٣- النساء والحرب: الصرخات المكتومة لنساء سري كانيه / راس العين

٤- أقليّة على حافة الانقراض: «سري كانيه/رأس العين» والفصل الأخير في إبادة الإيزيديين

٥- «غصن الزيتون ونبع السلام»... جرائم حرب وانتهاكات ممنهجة في ضوء القانون الدولي

٦- الأربعاء الأسود: يوم احتلّوا بيوتنا

٧- سري كانيه.. أيقونة الجزيرة

السياسة التركية وأهداف العدوان على سري كانيه/راس العين Serê kaniyê

فارس عثمان
كاتب وباحث

لا يمكن الحديث عن السياسة التركية في المنطقة دون وضع خطوط عريضة تحت القضية الكردية والتشديد على هذه الخطوط، التي تحدّد سياسة تركيا من قضايا المنطقة وخاصة في العراق وإيران وسوريا، وإلى حد ما مع بعض الدول الأوروبية بعد تبلور لوبي كردي مؤثّر في الأوساط السياسية والثقافية في بعض الدول.

وعند التوقف عند السياسة التركية في سوريا منذ عام 2011 وأهداف العدوان التركي على شمال شرق سوريا في 9-10-2019[1]* لا بدّ من أخذ هذا التاريخ بعين الاعتبار، ففي بداية الحراك السوري – الانتفاضة السورية، الثورة السورية، الأزمة السورية – مهما كانت التسميات، اعتقدت السلطات التركية أن ما يجري في سوريا غير مختلف عما جرى في تونس ومصر وليبيا – الربيع العربي – حيث استطاعت الحركات الإسلامية القريبة من تركيا حرف المطالب الشعبية لصالحها والسيطرة على الموقف في هذه الدول، فقد سيطرت حركة النهضة على الحراك الشعبي السلمي في تونس، وتمكّنت حركة الإخوان المسلمين وبمساعدة من تركيا- أحياناً سريّة وغير مباشرة وأحياناً علانيّة- من السيطرة على الموقف في مصر وليبيا. ونظراً لعدم دقة القراءة التركية للواقع السياسي في سوريا وللتوازنات السياسية الإقليمية والدولية فيها، فقد مرّ الموقف التركي بمراحل مختلفة:

الأولى، وهي الفترة التي امتدت من بداية الحراك وحتى عام 2012 ونظراً لعمق العلاقات بين الحكومتين السورية والتركية والرئيسين رجب طيب أردوغان[2]* وبشار الأسد التي وصلت إلى حد إلغاء تأشيرة الدخول " الفيزا " بين الدولتين، فقد حثّت الحكومة التركية الرئيس بشار الأسد على القيام ببعض الإصلاحات الداخلية، والموافقة على مشاركة حركة الإخوان المسلمين في الحكومة السورية، وتخلّلت ذلك زيارات من وزير الخارجية التركية آنذاك داود أوغلو ورئيس جهاز الاستخبارات هاكان فيدان ولقاءاتهما المتكررة بالأسد، وانتهت بسحب السفير التركي وكافة العاملين من سفارتها في دمشق في 26-آذار 2012، والإبقاء على قنصليتها في حلب كرسالة بأن لأنقرة رغبة باستمرار علاقاتها الدبلوماسية حتى لو كانت مرتبطة بخيوط واهية. بذريعة إصرار النظام على الحل الأمني، وتضاؤل فرص الإصلاح السياسي في سوريا.

١ * - وهو تاريخ اليوم الذي غادر فيه السيد عبد الله أوجلان سوريا عام ١٩٩٨ تحت الضغط التركي متوجها إلى اليونان ومن ثم إلى ايطاليا.

٢ * - كان حينها رئيساً لمجلس الوزراء.

المرحلة الثانية، تبدأ من أواخر شهر آذار 2012 أي بعد سحب السفير التركي عمر أونهون من دمشق، وتبنّي المعارضة السورية – السياسية والعسكرية – بمختلف فصائلها واستضافتها على الأراضي التركية، والمشاركة في كافة اللقاءات والمؤتمرات الدولية حول سوريا، والإشراف على مجموعة من اللقاءات ومؤتمرات المعارضة السورية على أراضيها وفي أفخم الفنادق التركية بأموال قطرية وخليجية، والتدخّل في أدقّ تفاصيلها. وقد استمرت هذه المرحلة حتى انتهاء أعمال مؤتمر جنيف 2 الذي عقد في الفترة من 22كانون الأول 2014 ووصل إلى طريق مسدود في نهاية الشهر بسبب الخلافات بين الطرفين. عندما أصرّ وفد النظام السوري برئاسة بشار الجعفري على وضع قضية "الإرهاب" على رأس بنود جدول أعمال المفاوضات، بينما تمسّكَ وفد المعارضة بإعطاء الأولوية للبند الخاص بتشكيل هيئة حكم انتقالي كاملة الصلاحيات بموجب بيان مؤتمر جنيف الأول[3]* في 30 حزيران 2012. ولم تتمكّن موسكو وواشنطن - راعيتا المفاوضات - من إحداث أيّ تقدمٍ بعد إعلان الإبراهيمي

---

٣ * - اعتمد جنيف ١ على نقاط "كوفي أنان" الست لحل الأزمة السورية وهي:

أولاً: الالتزام بالعمل مع كوفي أنان من أجل عملية سياسية شاملة يقودها السوريون.

ثانياً: الالتزام بوقف جميع أعمال العنف المسلح، بما في ذلك وقف استخدام الأسلحة الثقيلة وسحب القوات ووقف تحركات قوات الجيش باتجاه المناطق المأهولة بالسكان.

ثالثاً: تطبيق هدنة يومية لمدة ساعتين للسماح بإدخال المساعدات إلى جميع المناطق المتضررة من القتال.

رابعاً: الإفراج عن جميع من جرى اعتقالهم تعسفياً، بمن فيهم المعتقلون لقيامهم بنشاطات سياسية سلمية.

خامساً: الاتفاق على ضمان حرية الحركة للصحافيين في جميع أنحاء البلاد وتبني سياسة لا تقوم على التمييز بشأن منحهم تأشيرات لدخول البلاد.

سادسا : الاتفاق على حرية تكوين المؤسسات وحق التظاهر السلمي على أنها حقوق مضمونة قانونياً.

أنهما وعدتا بالمساعدة في حلحلة الأمور بين الوفدين اللذين جلسا مرتين فقط في غرفة واحدة منذ بدء الجولة.

المرحلة الثالثة، تبدأ من الإعلان عن الإدارة الذاتية في ثلاث كانتونات الأولى في 21-1-2014 في الجزيرة، والثانية في 27/ 1/ 2014 في كوباني، والثالثة في 29 من الشهر ذاته في عفرين. حيث تغيّر موقف الحكومة التركية من الازمة السورية بشكل كبير، وقد اتّخذت تركيا موقفا صارماً ضد الإدارة الذاتية واعتبرت حزب الاتحاد الديمقراطي PYD امتداداً لحزب العمال الكردستاني، وأنّ حزب العمال الكردستاني يدير المنطقة، وأعلن أردوغان في أكثر من مناسبة أن تجربة إقليم كردستان العراق كانت خطأ وسوف لن يسمحون بتكرار هذه التجربة في شرق الفرات، وإن ((تركيا لن تسمح أبداً بمنطقة آمنة في سوريا تتحول إلى " مستنقع " مثلما حدث في شمال العراق, في إشارة إلى الإدارة الكردية في إقليم كردستان العراق.))[4]. لذلك لجأت تركيا إلى التدخل العسكري المباشر في سوريا، وبدأت بوضع الخطط العسكرية لذلك، وفي هذه الفترة طغت على السطح فضيحة التسجيل الصوتي لرئيس الاستخبارات التركية هاكان فيدان بإمكانية خلق ذريعة للتدخل العسكري في سوريا، من خلال تسريب مضمون الاجتماع الرباعي الذي عقد في وزارة الخارجية التركية الذي ضم أحمد داود أوغلو، ووكيل وزارته فريدون سينيرلي أوغلو، ورئيس جهاز المخابرات هاكان فيدان، ونائب رئيس هيئة الأركان الجنرال يشار غول بتاريخ 13 آذار 2013 وناقش المشاركون سبل "خلق" ذريعة تتيح لتركيا التدخل عسكريا في سوريا. وقال فيدان في التسجيل الصوتي الذي سرب: ((إذا لزم الأمر، سأبعث بأربعة رجال إلى سوريا، ثم أطلب منهم إطلاق قذائف هاون على الجانب التركي من الحدود، ونخلق بالتالي ذريعة للحرب))[5].

وقد أكّد بعض المسؤولين الأتراك مبدئياً وجود التسجيل، لكنهم قالوا

٤ - أخبار اليوم المصرية، بتاريخ ٢١ كانون الأول ٢٠١٩.
٥ - الوطن البحرينية بتاريخ ٢٤ كانون الأول ٢٠١٩.

إنه جرى التلاعب في جزء منه، حتى أن رئيس الوزراء أردوغان قال خلال كلمة ألقاها أمام حشد في مدينة ديار بكر، إن التنصّت على مكتب وزير خارجيته كان ((غير أخلاقي وجبان.)).

وبدورها، أصدرت وزارة الخارجية التركية بياناً بشأن التسجيل الصوتي، أكدت فيه نبأ عقد الاجتماع، لكنها قالت إنه جرى التلاعب بمحتواه، وزعمت أن المسؤولين كانوا يناقشون مسألة حماية قبر سليمان شاه، جدّ مؤسسة الدولة العثمانية، عثمان الأول، لكن وثائق المحكمة، لم تشر إلى وجود تلاعب في التسجيل الصوتي.

وبالفعل، تطرّق المسؤولون إلى مسألة حماية القبر، لكن باعتباره مسألة تتيح التدخل العسكري التركي، وقال داود أوغلو في الاجتماع ((أن رئيس الوزراء أردوغان قال يجب اعتبار " قبر سليمان شاه " فرصة في هذه المرحلة (للتدخل) ، خاصة مع اندلاع الاشتباكات بين (الجيش السوري الحر) المعارض وعناصر من تنظيم داعش قرب المكان.))[6].

وفي 24 أب 2016 [7]*بدأت أول عملية عسكرية مباشرة في سوريا أطلقت عليها اسم " درع الفرات " بمشاركة بعض الفصائل العسكرية المسلحة السورية من الفصائل الجهادية والإسلامية المتطرفة تحت مسمى الجيش الحر كـ "فيلق الشام" و"لواء السلطان مراد" و"الفرقة 13"...، وأعلن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في اليوم الأول من العملية إن الهدف منها هو داعش و((الجماعات الكردية السورية الإرهابية التي تهدّد بلدنا في شمال سوريا وأن الجيش التركي سيدخل إلى مدينة منبج.)). وقد احتلّ الجيش التركي جرابلس وإعزاز والباب، وفي أواخر شباط 2017 أعلنت تركيا عن انتهاء عملية درع الفرات بعد أن تمكنت من فصل عفرين عن بقية مناطق الإدارة الذاتية. ولم يتوقف الطموح التركي عند جرابلس وإعزاز الباب فقد أعلنت السلطات التركية أكثر من مرة أن

٦ - موقع https://ae.24/article/486293/، بتاريخ ٢٤ كانون الاول ٢٠١٩.

٧ * - وهو تاريخ اليوم الذي بدأت فيه معركة مرج دابق ١٥١٤.

عفرين تركيّة وأن غالبية سكانها من العرب، رغم أن العرب القاطنين في المنطقة والوافدين والمهاجرين إليها منذ الأزمة السورية لم يشكلوا أكثر من 5 % من سكانها فـ 95 % من سكانها من الكرد؛ إلّا أن آلة الإعلام التركية وعلى رأسها الرئيس رجب طيب أردوغان أصروا على تضليل الرأي العالمي والإدعاء بأن الكرد لا يشكّلون أكثر من ٣٥٪ من سكان عفرين تمهيداً لاحتلالها وضمّها إلى تركيا.

المرحلة الرابعة، بدأت مع حادثة إسقاط الطائرة المقاتلة الروسيّة، عندما أطلقت قوات الدفاع الجوية التركية في 24 كانون الثاني 2015 النار على طائرة مقاتلة روسيّة من طراز سوخوي سو-24 مما أدى إلى سقوطها قرب الحدود السورية التركية فوق جبل التركمان بمحافظة اللاذقية السورية، وبدأت معها التهديدات الروسية ضد تركيا، وبعيد اسقاط الطائرة الروسية بدأت الاستدارة التركية نحو إيران أولاً وتنسيق المواقف معها على الأرض السورية، ومن ثم مع روسيا في مؤتمر استانا الأول في 23 كانون الثاني 2017م الذي توصّلت روسيا وتركيا وإيران فيه إلى الإعلان عن وقف إطلاق النار في سوريا، واتفاق الدول الثلاث على إنشاء آليّة ثلاثية لمراقبة تنفيذ وقف إطلاق النار. وموافقة تركيا على بقاء الأسد في السلطة، وقد عقدت الدول الثلاث بمشاركة وفدي النظام والمعارضة وبعض الدول كمراقبين(العراق، الأردن، لبنان...)، ثمان جولات من هذه اللقاءات في محاولة من روسيا على أن تكون مفاوضات أستانا بديلاً عن جنيف، وفي استانا 8 في 22 كانون الأول 2017 جرى الإعلان عن موعد انعقاد مؤتمر "الحوار الوطني السوري" في سوتشي يومي 29 و30 كانون الثاني 2018م الذي عقد بمشاركة 1511 شخصاً من أصل 1600 وجهت الدعوة رسميا إليهم. وقد سعت تركيا خلال جولات أستانا التي وصلت إلى 13 جولة عقد صفقات ثنائية مع كل من روسيا وإيران أو ثلاثية بين الأطراف الثلاثة للحصول على الضوء الأخضر لاجتياح المناطق الكردية في سوريا، وتمكّن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان من الحصول على موافقة الرئيس الروسي بوتين على اجتياح عفرين في

اجتماع عقد بينهما في مدينة سوتشي بتاريخ 2019-11-13.

هكذا كانت مؤتمرات ولقاءات استانا نقاط تحوّل في السياسة والمواقف التركية و يذريعة تمثيل المعارضة السورية وافقت على تسليم مناطق المعارضة السورية المسلحة في محيط دمشق وحمص وحلب لقوات النظام الذي رحّل مسلحي المعارضة بباصات خضراء إلى إدلب.

المرحلة الخامسة، تختلف عن بقية المراحل السابقة التي كانت أغلبها سياسيّة حيث تحولت التهديدات التركية إلى عدوان مسلح، من خلال عمليات عسكرية على الأراضي السورية، بدأت أولاً بعملية « درع الفرات » في آب 2016 (بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة بقليل)، وثانياً، بعملية « غصن الزيتون » في كانون الثاني 2018 التي أدّت لاحتلال منطقة عفرين، وقد أدّى تواجد تركيا على الأرض السورية في أكثر من منطقة مكاناً على الطاولة مع كل من روسيا وإيران ضمن مسار أستانا (نور سلطان لاحقاً) الذي شُكِّل من خلاله الإطار الثلاثي الضامن لوقف إطلاق النار.

اليوم، يمكن القول بأن الرؤية التركية للحل في سوريا تقوم على مايلي:

أولاً وأساساً : حرمان الكرد في سوريا من أية حقوق من الحقوق السياسية (إدارة ذاتية، حكم ذاتي، فيدرالية..)، خوفاً من انعكاس ذلك الشعب الكردي في تركيا، إنشاء منطقة آمنة بعمق30كم على طول الحدود التركية السورية، وطرد الكرد السكان الأصليين للمنطقة منها، ونقل أكثر من ثلاثة ملايين من اللاجئين إلى هذه المناطق بهدف التغيير الديموغرافي للمنطقة، استكمالاً لمشروع إصلاح المنطقة الشرقية في تركيا على الجانب التركي، والحزام العربي على الجانب السوري.

وأهم الأهداف غير المعلنة:

1- تخفيف الضغوط الداخلية على الحكومة التركية في موضوع اللاجئين السوريين المقيمين على أراضيها.

2- تهيئة بيئة ديموغرافية صديقة لتركيا في الشمال السوري؛ إذ إن غالبية السكان سيكونون من المقيمين سابقًا على أراضيها.

3- إنشاء حاجز ديموغرافي وجغرافي بين تركيا والمنظمات الكردية.

4- حرمان الكرد من أي استحقاق سوري مستقبلي، من خلال تشريدهم وتأليب (المعارضة) ضدهم.

5- زيادة تأثير تركيا ونفوذها في الصراع داخل سورية، ودورها في الحل السياسي.

6- توسيع المنطقة الجغرافية التي تديرها المعارضة السورية المحسوبة على تركيا، لتشمل مناطق أخرى من الشمال السوري الغني بالموارد الطبيعية ومصادر الطاقة.

7- زيادة شعبية الرئيس أردوغان والحكومة الائتلاف القومي الإسلامي، التي تراجعت في ظل الأزمة الاقتصادية، والإعلان عن قيام أحزاب سياسية جديدة منشقة عن حزب العدالة والتنمية، تنافس الحزب وأردوغان.

سري كانيه/ رأس العين...
قربانٌ كردي للتاريخ والجغرافيا

عبد الحليم سليمان
صحافي

تعدّ مدينة سري كانيه Serêkaniyê(رأس العين) آخرَ تجمعٍ سكانيّ كبير للكرد في السهل الغربي من الجزيرة السورية- محافظة الحسكة-، وتتبع لها عدد من البلدات والنواح والقرى المختلطة عرقياً ودينياً، وتفصلها عن بلدة سلوك وتل أبيض سهول واسعة وتقلّ الكثافة السكانية في هذه المسافة داخل الأراضي السورية.

شكّلت المدينة حاضرة ومركزاً لعدد غير قليل من الحضارات والممالك التاريخية، كالحضارة الحَلفيّة والميتانيّة والآراميّة وغيرها وصولاً إلى العصر الإسلامي، لكن كان بادياً إخفاء هوية المدينة الميتانية وتأثير حضارتها على عموم المنطقة، التي وصلت حتى الساحل السوري في أوغاريت وأطراف كركوك، من المعارف العامة في سوريا لاسيما في الكتب المدرسية ومدارك السوريين عموماً في ظل أيديولوجيا حزب البعث الحاكم رَدحاً من الزمان.

كانت لينابيع المدينة التي بلغت عددها بعدد أيام السنة بحسب المصادر التاريخية والتي بدورها اعتبرت منبع نهر الخابور الهادر حتى أواخر التسعينات من القرن الماضي، أهمية كبرى في تشكيل المدينة وتحولها لمركز بشري هام على مرّ العصور وصولاً إلى السكن المعاصر لها الذي يزيد عن مئة وخمسين سنة، فالمدينة تحمل إرثها المتنوّع منذ عقود، لا بل قرون، وإن كان الطابع الكرديّ فيها متجذّراً وأعمق ومستمر حتى الآن حيث أصبح السمة المميزة لها أنها متعددة المكونات والعيش معاً أقوى عناصر استمرارها.

فالمدينة التي كانت تابعة لإمارة الملّان-الملّية الكردية التي أصبحت بزعامة إبراهيم باشا المللّي أواخر عهود السلطة العثمانية واستقر فيها الشيشان بعد موجات هجرتهم من القوقاز فانتقلوا إليها بعد بلدة السفح الواقعة قرابة ١٥ كم جنوبي سري كانيه ثم كانت ملجأً للأرمن والسريان الهاربين من المجازر فيما كانت الينابيع في المدينة على مرّ العقود مصدراً للارتواء وغذاء الرعاة الكرد ومواشيهم والذين بدورهم استقروا مع أقرانهم في المدينة بعشائرهم المختلفة وانضم إليهم آخرون بعد انتعاش الزراعة في سهولها بِهمّة وخبرة السريان والأرمن، ثم تصدّر الكرد الإيزيديين من أبناء ريف المدينة هذا المجال الحيوي والذي طبع المدينة بخيراتها حتى أضحت مركزاً لشركة زراعية ضخمة أنشأتها عائلتَي أصفر ونجار في خمسينيات القرن المنصرم.

هذا التناغم ما بين العيش بين المكونات المختلفة والعمل والاقتصاد

المحلي جعل منها محطّ استقرار وازدهار عفوي، طبيعيّ وإنساني، فبرز فيها الشعراء والفنانون والموسيقيون والرياضيون والأطباء وغيرهم ممن أبدع وساهم في جعلها بلدة تشعّ بالاستقرار والهناء.

وكمركز منطقة في محافظة الحسكة إلى جانب ديرك والقامشلي، تعرضت أراضي وممتلكات أهلها للاستيلاء وكذلك التغيير الديمغرافي الأول بشكل ممنهج خصوصاً مع تنفيذ مشروع الحزام العربي الذي بدأ بإنشاء بلدة مبروكة (٤٠ كم غربي سري كانيه) ولتنتهي بقرابة أربعين قرية استيطانية موزعة على جانب الحدود مع تركيا وصولاً إلى أقصى حدود منطقة ديريك سنة ١٩٧٥ ليصبح سكان هذه القرى من السوريين الذين غمرت أراضيهم في ريف الرقة جرّاء إنشاء بحيرة سد الفرات، حيث أجبر العديد منهم بأمر من السلطات الحكومية على السكن في هذه المنطقة وفق رواياتهم.

كان المكوّن الكردي نشيطاً في المدينة لكنه كان محظوراً ومقموعاً من قبل السلطات الأمنية والحزبية، فكانت الاعتقالات والإجراءات التعسفية تطال الناشطين والمثقفين منهم، ناهيك عن عدم التوظيف والمضايقات المختلفة التي تطبّق عليهم بسبب انتمائهم القومي فقط.

كانت جذوة النضال في هذه المدينة متّقدة على الدوام لدى السكان الكرد فقد أحيوا في السنوات الأولى من ثمانينيات القرن الماضي عيد نوروز ولم يتوقف الاحتفال به بالرغم من قمع المحتفلين واعتقال الناشطين إلا بعد احتلال المدينة من قبل تركيا والفصائل السورية المدعومة منها.

شكّل الكرد في المدينة إلى جانب فعاليات الحياة المختلفة الطرف المدني المعارض بشكل سلمي في المدينة من خلال تنظيماته السياسية وحركته الحزبية التي برزت مع نشوء أول حزب كردي في سوريا أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، فقد كانوا الأكثر تنظيماً والأكثر بروزاً ونشاطاً مقارنة بغيرهم من التنظيمات السورية المعارضة التي كان أعضاؤها على شكل شخصيات وأفراد كجماعة الإخوان المسلمين أو الشيوعيين المعارضين وحتى لاحقاً الإسلاميين السلفيّين.

كانت المدينة حاضرة بقوّة في انتفاضة ١٢ آذار عام ٢٠٠٤ من خلال التظاهر والاحتجاج الغاضب حيث أقدم الشباب منهم على كسر تمثال الرئيس السوري السابق حافظ الأسد، الواقع في دوار على طريق الحسكة في القسم الجنوبي من المدينة، ولكن سرعان ما قمعت تلك التظاهرات واعتُقِل المئات من قبل الأجهزة الأمنية المختلفة التي وصلتها تعزيزات عسكرية وانتشار لقطعات الجيش في المدينة، وتعرضوا للتعذيب الشديد، الذي أدى إلى فقدان الشهيد أحمد معمو كنجو لحياته جراء آثار التعذيب فيما يزال يعاني آخرون حتى الآن من آثار جسدية ونفسية لما لاقوه من أفظع الممارسات والانتهاكات داخل أقبية تلك المفارز الأمنية، كان من بينهم شبّان قاصرين، كما قضى العشرات منهم عقوبة السجن لمدة أكثر من عام بعدما أفرج عنهم بعفو رئاسي جراء الضغوط الداخلية والخارجية على الحكومة السورية وقتها.

في خضم الحراك السلمي الذي اجتاح البلاد في آذار ٢٠١١ خرجت أول تظاهرة في المدينة في ٨ أبريل(نيسان) ٢٠١١ وكان جميع من تظاهروا شبابٌ أكراد ويرفعون العلم السوري، لتنضم التنظيمات الكردية لها في الأشهر اللاحقة، والتي حرصت على سلميّة التظاهرات بعيداً عن التسلح الذي اجتاح بقية المناطق السورية بعد أشهر من انطلاق تلك الاحتجاجات وبقيت بالفعل هكذا إلى أن كانت المدينة مع أكبر حدث في تاريخها الحديث عندما دخلتها فصائل مسلّحة من الجانب التركي عبر الحدود، تحت مسمّى «الجيش السوري الحرّ» بقيادة «جبهة النصرة» و»غرباء الشام» في ٨ نوفمبر(تشرين الثاني) عام٢٠١٢ بحجة طرد قوات النظام والقوى الأمنية في المدينة والذي لم يتجاوزوا العشرات، فقد كانت تلك حجّة للسيطرة على المدينة التي تعتبر بوابة غربية لعموم الجزيرة السورية لما لها من أهمية استراتيجية من الناحية الجغرافية والاقتصادية.

شاءت الصدفة أن أكون شاهداً على ما كانت تنوي تلك الفصائل القيام بها بعد سيطرتها على المدينة فقد أكد لي قائد المجلس العسكري أثناء احتجازي بشكل مؤقت بسبب عملي الصحفي بأنهم ينوون السيطرة

على كامل المنطقة الحدودية مع تركيا وصولاً إلى نهر دجلة بداعي «تحريرها» من النظام السوري، وبعد أيام قليلة من السيطرة على المدينة توجهت قوّة من الفصائل إلى بلدة القيروان التي تبعد نحو ١٥ كم غربي بلدة الدرباسية، ويسكن فيها السكان الغمر، واستولت تلك القوة على السلاح الموجود بحوزة أعضاء ومسؤولي حزب البعث وكانوا قد تلقّوه من الأجهزة الأمنية في فترات سبقت دخول الفصائل.

كانت سري كانيه أول مدينة تواجه الجيش الحر وفصائله التي كانت تتلقى دعماً مباشراً وعلنياً من تركيا من خلال وحدات حماية الشعب التي تشكّلت حديثاً مع تطور الأحداث في سوريا وانضم إليهم شباب مستقلين وآخرين محسوبون على الحركة السياسية الكردية إلى صفوف الدفاع عن المدينة عند اندلاع أولى المواجهات في ١٨ نوفمبر ٢٠١٢ ومن ثم تتالت المعارك بين الوحدات وتلك الفصائل حتى أُخرجت الفصائل تماماً من المدينة وريفها في أكتوبر (تشرين الأول) عام ٢٠١٣ وفي الأثناء ظهر تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» الذي كان عناصره مما كانوا يعرفون في سري كانيه بـ»أمن المسلمين» وكانت مظاهرهم توحي بالتشدّد من خلال لحاهم الطويلة وسراويلهم القصيرة.

بالرغم من القتال الضاري مع «تنظيم داعش» في ريف المدينة إلا أنها استعادت عافيتها شيئاً فشيئاً وتشكلت فيها لاحقاً مؤسسات مدنية ومقرّات ثقافية وسياسية وغيرها من المظاهر الحياتية الجديدة بعيداً عن أي سلطة للنظام أو المعارضة فكانت جميعها تابعة للإدارة الذاتية مع إعلان تأسيسها سنة ٢٠١٤، كما أن التنوّع الديني والثقافي والعرقي أصبح أكثر تنظيماً ومحميّاً مقارنة بغيره من عهود الدولة السورية إلى أن انتكست المدينة في التاسع من أكتوبر ٢٠١٩ مع بدء تركيا عدوانها العسكري عبر العملية العسكرية التي أطلق عليها «نبع السلام» برفقة فصائل ما يسمّى بـ» الجيش الوطني السوري» المعارض، لتتغير ملامح المدينة وتخرج من خارطة سوريا وتصبح محتلّة من تركيا، كما بدأ فيها عهد جديد من التغيير الديمغرافي على الأساس العرقي فلم يتبقى في المدينة سوى بضع

عشرات من الأشخاص الكرد وكذلك المسيحيّون والإيزيديّون بعدما كانوا يعدّون بعشرات الآلاف، كما أن السكان العرب رفضوا العيش في ظل حكم الفصائل منذ اللحظة الأولى من الاجتياح وتحول معظم سكان سري كانيه الذين تجمعهم جميعاً علاقات متجذّرة إلى نازحين مهجّرين قسراً من ديارهم التي تنهشها انتهاكات فصائل تأتمر بقرار تركي بحت وتحولت شوارع المدينة المسالمة إلى قطاعات كغنائم حرب للفصائل المتناحرة والغريبة عن المنطقة وأهلها.

تمرّ المدينة في عهدها الحالي بمسار حرج للغاية وغير طبيعي بل قسري قد يغيّر شكلها إلى الأبد ما لم تنتهي مأساة سكانها الأصليين بعودتهم الآمنة الكريمة إلى ديارهم وتصبح خالية من أية مظاهر للاحتلال أو أية قوّة تأتمر بقراراته أو تنفذ أجنداته غير السورية.

النساء والحرب:
الصرخات المكتومة لنساء سري كانيه/رأس العين

دلشا أيو
ناشطة حقوقية

في ليلة من ليالي أكتوبر ٢٠١٩، استيقظت أم جوان على صوت انفجار هزّ أركان منزلها في سري كانيه / راس العين، في ذلك اليوم الأسود وفي غضون دقائق، وجدت نفسها تركض في الشوارع المظلمة، طفلاها بين ذراعيها، وصرخات جيرانها تملأ الهواء. لم تكن تعلم آنذاك أن هذه اللحظة ستكون بداية رحلة طويلة من النزوح والآلام.

فمنذ بداية الاحتلال التركي لسري كانيه في أكتوبر ٢٠١٩، نزح نحو ٢٠٠,٠٠٠ شخص من المنطقة، ٦٠٪ منهم من النساء والأطفال.

وفي خضم هذا الصراع المعقّد، وجد المدنيّون، وخاصة النساء والأطفال، أنفسهم ضحايا لحسابات سياسية تتجاوزهم.

حلم المُلكية المفقودة

صوت أم جوان يرتجف وهي تروي قصتها، عيناها تجوبان أرجاء الخيمة التي أصبحت مأواها الجديد، كأنها تبحث عن شبح منزلها القديم بين طيّات القماش البالي، فتقول: «كنت أعيش في سري كانيه بمنزل مليء بالأمان والهدوء وتبادل الزيارات العائلية، منزلي كان مسجلاً باسمي وكنت أفتخر بهذه الميزة لأن النساء قليلاً ما تسجل المنازل بأسمائهن، لكنني وفي ذاك اليوم الأسود، يوم احتلال مدينتنا، نزحنا ونحن بحالة صدمة ولكن إلى أين، لا ندري».

وبينما كانت ن. شيخو تحلم يوماً بأن تصبح مصممة أزياء شهيرة، فإن كل ما تتمناه اليوم هو ماكينة خياطة بسيطة، إذ تقول: «كنت أعمل خياطة في مدينة سري كانيه وكانت أحوالي لا بأس بها على الأقل كان لنا بيت نعيش فيه وماكينة خياطة هي مورد رزق لنا، لكنني فقدت كل شيء بعد النزوح، فقدتُ بيتي وفقدتُ شخصين من أفراد عائلتي ماتوا قهراً، والآن هذه الخيمة أصبحت منزلي، وكلّ أحلامي أن تكون لدي ماكينة خياطة لأعمل مجدداً لتأمين احتياجات أولادي من الطعام والتعليم والأدوية».

وبدموع منهمرة، تضيف: «أما ابنتي القاصر فقد قمت بتزويجها ليتكفّل زوجها بتأمين احتياجاتها، كانت ابنتي جميلة جداً، وكنت خائفة عليها».

بي هيفي: الأرملة الشابة

في الخامسة والعشرين من عمرها، وجدت «بي هيفي» نفسها أرملة مع طفلين صغيرين، قصتها تجسّد المُعاناة المضاعفة للنساء في ظل النزاع.

تقول: «أنا لا أتجاوز الـ ٢٥ سنة ولدي طفلين صغيرين، العادات والتقاليد تزيد من معاناتي وألمي، فقدتُ زوجي بعد احتلال مدينتي وفقدتُ بيتي ومصدر رزقي، تيتّم طفلاي، لا أستطيع أن أسكن في منزل لوحدي،

الكل ينظر إلى وكأنني مذنبة لأنني أرملة، لا أعرف ماذا أفعل، فكّرت بالعمل لكن أين سيبقى أولادي؟ لذلك قررت الذهاب لإقليم كردستان عند أقرباء لي يسكنون في المخيم هناك».

ولم يسلب النزوح من النساء منازلهن فحسب، بل سلبهن أيضاً كرامتهن وإحساسهن بالأمان، ففي المخيمات، تكافح العائلات يومياً من أجل تأمين أبسط ضروريات الحياة، حيث يعيش ٨٠٪ من النازحين من سري كانيه تحت خط الفقر، معتمدين بشكل كامل على المساعدات الإنسانية. فيما الأطفال، وخاصة الفتيات، هم الضحايا الصامتون لهذا النزاع، حيث يهدد انقطاع التعليم بخلق جيل كامل محروم من فرص المستقبل. وكذلك الصدمات النفسية التي تعرض لها النازحون، وخاصة النساء والأطفال، حيث تترك ندوباً عميقة قد تستمر لسنوات، فيما الحاجة إلى دعم نفسي واجتماعي أصبحت مُلحّة أكثر من أي وقت مضى.

المجتمع المضيف: تحديّات جديدة

النزوح لم يقتصر على فقدان المنازل والممتلكات فحسب، بل امتد ليشمل فقدان النسيج الاجتماعي والروابط المجتمعية التي كانت تشكل هوية سكان سري كانيه. في المناطق المضيفة، يواجه النازحون تحديات جديدة تتعلق بالاندماج والقبول.

أم صلاح، سيدة في الخمسينيات من عمرها، تعبر عن هذه المعاناة بقولها: «هل سنبقى ضيوفاً في مناطق أخرى أم نازحين كما يسموننا في المجتمع المضيف أم سنعود؟ أكثر ما يؤلمني عندما يسألني أحدهم هل أنت نازحة، ما ذنبي أنا وذنب أحفادي؟ لتعود حفيدتي من المدرسة وهي تبكي إثر شجار والسبب أن الطلاب يقولون: أنتم جئتم لمدرستنا فضاقت الصفوف وزاد عدد الطلاب في المقعد، عودوا إلى مدينتكم».

المُلكية والحقوق المفقودة

فقدان الملكية والوثائق الشخصية يضيف عبئاً إضافياً على كاهل النازحين، فبدون وثائق ملكية أو هوية شخصية، يجد الكثيرون أنفسهم

عالقين في دوامة بيروقراطية، غير قادرين على الوصول إلى الخدمات الأساسية أو المطالبة بحقوقهم.

السيدة نجمة سيدو، في الستين من عمرها، تقول بحسرة: «لقد ذهبت لسري كانيه ورأيتُ بيتي مدمراً بعد أن تم تفجيره من قبل المحتلين، ورغم ذلك أتمنى لو تكون هذه الخيمة هناك في تلك البقعة من منزلي لأن تلك المساحة الصغيرة هي بيتي، فأنا أريد بيتي وإن كان مدمراً وركاماً».

بينما تضيف السيدة م. قواص بألم: «حاولت أن آخذ فقط صورة المرحوم والدي المعلقة على الجدار لكنهم طردوني، فقلت لهم هذا بيتنا وهذه صورة والدي، فصرخوا بوجهي: «يالله انقلعي من هون، كان بيتك هلا بيتنا، فهمتي ولا أفهمك بشكل تاني».

أما السيدة هدلة حبش فتضيف: «إنها ليست المرة الأولى التي نهجر فيها وبالقوة من منازلنا فقد تعرضنا للخروج ثلاث مرات من سري كانيه، ولكن هذه المرة مختلفة لأننا خرجنا ولا نعرف متى نعود، كما إننا كنا نسكن في حي الخرابات وهي منطقة عشوائيات ولا وثائق لدينا وحيازتنا كانت فعلية للعقار الذي بنيناه قبل سنتين من نزوحنا، ومع ذلك هناك من هو أسوء من حالتنا كجارتي أم مظلوم فهي مكتومة القيد ولا تحمل وثائق شخصية ولا ملكية عقار، ليس هذا فقط بل حوّلوا منازلنا إلى أماكن لتربية الدواب التي سرقوها».

وتتابع: «يجب توفر الحماية للأموال والممتلكات التي يتركها المشردون داخلياً ورائهم، وذلك من خلال حمايتها من التدمير والاستيلاء التعسفي وغير القانوني وأيضاً من شغلها أو استخدامها».

ثقافات «دخيلة» وتحديات الهوية

وتواجه النساء في سري كانيه، بتنوعهن العرقي والديني، تحديات إضافية في ظل الاحتلال، ويهدّدُ التغييرُ الديموغرافي القسري والممارسات التمييزية النسيجَ الاجتماعيّ والثقافيّ الغنيّ للمدينة.

أم مصطفى تروي قصة مروعة تعكس هذا الواقع المؤلم: «إنهم ليسوا

مسلمين، إنهم دواعش، إنهم مجرمون، كنت أترجاهم مع عدّة نسوة أن ندفن جثة امرأة كردية لأن الكلاب نهشت جسدها المرمي في الشارع، قلت لهم: ألستم مسلمين والإسلام فرض دفن الموتى وهي امرأة وهذا واضح من جديلتها الملقاة بجانب ما تبقّى من جسدها؟ فصرخوا بكل البشاعة المدفونة في أعماقهم: ‹هذه المرأة صاحبة الجديلة تمنعنا من الحياة مرتين، مرة عندما تقتلنا برصاصتها كمقاتلة ومرة تمنعنا من الفوز بالجنة عندما نقتل بأيدي حرمة، بالله انقلعي من هون يا حرمة، يجب أن تنهش الكلاب ما تبقى من جسد هذه المرأة صاحبة الجديلة».

حلم العودة يبقى حياً

ورغم كل الصعوبات والمعاناة، يبقى حلم العودة حياً في قلوب النازحات، هذا الحلم هو ما يمنح الكثيرات القوّة للاستمرار في مواجهة التحديات اليومية.

أم صلاح تعبر عن هذا الحلم بكلمات مؤثرة: «مازال حلم العودة يرافقنا كل يوم لنعود لمنازلنا وحاراتنا القديمة وتجمّعات الجيران وتعاونهم بتحضيرات المونة الشتوية والزيارات المتبادلة والسهرات، حتى الأحلام البسيطة أصبحت صعبة المنال».

نداء للعمل: ماذا يمكنك أن تفعل؟

١. **التوعية**: من خلال مشاركة التقارير التي تتطرق للواقع في سريه كانيه بعد احتلالها أكتوبر العام ٢٠١٩ من قبل الجيش التركي ومليشياته السورية المسماة بـ «الجيش الوطني السوري»، ونشر الوعي حول معاناة نساء سري كانيه.

٢. **التبرع**: من خلال دعم المنظمات الإنسانية العاملة في المنطقة.

٣. **الضغط**: من خلال الاتصال مع ممثليكم في برلمانات دول المهجر، والمطالبة بتحرك دولي بحل قضية سريه كانيه وعفرين وتل أبيض، بالمطالبة بالانسحاب التركي من تلك المناطق وتركها لأهاليها الأصليين لحكمها وإدارة أنفسهم كما كان الحال قبل الغزو التركي في يناير العام ٢٠١٨ في عفرين وأكتوبر العام ٢٠١٩ في سريه كانيه وتل أبيض\ كري سبي.

٤. **التطوع**: من خلال التطوع بالمهارات يمكن أن تفيد، مع المنظمات العاملة مع النازحين.

٥. **التضامن**: من خلال إظهار تضامنك عبر وسائل التواصل الاجتماعي والتفاعل مع الحملات التي تطلق لإعلاء أصوات أهالي سريه كانيه وعفرين وتل أبيض / كري سبي المهجرين قسراً من أراضيهم.

الإطار القانوني والحقوق المهدورة

من المهم التأكيد على أن معاناة نساء سري كانيه لا تحدث في فراغ قانوني، فالقانون الدولي يوفر إطاراً واضحاً لحماية حقوق النازحين والمهجرين.

فالمادة ٤٩ من اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ تحظر بشكل صريح النقل القسري الجماعي أو الفردي للأشخاص من مناطق سكناهم.

كما أن اتفاقية لاهاي ١٩٠٧ على أنه «لا تجوز مصادرة الملكية الخاصة»، بالإضافة إلى ذلك، يؤكد المبدأ ٢١ من المبادئ التوجيهية

للأمم المتحدة بشأن النزوح الداخلي على ضرورة حماية أموال المهجرين وممتلكاتهم من التدمير والاستيلاء التعسفي.

ومع ذلك، فإن الواقع على الأرض يظهر فجوة كبيرة بين هذه القوانين والممارسات الفعلية، فالانتهاكات المستمرة لحقوق النازحين، وخاصة النساء، تستدعي تدخلاً دولياً عاجلاً لضمان تطبيق هذه القوانين وحماية الضحايا.

صرخة من أجل العدالة

قصص نساء سري كانيه ليست مجرد أرقام أو إحصاءات، بل صرخات حيّة تنادي العالم للاستيقاظ، وكل يوم يمرّ دون عمل حاسم هو يوم آخر من المعاناة لآلاف النساء والأطفال.

العودة الآمنة والكريمة لنازحي سري كانيه ليست مجرد حلم بعيد المنال، بل هي حق أساسي يجب أن نناضل من أجله جميعاً، فهل سيستمع العالم أخيراً لهذه الصرخات المكتومة؟ الإجابة تكمن في أفعالنا وتضامننا.

إن الصمت في وجه هذه المأساة الإنسانية ليس خياراً، يجب علينا جميعاً أن نرفع أصواتنا، وأن نعمل بجد لضمان أن تُسمع أصوات نساء سري كانيه وأن تُلبى احتياجاتهن.

لنتذكر دائماً أن وراء كل إحصائية وكل رقم، هناك إنسان - أم، ابنة، أخت - تحلم بالعودة إلى وطنها وبناء مستقبل أفضل، دعونا نعمل معاً لتحويل هذه الأحلام إلى حقيقة.

لنرفع أصواتنا معاً، ولنعمل يداً بيد، حتى تعود نساء سري كانيه إلى ديارهن، حاملات معهن الأمل في مستقبل أفضل، مستقبل يليق بتضحياتهن وصمودهن، فمعاً، يمكننا أن نحدث فرقاً، ومعاً يمكننا أن نضمن أن صرخات نساء سري كانيه لن تذهب سدى.

أقليّة على حافة الانقراض:

«سري كانيه/رأس العين» والفصل الأخير في إبادة الإيزيديين

أحمد قطمة
صحافي

في أكتوبر ٢٠١٩، شهدت مدينة سري كاني / رأس العين التابعة لمحافظة الحسكة شمال شرق سوريا، فصلاً جديداً من فصول المآسي التي حلّت بالإيزيديين كأقلية دينية من الشعب الكردي، تحت مسمّى «عملية نبع السلام»، وذلك عندما شنّت تركيا هجوماً عسكرياً أدى إلى تهجير السكان الأصليين، ومن بينهم الإيزيديون الذين عانوا من التهجير القسري للمرة الثالثة خلال سنوات قليلة.

لم يكن ذلك العدوان، سوى حلقة في سلسلة طويلة من الانتهاكات والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبت بحق الإيزيديين، ما شكل استمراراً

لسياسة الإبادة والتطهير العرقي التي بدأها تنظيم داعش الإرهابي في شنكال/ سنجار عام ٢٠١٤، وواصلتها تركيا في عفرين عام ٢٠١٨.

فقبل الغزو التركي، كانت سري كانيه مثالاً للتعايش والتنوع الثقافي والديني في شمال سوريا، ووفقاً لتقديرات ما قبل الحرب، كان يعيش في المنطقة حوالي ٥٠٠٠ إيزيدي، موزّعين على ما يقارب ٢٠ قرية في محيط المدينة، أكبر تلك القرى كانت تضم ما يصل إلى ١٠٠٠ نسمة، بينما كان متوسط عدد السكان في القرى الأصغر يتراوح ما بين ١٥٠-٢٠٠ شخص.

حيث شكل الإيزيديون حوالي ٥-٧٪ من إجمالي سكان سري كانيه، التي كانت تضم أيضاً الكرد المسلمين والعرب والسريان المسيحيين، وهو تنوع فريد استمر لقرون، ومثّل نموذجاً للتعايش السلمي بين مختلف المكونات الدينية والعرقية في المنطقة.

لكن في ٩ أكتوبر ٢٠١٩، وعندما بدأت تركيا عملية عسكرية واسعة النطاق في شمال سوريا، متجاهلة كل الأعراف والقوانين الدولية، وخلال الأيام الأولى من الهجوم، نزح ما يُقدّر بنحو ٢٠٠,٠٠٠ شخص من المنطقة، من بينهم غالبية السكان الإيزيديين.

وتبعاً لتقارير منظمات حقوق الإنسان، فإن ما لا يقل عن ٤٠٠٠ إيزيدي اضطروا للفرار من ديارهم، تاركين وراءهم كل ممتلكاتهم وتراثهم الثقافي الذي حافظوا عليه لقرون.

أعاد ذلك العدوان إلى الأذهان بشكل مؤلم مأساة شنكال (سنجار) في كردستان العراق، حيث تعرض الإيزيديون هناك لإبادة جماعية على يد تنظيم داعش الإرهابي في عام ٢٠١٤، إذ قتل في تلك الحادثة المروعة، ما يقدر بنحو ٥٠٠٠ إيزيدي، واختطف أكثر من ٦٠٠٠ آخرين، معظمهم من النساء والأطفال، كما نزح ما يقرب من ٥٠٠,٠٠٠ شخص نتيجة لذلك الهجوم الوحشي.

ويشبه ما حدث في سري كانيه / راس العين، إلى حد كبير ما حدث

في عفرين في مارس ٢٠١٨، عندما شنّت تركيا عملية «غصن الزيتون» العسكرية، والتي تم فيها تهجير ما يقرب من ٥٠٠٠٠٠ كردي، بينهم آلاف الإيزيديين، من منازلهم، وتدمير العديد من المواقع الدينية والثقافية الإيزيدية، بجانب توطين مستوطنين من مناطق أخرى في منازل السكان الأصليين.

إن ممارسات تركيا والميليشيات التابعة لها، المعروفة باسم «الجيش الوطني السوري»، لا تختلف في جوهرها عن ممارسات تنظيم داعش الإرهابي، فكلاهما يسعى إلى تغيير التركيبة الديموغرافية للمنطقة وطمس هويتها الثقافية والدينية الأصيلة.

وحسب تقارير موثقة من منظمات حقوق الإنسان، فقد تم توثيق ما لا يقل عن ٦٣ حالة اختطاف لمدنيين، بينهم إيزيديون، في المناطق الخاضعة لسيطرة هذه الميليشيات، كما تم تدمير ما لا يقل عن ٥ مزارات دينية إيزيدية في محيط سري كانيه، وهي ممارسات لا تختلف في جوهرها عن ممارسات داعش في شنكال، حيث تم فيها تدمير ٦٨ مزاراً دينياً إيزيدياً.

«الجيش الوطني السوري»، الذي يعتبر ذراع تركيا في شمال سوريا، يضم في صفوفه عناصر متطرّفة، بعضها كان منضوياً سابقاً تحت راية تنظيمات إرهابية مثل داعش وجبهة النصرة، وبالتالي يحملون نفس الأيديولوجية المتطرفة التي تعتبر الإيزيديين «كفاراً» يجب إما تحويلهم إلى الاسلام أو إبادتهم، وهذا التشابه الأيديولوجي والعملي بين داعش و»الجيش الوطني السوري» يؤكده ما حلّ بالإيزيديين في سري كانيه وعفرين.

فبعد الغزو التركي، تغير الواقع الديموغرافي في سري كانيه بشكل دراماتيكي، ووفقاً للمعلومات المتوفرة، فقد تم توطين ما يقرب من ١٠٠,٠٠٠ شخص من مناطق أخرى في سوريا في سري كانيه، من العرب السنة، ما يمثّل تغييراً جذرياً في التركيبة السكانية للمنطقة، ويشكّل انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي الإنساني الذي يحظر التغيير الديموغرافي القسري.

كما هناك تقارير موثوقة تشير إلى عمليات توطين منهجية لعائلات من خارج المنطقة، بما في ذلك ما يقدر بنحو ١٥٠٠ عائلة من العراق، ووفقاً لمصادر محليّة، فإن بعض هؤلاء المستوطنين الجدد هم من عناصر داعش السابقين أو المتعاطفين معهم، كما تم توثيق ما لا يقل عن ١٥٠ حالة استيلاء على ممتلكات تعود للإيزيديين في المنطقة.

تشكّل هذه السياسة الممنهجة للتغيير الديموغرافي جريمة حرب وفقاً للقانون الدولي، وتهدف إلى تغيير الطابع العرقي والديني للمنطقة بشكل دائم، مما يجعل عودة السكان الأصليين أمراً شبه مستحيل في ظل الوجود التركي بأي شكل من أشكاله العسكرية المباشرة عبر جيشه، أو غير المباشرة عبر المليشيات المتطرّفة التابعة له كمليشيات المعارضة السورية.

من بين الـ ٤٠٠٠ إيزيدي الذين نزحوا من سري كانيه، يعيش حوالي ٢٥٠٠ منهم حالياً في مخيمات للنازحين في مناطق شمال شرق سوريا الخاضعة لسيطرة الإدارة الذاتية، يعيشون في ظروف قاسية نفسياً في ظل عدم قدرتهم على العودة لأرضهم التي لطالما كانوا جزءً منها.

البقية، وهم حوالي ١٥٠٠ شخص، فرّوا إلى خارج سوريا، لكنهم أيضاً يواجهون تحديات كبيرة في الاندماج والحصول على فرص العمل والتعليم، والعديد منهم يعانون من صدمات نفسية حادة نتيجة للتهجير المتكرر والعنف الذي شهدوه.

هذه المأساة الإنسانية تمثل استمراراً للمعاناة التي بدأت مع هجوم داعش على شنكال في ٢٠١٤، فمنذ ذلك الحين، نزح ما يقرب من ٦٥٠,٠٠٠ إيزيدي من مناطقهم التاريخية في العراق وسوريا، وهو ما يمثل أكثر من ٩٠٪ من إجمالي عدد الإيزيديين في هذين البلدين.

ورغم الأدلة الدامغة على الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان وجرائم الحرب المرتكبة في سري كانيه وغيرها من المناطق التي احتلتها، تواصل تركيا سياسة الإنكار والتضليل، وتدّعي أنقرة أن عملياتها العسكرية تهدف إلى «مكافحة الإرهاب» و»إعادة اللاجئين»، متجاهلة حقيقة أنها

تقوم بتهجير السكان الأصليين وتوطين مجموعات موالية لها، وأنها من تدعم الإرهاب، ومن مرر الإرهابيين الدواعش إلى سوريا والعراق، من كل أصقاع المعمورة، في إطار مساعيها الاستعمارية والعنصرية لإعادة تشكيل المنطقة وفقاً لرؤيتها الجيوسياسية، المتجاهلة والمنكرة لحقوق السكان الأصليين وتاريخهم وثقافتهم.

أما صمت المجتمع الدولي على ما يحدث في سري كانيه وغيرها من المناطق السورية المحتلّة، فما هو إلا دليلٌ على فشل ذريع في تحمّل المسؤولية الأخلاقية والقانونية، حيث لم تتخذ الأمم المتحدة أو القوى الكبرى أية إجراءات جادة لوقف هذه الجرائم أو محاسبة مرتكبيها، ويرسل رسالة خطيرة مفادها أن جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية يمكن أن تمرّ دون عقاب، مما يشجع المزيد من الانتهاكات في المستقبل، فبينما تتم إدانة بعض الدول وفرض العقوبات عليها بسبب انتهاكات حقوق الإنسان، يبدو أن تركيا، العضو في حلف الناتو، تتمتع بحصانة من المساءلة رغم جرائمها الواضحة.

في ضوء هذه المأساة المستمرة، هناك حاجة ملحّة لاتخاذ إجراءات فورية وحاسمة لحماية ما تبقّى من الوجود الإيزيدي في كردستان سوريا والعراق، حيث يجب على المجتمع الدولي أن يتحرك على عدة مستويات:

١. وقف العدوان التركي: يجب على مجلس الأمن الدولي أن يتخذ قراراً ملزماً يطالب تركيا بالانسحاب الفوري من الأراضي السورية التي احتلتها، بما في ذلك سري كانيه وعفرين وتل أبيض.

٢. فرض عقوبات: ينبغي فرض عقوبات اقتصادية وسياسية على تركيا والأفراد المسؤولين عن جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية في المناطق المحتلّة.

٣. محاكمة مرتكبي الجرائم: يجب إحالة الملف السوري إلى المحكمة الجنائية الدولية لمحاكمة المسؤولين عن الجرائم المرتكبة ضد الإيزيديين وغيرهم من المدنيين.

٤. حماية دولية: يجب توفير حماية دولية للإيزيديين والأقليات الأخرى في مناطق شمال سوريا والعراق، ربما من خلال نشر قوات حفظ سلام تابعة للأمم المتحدة.

٥. دعم إنساني: زيادة الدعم الإنساني للنازحين الإيزيديين، مع التركيز على توفير السكن اللائق والرعاية الصحية والتعليم.

٦. إعادة الإعمار: وضع خطة شاملة لإعادة إعمار المناطق المتضررة وضمان عودة آمنة وكريمة للنازحين إلى ديارهم.

٧. الاعتراف بالإبادة: يجب على المجتمع الدولي الاعتراف رسمياً بأن ما تعرض له الايزيديون في شنكال وعفرين وسري كانيه، يرقى إلى مستوى الإبادة الجماعية، مما يفتح الباب لمزيد من الإجراءات القانونية والسياسية.

إن مأساة الإيزيديين في سري كانيه وغيرها من المناطق ليست مجرد قضية محليّة، بل هي اختبار لقدرة المجتمع الدولي على حماية التنوع الثقافي والديني في الشرق الأوسط وحول العالم، فالايزيديون بتاريخهم العريق وثقافتهم الفريدة، يمثلون جزءاً أساسياً من النسيج الاجتماعي والثقافي للمنطقة، والحفاظ على هذا التنوع ليس مجرد مسؤولية أخلاقية، بل هو ضرورة استراتيجية لتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة، كون المجتمعات المتنوعة والمتسامحة أكثر قدرة على مقاومة التطرّف والعنف.

وعليه، يجب أن نعمل على بناء مستقبل لسوريا والعراق يضمن حقوق جميع المكونات الدينية والعرقية، وهو ما يتطلب:

١. إصلاح دستوري: ضمان تمثيل عادل لجميع المكونات في الدساتير والقوانين الوطنية.

٢. تعليم التسامح: إدخال برامج تعليمية تعزز التسامح والتعايش في المدارس والجامعات.

٣. حماية التراث: توفير حماية خاصة للمواقع الدينية والثقافية للأقليات،

بما فيها المزارات والمعابد الإيزيدية.

٤. التمكين الاقتصادي: دعم المشاريع الاقتصادية التي تعزز التعاون بين مختلف المكونات.

٥. العدالة الانتقالية: إنشاء آليات للعدالة الانتقالية تضمن محاسبة مرتكبي الجرائم وتعويض الضحايا.

إن مصير الإيزيديين في سري كانيه وغيرها من المناطق هو اختبار لضمير العالم، وكل يوم يمرّ دون اتخاذ إجراء حاسم هو يوم آخر نسمح فيه باستمرار جريمة إنسانية كبرى أمام أعيننا، ولذلك علينا أن نتذكر أن التاريخ سيحكم علينا ليس فقط بأفعالنا، ولكن أيضاً بصمتنا وتقاعسنا، وليس الدفاع عن حقوق الإيزيديين وحمايتهم من الإبادة والتهجير، مجرد مسؤولية سياسية أو قانونية، بل هو واجب أخلاقي على كل إنسان يؤمن بقيم العدالة والكرامة الإنسانية، وعليه، ينبغي أن نرفع أصواتنا ونعمل معاً - حكومات ومنظمات دولية ومجتمع مدني - لوضع حد لهذه المأساة المستمرة، ونضمن مستقبلاً آمناً وكريماً للإيزيديين ولجميع شعوب المنطقة.

«غصن الزيتون ونبع السلام»

جرائم حرب وانتهاكات ممنهجة في ضوء القانون الدولي

محي الدين عيسو*

مقدمة

أدّت العمليات العسكرية التي شنّتها تركيا في شمال سوريا كعملية «غصن الزيتون» (٢٠١٨) وعملية «نبع السلام» (٢٠١٩)، إلى وقوع انتهاكات واسعة النطاق لحقوق الإنسان طاولت السكان المحليّين، وخاصة المجتمعات الكردية في عفرين ورأس العين/سرى كانيه وتل أبيض، كان من نتيجتها حصول حالة تهجير قسريّ قلّ نظيرها منذ بدء الأزمة السورية.

أفضت العملية العسكرية إلى حصول جملة من الانتهاكات تمثلت في:

التهجير القسري والاعتقالات التعسفية ومصادرة الممتلكات وعمليات القتل خارج نطاق القانون والتعذيب التي ارتكبتها القوات التركية والفصائل السورية التابعة لها. وبطبيعة الحال تنتهك هذه الأعمال العديد من أحكام القانون الدولي، بما في ذلك القانون الإنساني الدولي والقانون الدولي لحقوق الإنسان.

في تقريرنا المقتضب هذا نعرض بعض هذه الانتهاكات، مع الإشارة إلى المعايير القانونية المطبقة وإسناد جميع المعلومات إلى مصادر دولية وحقوقية موثوقة.

التهجير القسري

خلال عمليتي «غصن الزيتون» و»نبع السلام»، تم تهجير مئات الآلاف من المدنيين، ومعظمهم من الأكراد، قسراً. كانت القوات التركية والفصائل المتحالفة معها، مثل «الجيش الوطني السوري»، مسؤولة عن تهجير عشرات الآلاف من السكان من مناطق مثل عفرين ورأس العين وتل أبيض، وتم منع العديد من السكان المهجرين من العودة إلى منازلهم التي صادرتها أو دمّرتها الفصائل المدعومة من تركيا.

بعد السيطرة على هذه المناطق، قامت الفصائل المسلحة المدعومة من تركيا بمصادرة ممتلكات السكان المُهجرّين أو تدميرها، ما جعل من الصعب على الكثيرين العودة. كما تم توثيق تقارير عديدة عن انتهاكات حقوق الإنسان ضد السكان الأكراد في تلك المناطق، بما في ذلك عمليات قتل واختطاف ونهب ممتلكات، فضلاً عن إحداث تغيير ديموغرافي واسع النطاق بسبب إعادة توطين السكان الموالين لتركيا من مناطق أخرى داخل سوريا، حيث سعت تركيا إلى استخدام تلك المناطق كوجهةٍ لتوطين آلاف اللاجئين السوريين المقيمين في تركيا، هذا التوطين أثار مخاوف دولية بشأن المزيد من عمليات التغيير الديمغرافي المُتعمّدة في المناطق ذات الأغلبية الكردية، حيث إن اللاجئين الذين تم توطينهم ينتمون إلى مجموعات إثنية مختلفة.

وفقًا لـ اتفاقية جنيف (١٩٤٩)، تحظر المادة ٤٩ الترحيل أو النقل القسري للمدنيين من الأراضي المحتلّة، إذ تنصّ على أن مثل هذه التحركات تعتبر غير قانونية بموجب القانون الإنساني الدولي إلّا إذا كانت مطلوبة لحماية السكان أو لأسباب عسكرية مَلحّة. كما يصنف نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية (١٩٩٨) التهجير القسري على أنه جريمة ضد الإنسانية، مما يحمّل مرتكبي هذه الجرائم المسؤولية القانونية.

تؤكد المبادئ التوجيهية بشأن النزوح الداخلي على حق الأفراد المهجرين في العودة إلى منازلهم، وتحظر التهجير القسري الذي ينتهك حقّ الحياة والحرية والكرامة، حيث تشكل هذه المبادئ إطاراً أساسياً لحماية حقوق المهجرين في المناطق المتأثرة بالنزاعات.

منع المدنيين من العودة إلى منازلهم

بعد انتهاء العمليتين العسكريتين، (غصن الزيتون ونبع السلام)، ظهرت تقارير عديدة تفيد بأن تركيا والفصائل السورية المدعومة من قبلها قد منعوا المدنيين، خصوصاً الأكراد، من العودة إلى مناطقهم ومنازلهم في المناطق التي كانت تحت سيطرة «الإدارة الذاتية الديمقراطية»، وقد وردت العديد من الشكاوى من سكان تلك المناطق عن حصول تغيير ديموغرافي متعمّد، إذ تم توطين عائلات عربية وتركمانية في المنازل العائدة للأكراد الذين غادروا اضطرارياً أو تم تهجيرهم بفعل النزاع.

يُعدّ منع المدنيين من العودة إلى منازلهم بعد تهجيرهم انتهاكًا للقانون الدولي لحقوق الإنسان. تنص مبادئ بينهيرو بشأن استرداد المساكن والممتلكات للاجئين والأشخاص المشردين ٢٠٠٥ على أن «للأشخاص المُهجّرين الحق في العودة الطوعية إلى منازلهم واستعادة ممتلكاتهم»، كما يضمن العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية (ICCPR)، في المادة ١٢، حق الأفراد في العودة إلى أوطانهم ومنازلهم.

ينصّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان UDHR))، في المادة ١٣، على أن لكل شخص الحق في مغادرة أي بلد، بما في ذلك بلده، والعودة إليه.

تشكّل هذه الأحكام جزءاً من القانون الدولي الذي يحظر منع المدنيين من العودة إلى منازلهم، مما يزيد من تفاقم الضرر الناجم عن التهجير القسري.

الاعتقال التعسفي والاختفاء القسري

وثّقت تقارير من منظمة العفو الدولية حالات واسعة من الاعتقالات التعسفية والاختفاء القسري التي ارتكبتها الفصائل المدعومة من تركيا، مثل فصيل «أحرار الشرقية»، إذ تم اعتقال المدنيين، بمن فيهم النساء والأطفال، دون اتباع إجراءات قانونية مناسبة، واحتُجزوا بمعزل عن العالم الخارجي، مما أثار مخاوف بشأن حالات الاختفاء القسري.

يحظر العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ICCPR الاعتقال التعسفي، حيث ينصّ على أن يتم إبلاغ المعتقلين بأسباب اعتقالهم وعرضهم على السلطات القضائية في أقرب وقت ممكن. كما تحظر الاتفاقية الدولية لحماية جميع الأشخاص من الاختفاء القسري الاعتقالات التي لا يُعرف فيها مكان وجود المعتقلين، مما يضع الأفراد خارج نطاق حماية القانون.

التعذيب والمعاملة اللاإنسانية

تصفُ العديد من التقارير الصادرة عن «هيومن رايتس ووتش» ومنظمة «العفو الدولية» استخدام التعذيب وأشكال المعاملة اللاإنسانية في المناطق التي تحتلّها تركيا. حيث أبلغ المعتقلون الأكراد عن تعرضهم لـ ضرب مبرح وصدمات كهربائية وأشكال أخرى من التعذيب النفسي. يُزعم أن ضباط الاستخبارات التركية كانوا حاضرين أثناء بعض هذه العمليات، طبقاً للتقرير.

تحظر اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب ١٩٨٤ التعذيب في جميع الظروف، وتعرفه بأنه «أي فعل يتسبب في ألم أو معاناة شديدة بدنية أو نفسية بهدف الحصول على معلومات أو كوسيلة للعقاب».

القتل خارج نطاق القانون

يشكل القتل خارج نطاق القانون انتهاكاً خطيراً آخر للقانون الدولي. من أشهر الحالات اغتيال الناشطة السياسية الكردية هفرين خلف على يد مقاتلي فصيل «أحرار الشرقية» خلال عملية «نبع السلام». تم سحب خلف من سيارتها وتعرضت للضرب ثم تم إعدامها. كانت هذه واحدة من عدة حالات الإعدام الميداني التي ارتكبتها الفصائل المدعومة من تركيا.

تشكل عمليات القتل خارج نطاق القانون انتهاكًا للمادة ٦ من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ICCPR، التي تضمن الحق في الحياة وتحظر الحرمان التعسفي من الحياة. كما تنص مبادئ الأمم المتحدة بشأن الوقاية الفعالة والتحقيق في عمليات الإعدام خارج نطاق القانون ١٩٨٩ على «أن تتخذ الحكومات إجراءات فعالة للتحقيق في عمليات القتل خارج نطاق القانون ومنعها».

مصادرة ونهب الممتلكات

انتشرت أعمال مصادرة ونهب الممتلكات في مناطق مثل عفرين ورأس العين، حيث استولت الفصائل المدعومة من تركيا على منازل المدنيين وباعتها أو قامت بتأجيرها دون موافقتهم. غالباً ما يجد المدنيون العائدون إلى منازلهم أنها دُمرت أو صودرت من قبل الفصائل المسلحة. في بعض الحالات، تم بيع منازل مقابل أقل من ٧٠٠ دولار.

يحظر القانون الدولي نهب وتدمير ممتلكات المدنيين. تحظر لوائح لاهاي لعام ١٩٠٧ واتفاقية جنيف الرابعة النهب ومصادرة الممتلكات المدنية. تنص المادة ٣٣ من اتفاقية جنيف الرابعة على أن «النهب محظور رسمياً» بالإضافة إلى ذلك، يعتبر نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية النهب جريمةَ حرب.

العنف الجنسي

تم الإبلاغ عن حالات العنف الجنسي، خاصة ضد النساء الكرديات، في المناطق التي تسيطر عليها تركيا. أفادت المعتقلات بأنهنّ تعرضن للاعتداء الجنسي أثناء استجوابهن من قبل الفصائل المدعومة من تركيا.

وقد روى الناجون أنهم تعرضوا للاغتصاب أو أشكال أخرى من العنف الجنسي كوسيلة للإكراه أو العقاب.

يُعد العنف الجنسي انتهاكًا جسيمًا لـ القانون الإنساني الدولي، ويُحظر صراحة بموجب اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة ١٩٧٩. كما تعترف قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ١٣٢٥ بالعنف الجنسي كتكتيك من تكتيكات الحرب وتؤكد على ضرورة وضع آليات حماية للنساء في النزاعات المسلحة.

انتهاكات حقوق السكن والأراضي والممتلكات

وفقاً لتقارير «هيومن رايتس ووتش»، تم منع السكان المهجرين في مناطق مثل عفرين ورأس العين من استعادة منازلهم بسبب المصادرة غير القانونية للممتلكات. في بعض الحالات، اضطر المدنيون إلى دفع مبالغ كبيرة من المال للوصول إلى ممتلكاتهم، وفي حالات أخرى، احتُلت منازلهم من قبل الفصائل المسلحة.

يضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان UDHR حق امتلاك الممتلكات، بينما تؤكد مبادئ بينهيرو على حق المهجرين في العودة إلى منازلهم والحصول على تعويض أو استرداد ممتلكاتهم.

المحاسبة والإفلات من العقاب

على الرغم من التوثيق الواسع لهذه الانتهاكات، ظلّ الإفلات من العقاب سائداً. فقد تمكّنت الفصائل المدعومة من تركيا من الإفلات التام من العقاب، وفشلت تركيا، بصفتها السلطة المحتلّة المباشرة، في محاكمة المسؤولين عن هذه الجرائم، فبموجب اتفاقية جنيف الرابعة، تتحمل قوات الاحتلال مسؤولية الحفاظ على النظام العام وضمان حماية المدنيين. ويشكل الفشل في القيام بذلك انتهاكًا للقانون الإنساني الدولي.

الخاتمة

تشكل الانتهاكات والجرائم الموصوفة التي ترتكبها تركيا والفصائل

السورية المسلحة التابعة لها في شمال سوريا وبالأخص في مناطق عفرين ورأس العين / سري كانيه وتل أبيض خرقاً خطيراً للقانون الدولي وانتهاكاً متواصلاً لحقوق الإنسان الأساسية.

من المفيد التذكير هنا بأن الانتهاكات المذكورة في هذا التقرير المتمثّلة بالاعتقال التعسفي والقتل خارج القانون ونهب ومصادرة الممتلكات والتعذيب والمعاملة اللاإنسانية والعنف الجنسي بحق النساء ثم الإفلات من العقاب والمحاسبة تمثل مجتمعة الديناميات المطلوبة لتنفيذ سياسات التهجير القسري وإحداث عمليات تغيير ديمغرافي واسعة النطاق. فضلاً أن لهذه الأفعال تأثير مدمّر على السكان المحليين لاسيما الأكراد الذين يشعرون بأنهم غير مشمولين بأيٍّ من أشكال الحماية القانونية أو الدولية ولأجل ذلك: يتعيّن على المجتمع الدولي تكثيف الجهود لمحاسبة الجناة وتوفير العدالة. وتكثيف التقارير والإحاطات لرصد وتوثيق الانتهاكات اليومية وتنظيم مناسبات تضامنية مع ضحايا التهجير القسري والإشارة إلى الأسباب المباشرة والفعلية لحدوث موجات التهجير وما يتبع ذلك من حصول تغييرات ديمغرافية تؤثّر على مسار الاستقرار والسلام في سوريا. كما يتعيّن على المجتمع الدولي المساهمة في جهود عودة المهجّرين قسرياً وجبر الضرر الذي لحق بهم والتعويض عليهم، ومن المهم في الوقت الراهن إيلاء الاهتمام بالفئات الأكثر ضعفاً كالنساء والأطفال والمرضى في مخيّمات مُهجّري عفرين ورأس العين وتل أبيض.

***المدير التنفيذي لرابطة دار لضحايا التهجير القسري DAR**

الأربعاء الأسود: يوم احتلّوا بيوتنا

زكي حجي
ناشط حقوقي

(١)

بين الأربعاء الأسود في ٢٠١٩/١٠/٩ والأربعاء الأكثر سواداً في ٢٠٢٤/١٠/٩ خمس سنوات من الغربة و٦٠ شهراً من الألم و١٨٢٧ يوم من الفراق و٢٦١ أسبوعاً من الآهات و٤٣,٨٤٨ ساعة من الهجرة و٢,٦٣٠,٨٨٠ دقيقة من العذاب و١٥٧,٨٥٢,٨٠٠ ثانية من الشوق اليها.

(٢)

كانت الساعة تشير إلى الرابعة وعشر دقائق عصراً من يوم الأربعاء

الأسود عندما قصفت الطائرات التركية في نصف قوس ممتداً من جنوب غرب إلى جنوب شرق المدينة الآمنة وحلّقت طائرات فوقها ورسمت وراءها خيوطاً من الدخان الأبيض وتشكّلت خيمة بيضاء فوق المدينة. تناغمت أصوات الطائرات في السماء، مع قصف المدافع على الأرض، مشكلة أوبرا حزينة ألحانها هروب جماعي للسكان، النساء، الأطفال، تاركين وراءهم بيوتهم مفتوحة ...

(٣)

لقد تركت بعض الأمهات ملابس أُسَرهن على حبال فوق الأسطح وترك الأطفال مطمورتاهم وحقائبهم المدرسية وكتبهم وأقلامهم ودفاتر الرسم وعلب التلوين وكثيرين منهم لم يكملوا رسوماتهم فقد بقيت حسرة في قلوبهم حتى الآن. وبعد خمس سنوات مازال البعض يروي بألمٍ وغصّة قصة تركه لحيواناته في حوش المنزل ويسأل بحسرة كل يوم كيف ماتت حيواناته من الجوع والعطش أو ذبحاً بسكاكين أولاد ال...

(٤)

في يوم ٢٠١٩/٩/٢٠ تم الاتفاق بين الأطراف المعنية وأعلنت قوات سوريا الديمقراطية انسحابها بشكل رسمي من المدينة. لقد غطى بعض المقاتلين رؤوسهم وتمنى البعض منهم الشهادة في حي الخرابات أو شارع (مالا ملا درويش) أوفي خندق تحت الأرض ...

(٥)

سيطرت القوات الغازية والفصائل الموالية لها على كامل الأحياء وسوق المدينة ومنطقة الصناعة ووجدوها كنزاً وغنيمة لهم وتحت شعارات التكبير والله أكبر والحمد لله؛ بدؤوا بتقسيم المدينة فيما بينهم ووضعوا الحواجز والسواتر على مدخل المدينة وشوارعها وتقطّعت أوصالها إلى أكثر من مئة قطعة وجزء، وسرعان ما ظهر أمراء الحرب وبدأووا عمليات السرقة والنهب والتخريب وخلال شهري أكتوبر ونوفمبر كان هناك أكثر من (٥٠٠٠) منزل أبوابها مفتوحة على مصراعيها.

(٦)

كانت منطقة الصناعة تضم أكثر من ٢٧٠ محل ومستودع ومخزن ومراكز للصيانة والتصليح تم نهبها بالكامل وبشكل منظم وأرسلت البضاعة المسروقة إلى تركيا ومناطق المعارضة السورية. وتحوّلت سري كانيه إلى مدينة الأشباح ووضعوا الأرقام والأسماء على محلات السوق وتم سرقة البضاعة الموجودة فيها كاملة وتم تخريب وتكسير أبواب المحلات والمستودعات.

(٧)

وصلت حملات «الجراد» إلى الأرياف والقرى تم سلب ونهب محصول القطن من الحقول وسرقة آلاف الأطنان من القمح والشعير وغيرها من بيوت الناس ومصادرة حيواناتهم ومونتهم الخاصة وسرقة الآلات الزراعية (جرّارات، موتورات، حصادات، ...) ووضعوا أيديهم على عشرات الآلاف من الهكتارات من أخصب الأراضي الزراعية ويستثمرونها حتى الآن.

(٨)

لقد تم تهجير سكانها الأصليين: الكرد، الشيشان، الأرمن، السريان، المسيحيين، الأيزديين، وقسم كبير من العرب. وتم استيطان - مجموعة من السوريين الهاربين من مناطقهم - في بيوتنا في سابقة خطيرة أن تتحول من مظلوم ومُهَجَّر إلى ظالم ومُهَجِّر لغيرك ومرتزق بيد دولة أجنبية، وتقاتل من خارج حدود بلدك مقابل مبلغ من المال.

(٩)

أهلنا المنتشرون في قرى تل تمر وأحياء مدينة الحسكة وفي مخيماتها وفي بلدة الدرباسية وعامودا وفي أحياء مدينة قامشلو المختلفة وتربه سبيه ورميلان وجل أغا وديريك والذين عبروا الحدود إلى كوردستان و تركيا والذين وصلوا إلى الدول الاوربية، أنا متأكّدٌ من محبتكم لبعضكم وشوقكم لمدينتكم.

(١٠)

الذين تركناهم في سري كانيه، قبور أباءنا وأحباءنا وشهداءنا سامحونا على كل الأعياد والمناسبات الماضية، نخبركم: أنتم في الذاكرة وعلى اللسان دائماً وكلّما اجتمع اثنان من سري كانيه وأنتم ثالثنا، وإذا عدنا يوماً سنعوّضكم عن كل هذه الفترة وسيأتي يوم نطهّر فيه بيوتنا من دنسهم وحقدهم.

«الناشط المدني من أهالي سري كانيه (رأس العين) بروجآفا مهدي حسين: «جلبت معي مفتاح باب منزلي فقط أثناء التهجير... روداو ٠٩-١٢-٢٠٢٣»

سري كانيه... أيقونة الجزيرة

شيرا أوسي
ناشطة وإعلامية

سري كانيه أو راس العين، مدينة الينابيع الكبريتيّة والآثار الموغلة في التاريخ، فعلى هذه الأرض تعاقبت الحضارات وتوالت الثقافات، فأصبحت النموذج الفريد في تلاقي مختلف الثقافات وساحة التآخي بين تلك الشعوب التي سكنتها على مدار القرون.

إنها المدينة التي أورثت أبناءها حبّ السلام والمحبة وعشق العيش المشترك، كيف لا وهي المعروفة بجمالها وجغرافيتها الجميلة والتي أكسبت سكانها الجمال والصفات والأخلاق الفضيلة.

ويشهد التاريخ كيف أنّ هذه المدينة كانت الحاضنة واللوحة الفسيفساء التي نُحتت بتمازج الألوان الدّالة على جمالية المكوّنات التي ساهمت في الحفاظ على إرثها الجميل.

إن الحديث عن هذه الأيقونة الجميلة يطول ويحتاج إلى معلّقات عدّة لربما حينها نستطيع إعطاء هذه المدينة حقّها في الوصف والجمال.

أما موقعها الجغرافي فقد أعطاها الصبغة الحيوية بين مناطق عدة، لذلك سنحاول ومن خلال هذه الكلمات المتواضعة أن نلقي الضوء على الجانب الاجتماعي والحالة المجتمعية لسري كانيه.

ندرك جيداً بأن الشعوب القاطنة في مكان ما هي التي ترسم جمالية ذلك المكان وتحدّد ملامحها، لذا فقد كان لسكان سري كانيه الفضل الأكبر في الحفاظ عليها من خلال الموروث الاجتماعي المبني على الأخلاق السامية المتوارثة من الأجداد.

سري كانيه المدينة الصغيرة بمساحتها ولكن الكبيرة بتنوّعها، فقد حملت واحتوت على العديد من الطوائف والقوميات المتنوعة واستطاع أهلها الاستفادة من هذا التنوع والتعدد لرسم الحالة المجتمعية المثالية من خلال حالة التجانس والتمازج بين تلك المكونات.

ومن خلال الخوض في التاريخ المعاصر والحديث سنجد بأنه رغم جميع المحاولات والسياسيات التي كانت تُمارس بحق هذه المدينة وغيرها من المدن السورية خلال حقبة النظام البعثي ورغم جميع الإمكانيات التي كان يمتلكها هذا النظام ومن أدوات، إلا أنه عجز عن خلق الشرخ المجتمعي بين أبناء هذه المدينة بل زادهم ذلك تماسكاً وتلاحماً، وتجلّى ذلك في حالة التماسك المجتمعي التي أظهرها أهل هذه المدينة.

ومن الأمثلة الحيّة على ذلك انتفاضة قامشلو في سنة ٢٠٠٤م وما تلاها من امتداد إلى باقي المناطق ومنها سري كانيه، وكيف أن أهلها بشكل عام ومن المكوّن الكردي على وجه الخصوص، قاموا ووقفوا معاً وقفة رجل واحد ضد الممارسات القمعية من قبل النظام البعثي ولم تتأثر

المدينة حينها بكافة المحاولات التي كانت تهدف إلى صبغ تلك الانتفاضة بالطابع القوميّ والطائفيّ من خلال القول بأنها حربٌ بين الكُرد والعرب إلّا في نطاق محدود.

جميع تلك الادعاءات سقطت أمام حالة التماسك والوعي المجتمعي التي أبداها أبناء سري كانيه، وتجلّت عظمة هذا التماسك خلال غزو الفصائل الراديكالية للمدينة بداية الأحداث السورية في العام ٢٠١٢م والذي تمثّل بالهجوم الذي شنّته فصائل مسلّحة مثل «غرباء الشام» و «جبهة النصرة» مدعومةً من تركيا، فرغم قلّة الإمكانيات حينها بقيت سري كانيه القلعة الصامدة في وجه هذا الغزو بعد أن هبّ الجميع بمختلف مشاربهم وتعدد طوائفهم للدفاع عن مدينتهم المعززة بموروث التعايش المشترك والأخوة في الحياة.

إن حالات المصاهرة بين مختلف أبناء هذه المدينة وحالة التمازج في أسواقها إنّما هي من الأدلة الواضحة بأن سكان سري كانيه لم تكن لديهم الحالة الإقصائيّة التي غالباً ما تتواجد في المجتمعات الأخرى، بل على العكس كان هذا التمازج اللبنة الأساسية في الصرح الذي تم بناؤه بعد انطلاق الأحداث السورية.

قبل الغزو التركي والفصائل المسلحة التابعة لها والتي أطلقت على نفسها اسم «الجيش الوطني السوري»، في عام ٢٠١٩م، كانت لهذه المدينة مكانة حيوية وكانت تُعتبر نقطة التقاء لجميع المناطق الأخرى وذلك لأسباب تتعلق بطبيعة جغرافيتها وموقعها ناهيك عن الحالة الاجتماعية لسكانها وحالة التوافق والتجانس بين أبناء هذه المدينة.

ولأنها كانت الحصن القوي مجتمعيّاً، فهي كانت هدفاً دوماً لكافة الطامعين وفي مقدمتهم تركيا وفصائلها التي تسمّي نفسها (سوريّة) زيفاً.

حتى بعد احتلالها ورغم الظروف التي مرّت بها هذه المدينة، ظلّ أهلها وأبناؤها ورغم حالة التهجير والتغييب القسري، محافظين على هذا التماسك في الأماكن التي نزحوا إليها ومازالت حالة التلاحم موجودة

رغم كل الظروف التي عصفت بهم وبمدينتهم. وبالفعل كانت سري كانيه الأيقونة الجميلة بموروثها الاجتماعي والثقافي والتاريخي وتحولت لنموذج للسّلم الأهلي والتعايش المشترك كونها تمثّل بشكل ما الطبيعة التعددية والتنوع في سوريا.

إن سري كانيه بالإضافة لآثارها في تل حلف وتل الفخيرية هي مواقع تختزن تاريخ المنطقة وهي ذاكرة العصور لمدّة تزيد عن ستة آلاف سنة، أي أن آثارها موغلة في التاريخ وتدل على تعاقب الحضارات فيها، وبذلك أصبحت نموذجاً للمدينة المتلاحمة بجميع مكوناتها من كرد وعرب وسريان وأرمن وشيشان، مسلمين ومسيحيين وإيزيديين.

حـوارات

١- الشخصية الوطنية الكردية المعروفة عمر عفدكي

٢- الناشط والكاتب يونس بهرم

الشخصية الوطنية الكردية المعروفة

عمر عفدكي (أبو تيمور) للحوار:

مكوّنات سري كانية/ رأس العين كانوا بحاجة بعضهم بعضاً...
ولم يبقى من الكرد بعد الاحتلال سوى ٤٠ شخصاً!

أجرى الحوار:
نواف بشار عبد الله

بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة لجريمة احتلال تركيا والفصائل المسلّحة السورية الموالية لها لمدينة سري كانيه (رأس العين) وريفها في تشرين الثاني عام ٢٠١٩، يسرّنا في أسرة تحرير مجلة «الحوار» أن نلتقي الشخصية الوطنية الكردية عمر عفدكي (أبو تيمور)، ابن مدينة سري كانيه للوقوف على ماضي هذه المدينة وحاضرها المؤلم، وحجم المآسي والآلام التي تعانيها اليومَ عشراتُ آلاف الأسر والعوائل النازحة عن ديارها ومساكنها، لتعيشَ في مخيمات اللجوء (واشو كاني -الطلائع) وفي مختلف مدن الجزيرة وبلاد الغربة، ويعانيَ أفرادُها قسوة الحياة ومرارة التهجير القسري، فأهلاً بك سيد عمر ضيفاً كريماً على صفحات مجلة «الحوار»

س١: بدايةً، نأملُ أن تعرّفَ القرّاءَ بشخصكم الكريم، وكيف تصفُ لنا فترة طفولتك وشبابك وانخراطك في الشأن العام والحركة الكردية؟

ج١: في البداية أشكر أسرة تحرير مجلة «الحوار» على منحي هذه الفرصة لألتقي الأخوةَ القرّاءَ وأوصلَ رأيَ المتواضع إليهم. فقد ولدتُ في قرية قردينا جنوبَ مدينة كوباني عام ١٩٥٤، ثم انتقلتْ عائلتنا الى سري كانيه عام ١٩٥٧ وسكنا بالقرب من المدينة (مشروع بومبجيان)، حيث كنا نعملُ في مجال الزراعة كالقطن وغيره، في هذه الاثناء، وفي صغري، كان يزور بيتنا الشاعر الكردي بيبهار (يوسف برازي) وآخرون، كنت أسمعهم يتحدثون عن القومية وكردستان والحزب ...الخ

في سنة١٩٦٢ بدأتُ الدراسة على يد الملا بوزو برازي مدةً تقاربُ الأربعين يوماً، تعلمتُ خلالها الحروف العربية وبدايات القراءة، وفي العام ١٩٦٣ بدأتُ استوعبُ ما يقوله بيبهار ورفاقهُ، وبعد ذلك بفترةٍ، عدنا ثانيةً الى قريتنا جنوبَ كوباني التي كنّا ملاكين فيها.

في عام ١٩٦٧ حدثَ شجارٌ عائليٌ بين أعمامي وخوالي، فعدنا ثانيةً الى منطقة سري كانيه، وتوطدت علاقتي مع القوميين الكرد وبدأت أفهم ما يقولونه بدقة.

بعد انتسابي للحزب واختلاطي بأقراني من الرفاق المتعلمين، شعرت بعقدة الأمْيّة، فسارعتُ إلى تطوير نفسي ثقافياً للحاق برفاقي. وفي عام ١٩٧٠ علّمني الأستاذ الراحل محمد علي شاكر اللغتين العربية والكردية، فازدادت معارفي الثقافية وعشقت المطالعة وقراءة الكتب. هنا، تجدرُ الإشارة الى أنّ أولَ من علّم الابجدية الكردية اللاتينية في سري كانيه هو الأستاذ محمد جزاع.

تابعتُ العملَ التنظيمي في الحزب، وحين انقسام الحزب الى جناحين بقيتُ مع الحياد (البارتي). لكن، وكما تعلمون فقد تعرض الحزبُ الى حملةِ اعتقالاتٍ واسعة سنة ١٩٧٣ بسبب موقفه من مشروع الحزام العربي العنصري، وتم اعتقال الرفاق يوسف برازي، أيّو خاتوني، كما تمّ ضربُ الرفيق جمعة حسي في بيته من قبل جهاز الامن بوحشيّة، فضعفَ التنظيمُ وترهّلَ، و لم يبقَ من التنظيم سوى خليةٍ واحدةٍ و كنت أنا مسؤولَها المباشر، و كان مسؤلي آنذاك هو الرفيق موسى سعدون من الدرباسية.

في عام ١٩٧٥ زارنا الرفيق حميد سينو في منزلنا وكان ملاحَقاً أمنياً، وعلى إثر هذه الزيارة، و في شهر حزيران من ١٩٧٥ تم اعتقالي من قبل جهاز الأمن في سري كانيه، و بقيت مسجوناً لمدة ٨ أيام قيد التحقيق يسألونني علاقتي مع الرفيق حميد سينو وسبب زيارته لبيتنا!

في عام ١٩٧٧ كنت عضواً في اللجنة الفرعيّة للحزب الديمقراطي الكردي في سوريا «البارتي»، وفي هذه الفترة، تمّ سوقي إلى الخدمة العسكرية، تعرفتُ خلال خدمتي على مجموعةٍ من الشباب اليساريين السوريين في دمشق، كنتُ أحضرُ معهم حلقاتٍ ثقافيةٍ عن علم الاجتماع والسياسة وموضوعاتٍ أخرى ساهمتْ في إثراء معلوماتي وتوسيع مداركي.

في عام ١٩٨٠ سُرّحتُ من الجيش والتحقت بتنظيمي الحزبي، حيث بقيت في صفوف الحزب حتى تشكيل حزب (الموحد). وبعد تشكيل حزب الوحدة الديمقراطي الكردي (يكيتي) عام ١٩٩٣ بقيتُ في صفوف التنظيم، وفي عام ١٩٩٥، وبسبب وضعي الصحي (مرض الضغط) حيث لم أكن

قادراً على حضور الاجتماعات، تركت التنظيم لكنني كنت على الدوام قريباً عن الشأن العام ومن قضية شعبي.

س٢: من المعروف أن سري كانيه/ رأس العين منطقة متعددة القوميات والأديان والطوائف المتعايشة من كرد وعرب وآشوريين وشيشان وأرمن وسريان ...إلخ, حبذا لو تحدثُنا عن النسيج الاجتماعي في سري كانيه (رأس العين) قبل الاحتلال التركي، وطبيعة العلاقات السائدة بين مكوناتها حينئذٍ ؟

ج٢: من الأهمية بمكانٍ أن نسرد قليلاً في تاريخ قدوم المكونات إليها، وهذه المكونات جائت بفتراتٍ زمنية متفاوتة، وأعتقدُ بأن هذه المكونات كانت بحاجةٍ الى بعضها بهدف التعاون والعيش المشترك، فإذا عُدنا إلى التاريخ قليلاً، نجد بأن سري كانيه كانت مدنية شبه خاليةٍ من السكان، وكانت تحت نفوذ عشيرة الملّية وخاصة أفخاذ (كُم نقش، آله رشان، ديوا، دودكا، كوران خدركا، ناصرا والإيزيديين...)

في أواخر القرن الثامن عشر، دافع تيمور باشا عن المنطقة في مواجهة تحالف بين العشيرة العربية كيسا Gêsa (الجيس) والتركمان، كما ورد في ملحمة درويش عبدي.

وفي سنة ١٨٠٠م تم تعيين تيمور باشا والياً للرقة بفرمان سلطاني ومُنحَ رتبة (إسكان باشا) بهدف إسكان العرب الوافدين حديثاً إلى حوض الفرات وتحصيل الضرائب منهم. وبعد عودة تيمور باشا إلى ويران شهر، جلبَ معه العبرة، وهم مجموعة من الأشقياء والمطلوبين من عشائرهم، وضمّهم إلى التحالف المّلي حوالي عام ١٨٣٠.

ومن ثم في عام ١٨٦٠ عقبَ قيام الشيشان بثورة ضد القيصر في القفقاس قدمَ الشيشانُ إلى مدينة سري كانيه واستوطنهم العثمانيون في المنطقة الواقعة بين قزلتبه وجبل عبد العزيز، وكان عددهم حينها يقدر بحوالي (١٣) ألف خانه (عائلة)، لكنهم أصيبوا بمرضٍ خطيرٍ، مات منهم أكثر من ٩٥ بالمائة، هذا ما سمعته منهم.

أما المكون الثاني الذي سكنَ المنطقة، فهم أبناء قبيلة العدوان حوالي عام (١٨٦٩) أي بعد الشيشان بثلاث سنواتٍ تقريباً وانضموا الى الملّيّة، ليعيشوا فيها كقبائل رحّل.

في أعوام (١٩١٥-١٩٢٠) جاء المسيحيّون من طوائفَ مختلفة وسكنوا مدينة رأس العين نتيجة ارتكاب الدولة العثمانية مجازر بحقهم هناك، إلى جانب بعض العوائل الماردنلية. أما الآشوريون، فقد سكنوا المنطقة بدعمٍ وقرارٍ من عصبة الأمم سنة ١٩٣٣.

هكذا يتضح أن أهالي سري كانية كانوا بحاجة بعضهم بعضاً، ولم يأتِ أي مكونٍ نتيجة الغزو والمعارك. ومن ضمن المكون المسيحي تشكلت فئة برجوازية زراعية مثل (أصفر، ونجار، وحبيب ميرمو، وجورج شماس ...الخ وبرزت الحاجة إلى اليد العاملة، لهذا، وفي عام ١٩٥٧ جاء مجموعات من عشيرة البرازية من كوباني وعملوا في زراعة القطن وغيره.

لكن، بعد دخول المكننة الزراعية في منطقة الدرباسية ونتيجة قرارات الحكومة بتأميم ومصادرة الأراضي وتجريد الكرد من الجنسية، أصبحت سري كانيه ملجأً لهم، فاستقروا فيها وعملوا في مجال الزراعة كعمّال وأجراء، وهكذا يبدوا أن كافة المكونات كانت متآزرة ومكملة لبعضها الآخر، وشكّلت معاً لوحة جميلة اسمها سري كانيه / رأس العين. هنا، يجب أن أشير الى أن الحكومة السورية نقلت مجموعة من أهل حوران في عام ١٩٥٧ للمدينة، سكنت في بيوت شعبيةٍ من التنك والصفيح و كانوا يعملون في العتالة، لكنهم لم يندمجو مع أهالي المدينة فغادروها.

أما عن الغزوات الخارجية التي تعرضت لها سري كانيه، فقد روى لنا عبدالرحمن باشا الملي أن قبيلة العِنِزة العربية حاولتْ اقتحام رأس العين وويران شهر وفشلتْ في ذلك، حيث تقدمت خلسةً بفرسانها صوب المدينة، وقد لاحظ تحركاتِها بعضُ صيادي الغزلان الذين اجتمعوا على تلة (تل حلف) وأقسموا اليمينَ للتصدي لهم ومواجهتهم بأسلحة الصيد ريثما يصلهم الدعم و الإمداد من ويران شهر، ونجحوا في ذلك، حيث تم

صدّ الهجوم وقُتل بعضُ شيوخ عشائرهم (الشيخ ثماد , عرنان , عقاب)، وهناك ثلاثُ قرى غربَ رأس العين سمي بأسماء هؤلاء الشيوخ حيث مكان مقتلهم. وعلى أثر هذا القَسَم، تمَّ تسمية التلة الواقعة جنوب غرب رأس العين بـ (تل حلف).[١]

كان لطبيعة المدينة عامل جذب للناس والاستقرار، حيث كان فيها أكثر من (٣٠٠) نبع، إضافة إلى مرور نهر الخابور فيها، وفي كنف هذه الطبيعة الخلابة عاشت كل المكوناتُ في وئامٍ، وتوطدت بينهم أواصر الأخوة والقرابة والمصاهرة، ولم يحدثْ أن جرى أيُّ اقتتالٍ أو تناحرٍ بينها رغم محاولة البعض لبثّ السموم والنعرات العنصرية، فعاش الجميع على ضفاف الخابور في محبّة وتعاون وسلام.

س٣: ماهي أبرز المحطات التي كنتَ شاهداً عليها في مسيرة النضال القومي قبل الأزمة السورية وبقيت في ذاكرتك؟ وحبذا أن تخبرنا بشكل خاصٍ عن تأثر المدينة وتفاعلها مع أحداث انتفاضة آذار ٢٠٠٤ وردّ فعل السلطات آنذاك؟

ج٣: مِنْ أبرز المحطات التي كنتُ شاهداً عليها:

- إحداها كانت في سنة ١٩٨٢ باحتفال عيد نوروز شاهدتُ آلاف الكرد يحتفلون بعيدهم القومي وهم يغنّون ويرفعون الاعلام في الطبيعة الجميلة.

- أما المحطة الثانية، هي عقدُ مؤتمر حزب (الموحد ١٩٩٠) حيث كنتُ مسروراً بانعقاده، وكنت أتمنى وآمل أن يفكرَ شبابُ الكرد ويعملوا بجدٍّ من أجل خدمة قضيتهم في سوريا، وتكوّنتْ لديّ قناعة بأن الحركة الكردية في سوريا باتت تتجهُ نحو النضج مما يبعث الارتياح في نفسي.

- المحطة الثالثة التي كنت شاهداً عليها، هي توزيع نداء (ملصق) بهدف تعريف الرأي العام في سوريا بقضية المجردين من الجنسية في سوريا،

١ - بالنسبة لتسمية» تل حلف» فهي أقدم من الزمن المذكور. وبالنسبة للحوادث نفسها قد يكون هناك خلط بين قبيلتي شمر وعنزة . وهكذا خلط شائع في الروايات الشعبية (الحوار)

وكان ذلك في ٥ أكتوبر عام ١٩٩٢، إذْ سررتُ بهذا العمل الجدّي رغم رد الفعل القاسي للسلطة آنذاك، وكان النداء صادراً عن القيادة المشتركة لثلاثة أحزاب كردية اتحدت تحت اسم جديد لاحقاً هو حزب الوحدة (يكيتي).

أما بخصوص أحداث ١٢ أذار، تأثّرتْ سري كانيه أيضاً بأحداث الملعب كباقي المدن وانتفضتْ تضامناً مع شقيقاتها، وعلى إثرها، انقسمت المدينة إلى قسمين، حيث دافع البعضُ عن الانتفاضة وحمّلوا محافظَ الحسكة والسلطات الأمنية المحلية مسؤولية الأحداث، أما القسم الآخر، فقد اتهموا الكرد بالانفصالية وتخريب مؤسسات الدولة والارتباط مع الخارج! أما ردّ فعل السلطة، فكان أمنياً بامتياز: اعتقالات جماعية وتعذيبٌ، وترويجٌ لمقولة أن هؤلاء هم عملاء الخارج !!...الخ

لكن، بعد خطاب الرئيس بشار الأسد الذي قال فيه أن الكرد هم جزءٌ من النسيج الوطني السوري، تفهّمَ الأمرَ بعضُ العقلاء في المدينة، وتمَ فتحُ قنواتُ التواصل والحوار بين الخيّرين لوأد الفتنة. كان دوري ودور صديقي عزيز أبو نسرين هو التواصل مع العقلاء من الأخوة العرب بهدف التهدئة وتطويق الأزمة وحماية السلم الأهلي في مدينتنا، وتمكننا من عقد اجتماعٍ ضمّ السادة (عبيد الساير-محامي، عيد الكاجي-أستاذ مدرسة، وأحد أفراد بيت الحلو وبكل أسف لا أذكر اسمه) مع أحزاب الحركة الكردية في منزل أخي شهاب عفدكي، حيث لم أتدخل في النقاش بين الوجهاء والحركة الكردية. تمّ فيه الاتفاق على تشكيل لجانٍ محليةٍ لتهدئة الشارع من الطرفين وإعادة الحياة إلى طبيعتها، حيث تمّ بفضله فتحُ المدارس والمحلات التجارية وغيرها، وقد سررت بنتائج ذلك الاجتماع أيّما سرورٍ. هنا تجدر الإشادة بموقف السيد حسن عبيد الخليل أحد زعماء قبيلة الحرب حيث كان موقفه وطنياً داعياً إلى السلم والتهدئة. وفي الوقت نفسه كان هناك البعضُ من الأخوة العرب مدفوعين من الجهات الأمنية لزيادة التوتير وإثارة النعرات العنصرية، كما كانت هناك في الوقت ذاته بعض من الكرد المزاودين أصحاب الشعارات الفضفاضة يسيؤون بدورهم إلى جهود التهدئة والسلام.

وأذكرُ أنّ أمين شعبة حزب البعث في المدينة قد دعا الى اجتماعٍ في شعبة الحزب، حضرته مجموعة من الكرد، وفوجئ الجميعُ باقتحام الاجتماعِ من قبل بعضِ مسلّحي الشعبة، إلا أنّ العقلاءَ تدخلوا حالاً وحافظوا على أمن وسلامة الحضور... باختصارٍ يمكن القول بأنها كانت أياماً صعبة ومحزنة.

س٤: ماذا تتذكر عن دخول الفصائل المسلحة السورية الموالية لتركيا مدينة رأس العين للمرة الأولى عام ٢٠١٢؟ وماهي الحجج والذرائع التي أخفت أهدافها خلفها. ماذا كان الهدف من الدخول إلى سري كانييه / رأس العين، وكيف تعاملتْ تلك الفصائل مع أبناء المدينة؟

ج٤: قبل دخول تركيا والفصائل الموالية لها المدينة في ٢٠١٢/١١/٨ كان أولئك المسلحون في منطقة تل أبيض، حيث سرقوا حبوب الصوامع وعملوا في تجارة الأسلحة، منذ تلك اللحظة تكونت لدي قناعة أن هؤلاء لا يمكن أن يكونوا ثواراً لأجل تحقيق الديمقراطية والكرامة وتأمين حقوق الانسان، وعند دخولهم مدينة سري كانيه، تأكدَ لي أنّ لا علاقة لهم بمطالبِ الشعب السوري المشروعة، إذ كانوا يروّجون للمشروع الإسلامي والقضاء على الدكتاتورية، ويقولون أن الحكم السوري هو نصيري! إلخ... وبالرغم من معاناة الناس من ممارسات الأجهزة الأمنية للسلطة، فإن أهالي المدينة لم يساندوا تلك الفصائل، كما أنهم لم يقفوا في وجههم أيضاً في الأيام الأولى لدخولهم في سري كانيه، لكن بعد سيطرة الفصائل على المقرّات الأمنية كاملةً، تعاملوا مع الأهالي من منظورين، أحدهما تكتيكي والآخر استراتيجي، فمن جهة رفعوا شعارات أن الشعب السوري واحدٌ، والاستراتيجي هو كل من ليسوا مثلنا، هم كفار وخونة وعملاء... إلخ!

س٥: كيف كانت ردود فعل سكان المدينة- المنطقة على ذلك الدخول غير المشروع؟

ج٥: بعد كشف نوايا الفصائل المسلحة وأهدافهم الحقيقية، سعتْ مجموعاتٌ من شباب المدينة إلى تنظيم أنفسهم وحماية أحيائهم وحاراتهم وأهلهم، وفيما بعد نشبت المعارك بين وحدات حماية الشعب والفصائل

المحتلة، حيث انضمّ إليهم أولئك الشباب والأهالي ومنهم (كروب خرابات) وهم مجموعة من الشباب كانوا يحرسون حاراتهم وأهلهم من السرقات والفوضى ...

س٦: برأيكم، ما هي الأسباب التي دفعت بـ تركيا لاحقاً إلى احتلال سري كانيه (رأس العين) في ٩ تشرين الثاني عام ٢٠١٩؟

ج٦: لدي قناعة أن جانبي الحدود (سرخت وبن خت) أي الحكومتين السورية والتركية ومنذ ترسيم الحدود بينهما وحتى الآن، لديهما مخططٌ أمني غير معلنٍ ألا وهو جعلُ المنطقة بين سري كانيه وكوباني منطقة عازلةً وخالية من الكرد. ففي الجانب التركي أسسوا (جفت لك) وهي شركاتٌ زراعية، حكومية وفي الجانب السوري أيضاً تم الاستيلاء على الأراضي الزراعية المحاذية للحدود بطول ٦٠ كم وأسموها بـ مزارع الدولة، وفيما بعد، تمّ تنفيذُ مشروع الحزام العربي واستيطان المغمورين. وهكذا نجد على الواقع أن الدولتين تعملان لنفس الاستراتيجية والهدف، علماً بأن تلك الأراضي كانت تعود ملكيتها الى عائلة إبراهيم باشا الملّي.

س٧: كيف تصف لنا شعورك وأنت تغادر مدينتك، بيتك، ومرابع الصبا والشباب إبّان احتلالها من قبل تركيا وأعوانها؟

ج٧: شعوري هو كشعور كلّ أهالي المدينة، إننا نموتُ في كل دقيقة ألف مرةٍ، لكنني على يقين بأن تهجير أهالي المدينة بشكل جماعي قسرياً هو مؤامرة دوليّة وليس تركيّة فقط!

س٨: حسب المعلومات التي بحوزتكم، ما هو العدد التقريبي للكرد في سري كانيه (رأس العين) في الأشهر الأخيرة، وكيف تتعامل قوات الاحتلال التركي ومرتزقتها معهم؟

ج٨: قبل دخول الكتائب المسلحة الى المدينة كان عدد سكانها (٨٠) ألف نسمة، ومع الريف حوالي (١٧٠) ألف نسمة. بعد دخول تركيا والفصائل الموالية لها، خرج الأهالي من المدينة وريفها، ويقدرُ عددهم (١٥٠) ألف شخص - حسب احصائيات المنظمات - وبعد انتهاء المعارك عاد قسم الى

سري كانيه، ويقدر عدد الموجودين في المدينة وريفها الآن حوالي (٦٠) ألف نسمة منهم ثلثان من الغرباء والباقي من السكان الأصليين، أما عدد الكرد المتواجدين في مدينة سري كانيه يقدر بحوالي (٤٠) شخصاً فقط، ونعرفهم بالاسم!.

س٩: ما هي رسالتك التي تودُّ نقلها عبر «الحوار» إلى أبناء وبنات مدينتك وإلى الحركة السياسية الكردية والديمقراطية السورية ونشطاء حقوق الإنسان؟

ج٩: رسالتي وأمنيتي للنخبة السياسية الكردية خاصة والسورية عامة هي، لا يمكن تحقيق الديمقراطية والسلام لسوريا بأدواتٍ قديمة، وأتمنى من كل قلبي أن يعودَ كلُّ مواطنٍ سوري إلى بيته وقريته وبلده، وتُعَّد هذه الخطوةَ الأولى لتحقيق السلام في بلادنا، وأعتقد أنه لا يمكن تحقيق الاستقرار والسلام بوجود فئةٍ محتلة لقريةِ فئةٍ أخرى. وأتمنى من النخب السياسية السورية العربية والكردية إعطاء الأولوية لمصالح الشعب بدلاً من المصالح الحزبية والإيديولوجية وغيرها.

وأخيراً، أتمنى لـ «الحوار» النجاحَ والتوفيق، ولكم جزيل الشكر على اهتمامكم بسري كانيه وأهلها.

الناشط والكاتب يونس بهرم للحوار:

«سَرَي كانيه» محطّةُ وجعي، ومناطقنا المحتلّة ستنظّف من الرايات السود والاحتلال الغاشم

رئيس المنتدى الألماني - الكردي في ألمانيا – مدينة درسدن

أجرى الحوار:
رئيس التحرير

يونس بهرام في سطور: من مواليد ١٩٦٧ قرية عبدو سلامي منطقة سري كانية / رأس العين. درس طب الأشعة في الأكاديمية الطبية في مدينة درسدن في ألمانيا. بعد الإنتهاء منها درس العلوم السياسية والاجتماعية والقانون.

لديه ٢٣ كتاب مطبوع باللغة الألمانية، وقدأانجز ثمانية كتب للأطفال. كما له بعض النصوص باللغة الألمانية الأدبية، تُدَرّس في مدارس إعداديات ولاية سكسونيا في المانيا. شارك في كتابة المناهج المدرسية في روجافا-كردستان. ومازال لديه ما يقارب خمسة كتب غير مطبوعة.

س١: السيد يونس، كونك من أبناء منطقة سري كانيي (رأس العين) وقد سافرتَ منذ أمد بعيد الى ألمانيا، لنبدأ بذكرياتك الأولى عن المدينة وجوارها في الثلث الأخير من القرن العشرين، ما هي أهم المحطات التي تتذكرها؟

ج١: كانت محطة والدي في عامودا وسري كانيه، ولدتُ في قرية عبدو سلامي/ سري كانية، وباتت محطة أبنائي درسدن في ألمانيا. إنها محطات اجبارية تتكرر في حياة معظم الكردستانيّين. من الصعب أن أقول بأنني أحب سري كانيه أكثر من عامودا أو قامشلو أو درباسية، كوني عشقتهم جميعاً واستنشقتُ هواءها، ومعظم سكّان هذه المدن تجمعهم درجة قرابة في الدم ورابطة اجتماعية قويّة لا تشبه الأجزاء الأخرى من كردستان. بالرغم من هذا الاحساس الجميل لقد كان مرجعي أينما كنتُ إلى عبدو سلامي / سري كانية حيث أهلي وخلاّني وهضبات القرية وتلّها الشامخ على حافة البحرة.

سري كانية لها جذور في التاريخ، فقد كانت عاصمة الميتانيين وفيها ولدت الملكة (نَفَر تيتي ابنة ملك امبراطورية ميتان) وهي ملكة مصر في عصر الفراعنة فيما بعد.

سري كانية كانت دائماً محطّة وجعي، لذلك كان لها النصيب الأكبر في كتاباتي، خاصة عندما كنت أزور حيَّ المحطة وأرى حقل الألغام

المزروعة بين كلا طرفي مدينة سري كانيه، في شمال وغرب (باكور وروزافآي) كردستان. فكان اسمها «جيلان بينار» شمال الخط و»رأس العين» في جنوبه.

في أيام الأعياد كعيد الأضحى مثلاً، كان لسري كانيه وأهلها موعدٌ للقاء بأقاربهم من خلف الحدود، سماها المحتلّ التركي (كورشمة) أي اللقاء، فكان الناس يتبادلون رمي الهدايا من خلف الأسلاك الشائكة لمحبّيهم في الطرف الآخر، فكان الناس منقسمين في الإحساس ما بين الحدث الجميل للقائهم بالأحبة ولعنة التاريخ والاحتلال.

بالرغم من أنّ سري كانيه كانت إحدى المدن المهمة في سلة الغداء السوري إلّا أن نظام دمشق لم يعطي الاهتمام لها أبداً، فهي كانت لهم بمثابة بقرة حلوب فقط.

سري كانيه تقع على بحيرات من الكبريت، التي من الممكن أن تزود السوق العالمي بكميات ليست بقليلة، وبها ستصبح من المدن المهمة والمشهورة، مثلها مثل كركوك والموصل في العالم، لكن قدرها كان الإهمال.

حزينٌ لأنني لم أعش كثيراً في سري كانيه؛ قضيتُ طفولتي في قرية عبدو سلامي وخربة دبس. درست الاعدادية في عامودا والثانوية في قامشلو والحسكة، كما درست سنة في المعهد الزراعي في مزيريب / درعا. ومن ثم درست الأشعة في ألمانيا الشرقية. وبعد الانتهاء من دراستها خدمت ستة أشهر في المشفى، ومن ثم عدت مرة أخرى إلى طاولة الدراسة في جامعة درسدن بألمانيا لأدرس العلوم السياسية والعلوم الاجتماعية والقانون، وأكملتها بدرجة ماجستر بعد أربع سنوات.

هنالك محطّات في عمري لاتنسى: وقتها كنت طالباً في عام ١٩٩٣ و دُعيتُ لحضور المؤتمر الثاني لحقوق الانسان في فيينا/ النمسا. وقتها كان من بين الحضور دالاي لاما وياسر عرفات، كذلك الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ووزراء خارجية دول العالم، من بينهم فاروق الشرع، وزير

الخارجية السورية آنذاك.

سأل صحفيٌّ نمساوي فاروق الشرع عن وضع الكرد هناك، وتلاه بالسؤال مجدداً صحفيٌّ ألماني كان صديقاً لي، نظراً لنفي الشرع وجودَ الكُرد في سوريا. حينها كنّا جالسين في الصف الرابع أو الخامس من بين الحضور أمام المنصّة؛ فقمت ومن دون استئذان و قلت له بالعربية: ها أنا كرديٌّ من كردستان سوريا، كيف لكَ أن تمحي وجودي في سوريا. فكان ردّه قاسياً وغير محترم: «كيف سمحتم لهؤلاء الجرذان بالدخول للقاعة»؟!

و بردّة فعل ممزوجة بالغيرة و دون تفكير، رميته بكتابٍ كانَ بين يدي وكسرت نظارته فوق أنفه. لم أرى نفسي خلال ثواني معدودة إلّا مكتوف الأيدي والقدمين من قبل الشرطة النمساوية، مرمياً خارج القاعة.

س٢: لقد قمت بعد انتفاضة آذار سنة ٢٠٠٤ بنشاطات سياسية ودبلوماسية في ألمانيا، كيف تعاملتم مع الأحداث في تلك الأيام العصيبة؟

ج٢: لم يمرّ شهر على انتفاضة شعبنا وأحداث ملعب قامشلو، حتى كانت جمعية المغتربين السوريين تضع اللمسات الأخيرة على برنامج انعقاد مؤتمرهم، مؤتمر حزب البعث العربي الاشتراكي، وذلك تحت عباءة «الاسبوع الثقافي السوري» في درسدن، وذلك في نيسان سنة ٢٠٠٤، وبحضور وزيرة شؤون المغتربين السوريين ومحافظ دمشق وعمداء جامعة حلب ودمشق، والمدير العام لمؤسسة المطاحن. وقد وُجّهت الدعوات الرسمية لكل من رئاسة وزراء ولاية سكسونيا، ومحافظ درسدن، وقيادات كافة الأحزاب الألمانية في الولاية.

كان كلّ شيئ جاهزاً، ولم يبقى إلا أربعة أيام على بدء الحفل المنتظر، وكلّ السوريين في استعداد تام لاستقبال طاقم الضيوف، خاصة القائمين بالعمل التنظيمي للحفل.

علمتُ بأنّ هناك حفلة حكومية سورية ستقام دون أن أعرف عن مضمونها أي شيئ. ثمة صديق لي، سوري من الداخل، زارني في مكتبي وفي يديه ورقة مطبوعة، كانت دعوة لحضور الحفل.

استأذنته بقراءتها، حينها أقشعر بدني وكدت أنفجرُ قهراً بعد قراءتي في آخر الصفحة بأن الاسبوع الثقافي السوري هو إحياء مؤتمر البعثيين في ألمانيا.

وبعد استفساري من الصديق ماذا تعني هذه الفقرة، فقال بين المزح والجد أنهم يريدون تجنيد البعثيّين هنا ضدّ المتظاهرين الكرد الذين يتظاهرون ضد النظام السوري.

كانت النار تغلي داخلي، و شريط فيلم الرعب وقمع المتظاهرين في سري كانية وقامشلو وعامودا وكافة مناطق روزافا كُردستان يمرّ أمام عيني؛ كيف لهؤلاء أن يحتفلوا بالبعث و دماء شهداءنا في ملعب قامشلو لم تجفّ بعد.

في مدينتي لم يكن وقتها هناك من أعداد للكُرد يمكن الاعتماد عليهم في تنظيم حراك ضد هكذا حفل منظّم، لكنني أخذت القرار بأنني حتى لو كنتُ الوحيد، لن أبقى ساكتاً لوحدي أمام البعثيين.

ثمة أصدقاء لي كانوا في برلين وآخرون من هولندا استشرتهم بالأمر، أحسستُ بأن كلّنا نعاني من نفس الجرح.

كنا نتحرك كخلية نحل معاً، كلّ في مكانه. ذهبت لدائرة الشرطة على الفور، وقمت بتقديم الطلب للسماح بمظاهرة في يوم الجمعة والسبت القادمين. وآخرون قاموا بتحضير ملف كامل حول كيفية قمع أجهزة الأمن و الشرطة السورية للمتظاهرين الكُرد، وأمّنوا صوراً لشهداء ١٢ آذار، وقمنا بتحشيد المتظاهرين.

في اليوم التالي أرسلنا ملفاً كاملاً عن وضع الكُرد لكافة الساسة الألمان والوزارة والمحافظ ولكافة المُدرجين في قائمة المدعويين للحفل مع رسالة مرفقة مفادها: «يا سادة، الهدف من الأسبوع الثقافي السوري هو تجنيد البعثيين في ألمانيا للتناحر مع الكُرد المتظاهرين في شوارع ألمانيا. إن كنتم راغبين في زيادة التوتر في شوارع البلاد فليكن. مالا تدرون هو زيادة عنصر آخر للصراعات الموجودة دون أن نعرف إلى أين ستتّجه

دائـرة العنـف.»

وقتهـا كنـتُ مسـؤولاً عـن سياسـة الأجانـب فـي البرلمـان لصالـح كتلـة حـزب الاشـتركي الديمقراطـي، وفيمـا بعـد لحزب اليسـار.

رفاقـي فـي الحـزب قدّمـوا اعتراضـاً لرئاسـة البرلمـان مُطالبيـن بعـدم حضـور هـذا الحفـل، لأن البعثييـن يريـدون عقـد مؤتمرهـم الحزبـي تحـت عبـاءة الاسـبوع الثقافـي السـوري، وهـذا أمـرٌ مخالـف للقانـون.

رئيـس الـوزراء قـدّم الاعتـذار لعـدم إمكانـه اسـتقبال الوزيـرة السـورية بثينـة شـعبان لظـرف طـارئ، كذلـك المحافـظ ولجـان الأحـزاب أيضـاً.

فكانـت الصدمـة غيـر متوقعـة أبـداً للمحتفليـن، دون أن يعرفـوا مـن أيـن أتتهـم الضربـة.

دعتنـي الشـرطة الجنائيـة عصـراً للحديـث معـي حـول مسـتجدات المظاهـرة الكرديـة فـي اليـوم التالـي، بينمـا كنـتُ جالسـاً معهـم فـي قاعـة صغيـرة أمـام طاولـة كبيـرة، وإذ بثـلاث مـن السـوريين القائميـن علـى إدارة الأسـبوع الثقافـي، يسـتأذنون دخـول القاعـة.

رداً علـى سـؤال الشـرطي، أأ خبرتـه بمشـاركة ٥٠٠ كـردي فـي التظاهـر أمـام مركـز المحافظـة وبينمـا كنـت أتكلـم معـه، رنّ هاتفـي وكان المتحـدث صديـق مـن هولنـدا يريـد معلومـات عـن التظاهـرة. فقلـت للشـرطي بـأن هنـاك أكثـر مـن عشـرة باصـات سـتأتي مـن هولنـدا للتظاهـر، وبالصدفـة أيضـاً اتصـل بـي الرفيـق الشـاعر سـفقان مـن بلجيـكا، اسـتغرب الشـرطي مـن هاتفـي سـألني مـاذا؟ قلـت ثمـة باصـات أخـرى انطلقـت مـن بلجيـكا وفرنسـا والعـدد فـي ازديـاد يمكـن أن يصـل إلـى خمسـة آلاف متظاهـر غـداً هنـا أمـام محطـة القطـار الرئيسـية متجهيـن إلـى مـكان الحفـل، فـي قاعـة المحافظـة.

قبـل مغـادرة الشـرطة، أخـرج الشـرطي ورقـة بيضـاء وقلـم ووضعهـا أمـام البعثيّـن وقـال لهـم: اكتبـوا لـي تعهـداً بأنكـم أنتـم القائميـن علـى إدارة هـذا الحفـل سـتتكفّلون بأمـن وحمايـة الحفـل إن حصـل أمـر مـا؛ نحـن الشـرطة لنـا

تجارب سابقة مع المظاهرات الكردية ولسنا بتلك القوة في هذه المدينة لحمايتكم من ٥٠٠٠ آلاف كرديّ متظاهر غاضب. حينها انسحب البعثيّون من الجلسة وقالوا سنخبركم فيما بعد.

كان الجو متوتراً؛ حاول الشرطي معنا لإرضاء أحد الأطراف بالاستغناء عن نشاطه، أو أن يغيّر مكان نشاطه فكان من المستحيل. غادرنا قاعة الشرطة والكل على أعصابه. إلا أنني كنتُ مصرّاً على الانتقام منهم على ما فعلوه بشعبي الكردي في ١٢ آذار.

منتصف الليل رنّ هاتفي، طلبتني الشرطة على الفور.بعد الترحيب قال لي أحدهم يا سيد بهرام السوريين استغنوا عن حفلهم ونطلب منك المثل أيضاً.

قلت مستغرباً وكيف لي ذلك ومعظم الباصات قد انطلقت ومنها قد وصلت أطراف المدينة. والشيء الوحيد الذي أوعدك به هو أنني لن أنام اليوم محاولاً الاتصال بالجميع لردّهم وعدم الدخول للمدينة بقصد التظاهر.

إلى ذلك الحين لم أكن أعرف حقّاً كم من المتظاهرين سيشاركون معنا في الغد، سوى أن هناك عدداً من كُرد برلين وآخرين من هولندا ما يقارب ١٠٠ شخص فقط سيشاركون بالتأكيد.

في الصباح الباكر ذهبت لمحطة القطار لاستقبال المتظاهرين الآتين لمؤازتي من برلين وإذ بحوالي ١٥٠ شرطي يحيطون بمحطة القطار لمنع المتظاهرين من الدخول للمدينة.

تعجب الشرطي واستقبلني معانقاً وقال لي «أنت فظيع، خير ما فعلت» حينما رأى بأن عدد المتظاهرين لا يتجاوز الخمسين شخصاً.

وقال لي: أن مجموعة من الشرطة أيضاً في المطار منعت بثينة شعبان وطاقمها من الدخول إلى المدينة وأجبرتهم على الرجوع إلى برلين لدواع أمنيّة.

س٣: بعد الاحتلال التركي الغاشم لمنطقة سري كانيه (رأس العين)

بمساعدة المرتزقة والمسلحين من بعض المناطق السورية، كيف تلقيتم الخبر، وما هي أبرز النشاطات التي قمتم بها في مواجهة أعمال الاحتلال وأعوانه؟

ج٣: بالطبع كان احتلال سري كانية وكري سبي(تل أبيض) صدمة قويّة، خاصة أنها أتت بعد احتلال منطقة عفرين. فكانت بالنسبة لبعض الكردستانيين انكساراً في المعنويات وتزايد القلق و الخوف، لكن كنت أدرك بأن الخسارة في معركة أو معركتين لاتعني خسارة الحرب. الكُرد هم أصحاب الحق الحقيقيين حتى الآن الذين يعانون ضمن هذه البقعة الجغرافية. الكُرد أصبحوا ولأول مرة معترف بهم كجزء من التحالف الدولي والعمود الفقري للقوة الضاربة لإرهاب أصحاب الرايات السوداء الذين تم توجيههم ضدّنا إقليمياً.

لذلك قمنا بنشاطات كثيرة في ساحات سياسية وديبلوماسية، حيث استطعنا تأسيس شبكة علاقات جيدة مع الصحافة الألمانية والساسة والديبلوماسيين ومن خلالها وضعنا اللبنة الأولى لبناء جسم اللوبي الكردي. بالطبع كان للمنتدى الألماني – الكردي في درسدن النصيب الأكبر في هذه النشاطات.

عملنا على إبطال مشروع اللوبي التركي والذي كان يهدف إلى تطبيق مشروع النفط مقابل الغذاء في سوريا بهدف سحب الاقتصاد من يد الإدارة الذاتية وذلك تحت مسميات شركات إنكليزية.

س٤: لنتطرق لدراستك، لماذا لم تمارس مهنة الطب، وتوجهت للأدب؟ حبّذا لو تعطينا لمحة موجزة عن كتاباتك الشعرية والقصصية والكتب المطبوعة، ولماذا اخترت الألمانية كتابة عوضاً عن الكردية والعربية؟

ج٤: أتذكر في أواخر الثمانينات عندما كنت أدرس في مدينة درسدن حيث كان الشعور القومي يسيطر عليّ، خاصة عندما كنت أريد تقديم نفسي ككردستانيّ أو كرديّ للمواطن الألماني، كنت أشعر بفراغ وأسف كبيرين، كيف للناس هنا لا يعرفون كردستاننا؟!

بحثت في المكتبات هنا، وبين رفوف الكتب المرصوفة عن العرب

والترك والفرس وغيرهم، لكن لم أجد شيئاً عن الكرد، سوى كتاب واحد. وكانت تعدُّ وقتها في عداد الممنوعات، وهي رواية كارل ماي (عبرَ براري كردستان.)

حينها أقسمتُ بأنني سأملأ هذه المكتبة الألمانية بالكتب الكردية يوماً ما. ومنذ ذلك اليوم بدأت بالكتابة باللغة الألمانية. بالطبع في بداية كانت لغتي الألمانية ركيكة، لدرجة أنها لم تكن مفهومة لإيصال ما كنت أريده. لكنني كنت مثابراً، ولم أتركها إلى اليوم. بكل فخر أقول اليوم لي أكثر من عشرين كتاب صادر باللغة الألمانية، وموجودة في نفس تلك المكتبة. منها دواوين شعر من شعر القافية والموزون، وقصص من حياه الكُرد في روزافا كردستان، وملاحم كردية، كذلك كتب للأطفال.

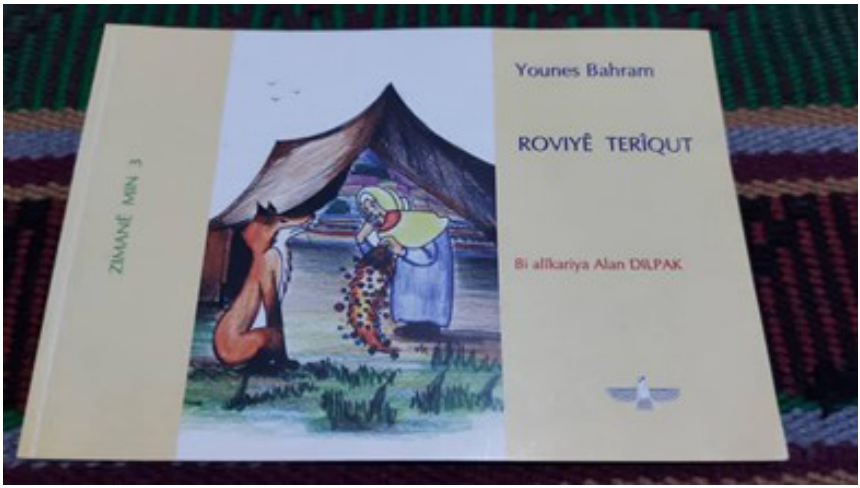

غلاف قصة الثعلب ... للأطفال باللغة الكُردية

هذا لا يعني بأنني لم أكتب باللغة الكردية أيضاً، و لدي عدد من الكتب الكردية، منها ثمانية كتب للأطفال. كذلك أكثر من خمسة كتب غير مطبوعة بالكردية.

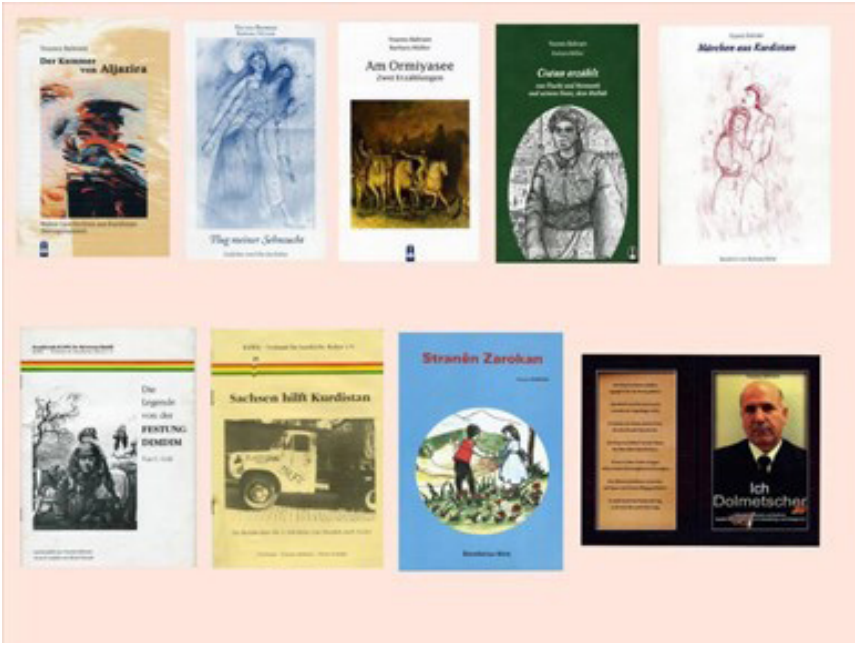

بعض أغلفة كتب الأستاذ يونس بهرم باللغة الألمانية

س٥: كيف تقيّمون اليوم مستقبل منطقتكم ومستقبل المناطق المحتلة من قبل تركيا؟ ما الذي تقترحه للعمل من أجل الإسراع بانسحاب قوات الاحتلال؟

ج٥: مستقبل المنطقة سياسياً جيد، وللكُرد أصدقاء وداعمين لم يسبق لهم في التاريخ. بالطبع وضع المناطق المحتلة مثل سري كانية وكري سبي وعفرين سيئة جداً، كون المحتل التركي يطبق فيها أبشع أنواع الاحتلال، ويطلب من مرتزقتها هناك أن يقوموا بأقصى سرعة على تطبيق عملية التغيير الديمغرافي الكامل و الشامل. بالرغم من ذلك أملنا كبير أن منطقة سري كانية وكري سبي سترجع قريباً لأصحابها الحقيقيين، وسيرجع أهلها إليها، وستنظّف من الرايات السود والاحتلال الغاشم.

عفرينستان سترجع أيضاً لكن وضعها مختلف فهي مرتبطة بتقلّبات

السياسات العالمية خاصة الروسية و الأمريكية والتركية.

ولنعلم بأن عفرينستان كانت ضحية مشروع نقل الغاز عبر روزافاي كردستان إلى عفرين والمتوسط ومنها إلى أوربا.

هذا المشروع كان أكبر تهديد للغاز الروسي وشركة غاز بروم، لذلك وبعد عدم استجابة الادارة الذاتية لطلب الروس بتسليمها للنظام بدون قيد وشرط، انسحب الروس من المنطقة وطلبت من تركيا بقصف منطقة عفرين.

الجالية الكردية وتنظيماتها لابد لها من العمل المشترك والاستفادة من خبرات بعضهم البعض. والوقوف على انجاز أعمال نوعية لتحقق نتائج جيدة.

شخصيات كوردية

يوسف شيخو برازي (بي بهار/ Bêbuhar)

يوسف شيخو برازي (بي بهار /Bêbuhar)

آزاد برازي

في ثنايا وطن قُطعت أوصاله واستغرق في المعاناة، شُق بالحديد والنار مفاهيمه ومفرداته وبتنا نتيه في اتجاهات الجغرافية والزمان، الشمال الكبير والجنوب الصغير. ابتعد الشرق وبقى الجنوب الكبير حاضراً، وجزء تاه

في غياهب النسيان، هكذا أصبح الوطن ومازال. ففي تلافيف وتجاعيد الإنسانية العجوز طُمرنا بالصمت على أيدي المقامرين والآثمين ومُزقنا حتى الثمالة التي زادتنا تيهاً على تيه، وطُربنا على أنغامهم ورقصنا حتى الموت وسكاكيننا تنغرس في أجسادنا بعدد هباتنا. كانت كبواتنا ولم تنل من إرادتنا في الحياة، نجوم أضاءت سمائنا منذ مئات السنين فخطت أسطر التاريخ دون كلل أو ملل، صراع دائم للدفاع عن الهوية ضد الأعداء.

يذكرُ شاعرنا يوسف برازي (بي بهار) في حديثه عن جذوره العائلية، حروبَ العشائر البرازية الكردية ضد الدولة العثمانية التي فرضت التجنيد والضرائب على عشائر منطقة سهل سروج ولاقت الرفض من قبلها واستمرت المعارك لمدة خمس سنوات من عام ١٨٢٠ حتى ١٨٢٥م، هُزمت على أثرها العشائر البرازية وبينهم عشيرة الكيتكان التي ينتسب لها شاعرنا يوسف برازي (بي بهار) من فخذ آل مامد وحفيد (حج علي عباسوك) أحد رجالات عشيرة الكيتكان. وبحسب ما ذُكر كانت عائلته تقطن قرية روفي جنوبي مدينة كوباني، فكان طعم الهزيمة مرّاً على العشائر البرازية حيث نُفي على إثرها العديد من العوائل إلى خارج المنطقة نحو المناطق الشمالية بحسب العادة العثمانية، فهُجرت عائلة شاعرنا إلى أرياف ديلوك (عينتاب) قرية بوزلجة وبعد عدة سنوات اشترت العائلة قرية تل جرجي المملوكة لأحد الكرد في منطقة الباب شمال شرق مدينة حلب التي تبعد عن مدينة الباب بحوالي ٢٥ كم .

في عام ١٩٣١ من القرن الماضي رأى شاعرنا، يوسف علي شيخو (برازي) والدته خديجة، النور في مسقط رأسه قرية تل جرجي وهو أصغر الأخوة الذكور (محمد وبلال وإسماعيل ويوسف) وأخت وحيدة تُدعى أمينة. تَربّى في كنف عائلة كردية تقليدية وفي بيئة تعج بالمشاكل الاجتماعية القروية، وضنك العيش منعه من التعلم في المدرسة على الرغم من حبّه للمعرفة، فكان يلجأ لأحد أبناء عمومته يدعى خليل ليتعلم منه الأحرف. وقبل ذلك أحب شاعرنا الموسيقى ويصنع آلته الموسيقية من كل ما يتوفر لديه من أدوات ومواد، وقد قال العم خليل رحمه الله بأنه عندما

كان يلجأ يوسف لي لأعلمه الأحرف كنت اشترط عليه أن يعزف لي، و بعد ذلك أبدأ بتعليمه ما تعلمته في المدرسة وهكذا، بعد ذلك آخذه إلى مدير المدرسة (محمد علي المُغربي) الذي أجرى له امتحاناً غير رسمي، وهكذا تعلم القراءة والكتابة باللغة العربية بالإضافة إلى لغته الأم الكردية ومن ثم أتقن اللغة التركية أيضاً.

بسبب بعض المشاكل التقليدية في المجتمعات الريفية على ملكية الأراضي مع ابن عمه الذي كان يعتبر آغا المنطقة والذي قيّد أراضي العائلة باسمه وأخوته وحرم أبناء عمومته والتي استمرت لفترة طويلة من المناكفات، ارتأى والدا الشاعر (بي بهار) علي شيخو وزوجته خديجة حمام، الخروج من القرية حقناً للدماء، فانتقلت العائلة ١٩٤٧ إلى مدينة منبج. توفي والده عام ١٩٤٩ وخلال هذه الفترة عمل في ورشة لصناعة الأحذية ومن ثم ترك هذه المهنة واتجه إلى مهنة الحلاقة. في أواخر عام ١٩٤٩ ترك أخوه إسماعيل المنزل وانقطعت أخباره عن العائلة حتى عام ١٩٥٤ حيث أن أحد الأشخاص أخبر يوسف برازي أنه التقى بأخيه إسماعيل في سري كانييه – الحسكة، فتوجه إليها عبر قطار الشرق فالتقى بأخيه إسماعيل الذي أحبه كثيراً عدا عن أخوته بعد حوالي أربع سنوات من انقطاع أخباره. وبعد اقتراح من أخيه إسماعيل جاءت العائلة إلى منطقة سري كانييه لتستقر فيها بشكل دائم حتى وفاته في الخامس عشر من شهر كانون الثاني ٢٠٠٩ .

تزوج الشاعر يوسف برازي في العقد الرابع من العمر، رزق بولدين (خسرو، بهرام) وأربع بنات (جينا، نازدار، آهين، نيكار).

تعتبر مرحلة الاستقرار في سري كانييه مهمة في حياة الشاعر يوسف برازي (بي بهار) وفتحت له آفاقاً جديدة وتعميقاً لما اكتسبه سابقاً ففي هذه الفترة تعرّف على الكثير من الشخصيات الأدبية واللغوية والسياسية ودخلَ معترك السياسة الكردية، كما كان مؤازراً للحزب الشيوعي السوري، واستمرت هذه العلاقة مع الشيوعيين حتى أواخر خمسينات القرن الماضي. و انتسب إلى البارتي الديمقراطي الكردي في سوريا سنة ١٩٦٠.

تعرضت قيادات الحركة الكردية سنة ١٩٦٦ لحملة واسعة من الاعتقالات شملت العشرات من السياسيين الكرد في سوريا من مختلف المناطق، وفي هذه الظروف أُعتقل الشاعر يوسف برازي وأخيه إسماعيل برازي وحمزة نويران وبوبو كني و خالد داشي من مدينة سري كانييه، ونُقلوا إلى سجن غويران (الحسكة)، حيث تعرّضوا لأبشع أنواع الظلم من ضرب وإهانة وتعذيب استمر لعشرات الأيام ففي هذه السياقات تفتحت القريحة الشعرية لشاعرنا الراحل يوسف برازي، حيث كتب قصيدته الأولى (حبس و زندان) في المُنفردة، كتبها بأعواد الكبريت التي أعطاه إياها شرطيٌّ يدعى (أبو حسن) كان جاره في سري كانييه، وذكر الشاعر مازحاً أنه حين طلب منه أعواد الكبريت، قال له أبو حسن: «شو بدّك تحرق حالك، فقلت له لا تخف».

أصدر الشاعر الراحل يوسف برازي (بي بهار) خمسة دواوين شعرية طبعت في حياته وهي زندان ١٩٨٨، بانك ١٩٩٧، رابرين ٢٠٠٢، سرخبون ٢٠٠٥، بيشكتن ٢٠٠٧، وبقت بقية دواوينه مخطوطة أسيرة الأدراج، و في عام ٢٠١٢ بعد انطلاق الأزمة السورية دخلت المجاميع المسلّحة بقيادة جبهة النصرة إلى مدينة سري كانييه، فقمنا بجلب كل ما يتعلق بيوسف برازي إلى مدينة الرقة ومن ثم إلى كوباني وأورفا، آمد، خوسر، الدرباسية، واستقرت في سري كانييه من جديد عام ٢٠١٤، وفي عام ٢٠١٨ تم طباعة الأعمال الكاملة للشاعر يوسف برازي (بي بهار) على نفقة مؤسسة «روداو» الإعلامية في جنوب كردستان.

بلغ مجموع الأشعار المغنّاة من كتابة وألحان يوسف برازي (بي بهار) ٥٤ أغنية، صدحت بها حناجر العديد من الفنانين الكرد في سوريا، مثل: محمد شيخو، محمود عزير، سعيد كاباري.

قراءة في الكتب والمطبوعات والوثائق

كتاب: عائلة أصفرونجار، للكاتب:
الياس سعيد نجار

كتاب: عائلة أصفر ونجار

للكاتب: الياس سعيد نجار

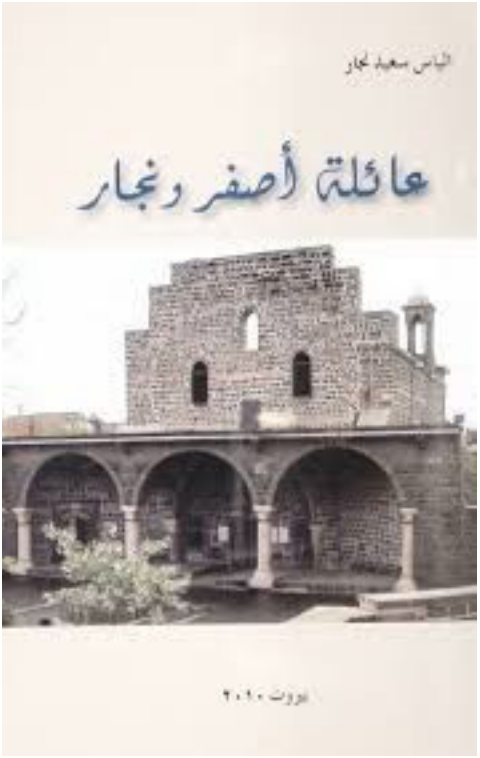

قراءة: د. آزاد أحمد علي

يقع الكتاب الصادر في بيروت عام ٢٠١٠ –مطبعة روحانا، في ١٢٠ صفحة ويتوزع على ١٣ فصل وخاتمة، وملحق. على الرغم من أن الكتاب يبدو في نهجه العام قد دوّن على شكل مذكرات، لكن النص يتمتع بقيمة تاريخية وتوثيقية استثنائية، كونه يؤرخ لتاريخ مؤسسة فريدة من نوعها وغير مسبوقة في تاريخ اقتصاد المنطقة. تأسست مؤسسة أصفر ونجار العائلية بجهود أفراد عائلة مكافحة صغيرة ونازحة؛ هي عائلة أصفر – نجار السريانية الأرثوذوكسية التي كانت تسكن في جوار مدينة (آمد) ديار بكر. ثم استقرت في مدينة القامشلي بعد تقسيم كوردستان العثمانية وتثبيت الحدود بين دولة الانتداب الفرنسي في سوريا والجمهورية التركية – الكمالية مطلع ثلاثينات القرن العشرين: «تأسيس النواة في ديار بكر (تركيا) من ثم النزوح الى القامشلي (سوريا) ١٩٣٠ مروراً بعصرها الذهبي ١٩٤٣ -١٩٦٣ الذي دام عشرين عاماً بين مد وجذر من عام ١٩٥٨ الى ١٩٦٧ ثم الضربة القاضية سنة ١٩٦٩» ص١٤

ولدت المؤسسة في ريف ديار بكر في بيئة ريفية قلّما يتم فيها التفكير بتأسيس مشاريع زراعية اقتصادية مبتكرة: «توزع نشاط المؤسسة / العائلة منذ البداية في الزراعة، كان للوالد قرية اسمها (ملوك سراي) بالقرب من ديار بكر وفيها آثار كنيسة لمار أليا‌س، ثم تفرغوا لادارة تربية دودة القز للحرير وصناعته لآخر مراحل تحويله إلى الغزل والنسيج. وكان لنشاطهم تأثير إيجابي في المنطقة.» ص٢٢

وبعد استقرار حكومة الانتداب الفرنسي وإعادة تشكيل خرائط دول المنطقة، تشجع أفراد العائلة للنزوح والاستقرار في ظل حكومة الانتداب، فتوجهوا الى مدينة قامشلو الناشئة، طلباً لبيئة اجتماعية وسياسية أفضل، وقد عملوا في نقل زراعة الأرز إليها: «عندما انزاح الأخ الأكبر مسعود أصفر من ديار بكر الى القامشلي سنة ١٩٣٢، بدأت المؤسسة بالتوسع في زراعة الأرز وإقامة مصنع حديث في القامشلي لقشر الأرز وتبيضه.» ص٢٩

ثم توسّعت هذه المؤسسة وتحوّلت إلى شركة زراعية عملاقة في

غضون سنوات قليلة، وخاصة بعد اكتشاف أراض زراعية شاسعة تحيط بموارد مائية هائلة في منطقة الخابور ورأس العين، فتعاونوا وتشاركوا مع أبناء وأحفاد ابراهيم باشا الملي الذين كانوا يملكون مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية تقدر بثلاثة ملايين دونم: «بحسب سندات التمليك السورية كانت ملكية ورثة ابراهيم باشا في رأس العين وغربها تبلغ ثلاثة ملايين دونم أي ٣٠٠٠٠٠ هكتار نصفها ١٥٠٠٠٠ هكتار قابل للاستصلاح والزراعة.» ص٣٧

لذلك يمكن اعتبار انطلاقة مؤسسة أصفر ونجار الكبرى جاءت بعد الوصول إلى رأس العين: «في عام ١٩٤٢ وصلوا إلى رأس العين حيث وجدوا ينابيع المياه تنبع في المدينة وتسيل وتشكل نهراً سورياً مئة في المئة.» وشكلت شراكتهم مع خليل بيك قيمة مضافة اقتصادية واجتماعية وسياسية: «تعاقدوا مع خليل ابراهيم باشا لتركيب مضخات على عين الزرقا برفع الماء ونقلها عبر السواقي الى الأرض الزراعية المجاورة لزراعة الأرز.» ص٣٠

نمت و تضخّمت مؤسسة أصفر ونجار حتى: «تمكنت من تصدير ما يزيد على ثلاثمئة ألف طن من الشعير ومئة ١٠٠ ألف طن من القمح إلى أوربا. واستوردت الشاحنات والمقطورات للفرع الزراعي وللأسواق المحلية، وكذلك الحصادات والدرّاسات والجرّارات الزراعية وأنواع المعدات وغيرها.» ص٣٣ كما قامت المؤسسة باستصلاح الأراضي، وإنشاء بلدة نموجية زراعية تعاونية يتشارك فيها العاملون في الزراعة مع الملّاك ومؤسسة أصفر ونجار، وترجم ذلك في مشروع بلدة مبروكة الزراعية التعاونية غرب رأس العين...

انتهت المؤسسة بشكل انهيار مفاجئ بعد قرارات التأميم والاصلاح الزراعي بدءاً بالوحدة المصرية – السورية سنة ١٩٥٨، وانتهاءً بترسخ حكم حزب البعث في سوريا، وسيطرته الكاملة على سوريا مجتمعاً واقتصاداً.

جدير بالذكر أن الكاتب / أصغر أبناء العائلة كان قد انخرط في العمل

السياسي، حيث التحق بالتيار العروبي الدمشقي برئاسة شكري القوتلي، وتحالف مع رئيس قبيلة شمر دهام الهادي حتى دخل البرلمان لدورتين في سنة ١٩٤٧، وسنة ١٩٥٤.

هذا ولم يكن في مواقفه السياسية وفيّاً للمجتمعات الكوردية التي دعمته واحتضنت عائلته، سواء في موطنهم الأصلي دياربكر أم في مناطق الجزيرة ، بل كان منحازاً وغير موضوعياً، حيث وصف الحركات الاستقلالية الكوردية – السريانية في الجزيرة خلال سنوات (١٩٣٣-١٩٤٦) بالانفصاليّة والشعوبيّة، وقد عبّر عن هذا الموقف وثبته في كتابه، واصفاً أفراد عائلته بأنهم: «تصدّوا بقوّة وعزم في وجه الزحف الشعوبي الانفصالي، حتى بعد الجلاء وضحوا في سبيل ذلك كثيراً من أموالهم ومصالحهم وعرضوا حياة أفرادهم للخطر من الانتداب مرات عديدة.» ص٣٦

تم مصادرة أملاكهم وتأميمها بين عامي ١٩٦٩ - ١٩٧٠، وهاجرت العائلة من البلاد، وعمل الياس في السعودية حتى آخر مرحلة من عمره.

أدب وفن

١- نصوص: يوميات طفل في رأس العين

٢- قصة: أخي رشاد

٣- فنان ولوحة: ميديا سليمان أمراني

نصوص

يوميات طفل في رأس العين

آرام كره بيت

عين حمزة

مدينة رأس العين قصيدةٌ متجذّرة في لعبة الريح.

كان والدي مسكوناً بحبّ الطبيعة والأرض، يحملنا في الصباحات الصيفية الباكرة المُنعشة إلى هناك، إلى مصبّ الحياة، إلى الينابيع.

يوقظنا من النوم، عندما تكون أجنحة السماء غافية. نضع كلّ مستلزمات الرحلة الصباحية في السيارة، طاولة، جبس، بطيخ بلدي، جبن بلدي، خبزُ تنور تحضّره والدتي قبل مساء، خبز من الفرن، زيتون، مربّى مشمش،

مربّى ورد، تين أو قرع، كرز.

قبل الساعة الخامسة صباحًا ننطلق، عندما يكون الناس نياماً أثناء العطلة، أي يوم الجمعة.

يتحاشى والدي الذهاب عبر وسط المدينة، الشارع الوحيد في رأس العين، الذي يمر عليه جميع الناس ويقسمها إلى قسمين. ويوزّع السكان على بقية الأحياء، فنمر، بعيداً عن عيون الناس حتى لا يستفز المخبرين أو البعثيين الذين كانوا عيون النظام على الشاردة والواردة، وحتى لا يقولوا إن هناك سيارة للدولة فيها أطفال وامرأة، ويستخدمها الموظف للحاجات الخاصة والشخصية. بالرغم من أن والدي كان يطلب إذناً من رئيس المصلحة قبل الذهاب بهذا المشوار بيومٍ واحد، لمسافة تقدّر بأقل من ثلاثة كيلومترات.

ننطلق من البيت مسافة مائتي متر باتجاه الغرب، ثم ندور نحو اليسار، نمر عبر الثكنة الفرنسية القديمة المتموضعة فوق تلة أو مرتفع عن الأرض مسافة بضع مئات من الأمتار ندخل فجأة إلى أن نصل إلى الملعب البلدي المكشوف، فنعبر المطحنة إلى أن نصل إلى الينابيع.

كانت الحياة بسيطة جداً في ذلك الزمن في الستينيات، معجونة بالشهقة الجميلة، فتمرّ كدعابة أو حلم ملون يناجي طيف السماء. في هذا المكان، ترقص بحار المياه العذبة فوق طبقة التراب النائمة، كفاكهة على غصنٍ أخضر. هذا الماء البلّوري يمتد كجذر على الأرض وأشجارها، وفوقه تسطع غمائم السحر وشبابيك الشَّمْس وغابة الحياة.

المكان عذبٌ، ساحر، ولا سحرَ أجمل من ينابيع رأس العين في العالم كله.

مع الأسف كنا نملك أجمل بقعة في هذا العالم. زينة من الطبيعة البكر، وهبتها لنا على طبق من صفصاف. وضيّعناها إلى الأبد.

عندما نصل إلى نبع عين رياض، يوقف والدي السيارة في مكان

مُظلّل بالأشجار، بعيداً عن العيون.

ننزل، وندخل غابة صغيرة عبر ممرٍ مملوء بالأشجار مسافة بضعة أمتار. على امتداد البصر، ماء وينابيع وشجر ونسيم عليل. أخذنا أقرب مكان لنا؛ عين حمزة. نبع دائري، قطره أقل من أربعة أمتار، ينساب منه الماء كشعر صبية جميلة في مقتبل العمر. على الضفة نفرش الطاولة، أو في وسط الماء الرقراق، نجلس على الكراسي أو نفرش بطانية ونجلس على الأرض المعشبة. تقشّر أختي وأمي البطيخ والخيار، وتحضران الفطور. أنزل إلى الماء برفقة والدي، نسبح، العمق لا يتجاوز المتر. عندما أقف أحس بالرمال تدغدغ رجلي وأصابعي. ترقص الرمال الناعمة المدورة تحت تأثير أندفاع الماء من شهوة الأرض، كطفل ولد للتو. ينسحب الماء من جسد الأرض، ويسير فوقها كغطاء من ورد. ويستمر إلى ما نهاية، كنبض وعطاء.

كنت أرى قدمي مكسورة بفعل الماء، والأسماك تلعب بأصابعي، وأرى الماء الصافي العذب يلعب بمسامات الصباح الباكر، يضخ الحياة في شرايين الحياة، ويحتمي في هذا العري الكوني المملوء بالضوء ولعبة الحياة.

لم أكتف بهذا النبع، أقول لوالدي:

ـ أريد أن أذهب إلى نبع رياض، إنها على بعد ستة أمتار. هناك النبع أوسع وأعمق، مفتوح على نبع آخر، أريد أن أسبح في فضاء أكبر.

ينهرني بكلام قاسٍ:

ـ أنت طفلٌ عجول تحب التنقل من مكان لآخر، لا تستطيع البقاء في مكان واحد. ما الفرق بين هذا النبع وذاك؟ نريدك أن تبقى معنا، مع أمك وأخيك وأخواتك. لماذا تحبُّ أن تتميز عنا؟

ـ لقد سبحتُ سابقاً هناك مرات كثيرة. لا أحب هذا النبع، فهو صغير ولا يفي بإمكاناتي كسبّاح ماهر.

ـ هذا هراء، النبع هو النبع، وإذا أخذتك إلى نبع عين حصان ستطلب عين الزرقاء، وإذا أخذت إلى عين عروس، ستطلب عين الكبريت، عين بانوس، عين قطينة. المشكلة فيك وليس في النبع. لا أسمح لك أن تتركنا وتذهب وحدك.

ألا يكفي أنك تقضي معظم أوقاتك بين كرة القدم والسباحة في الينابيع؟ نفطر هنا، ونتمتع بالصفاء والجمال، حيث العصافير والبلابل والطيور تغرد طوال الوقت؟

أرغمني على القبول، قلت لنفسي:

ـ الحياة هنا صافية نقيّة هادئة.

الحقيقة أن بلادنا كانت جميلة في هذه الفترة، الناس بسطاء، قبل العام ١٩٧٠، لم تتلوّث بالطائفية أو الانتماءات المذهبية.

ركبنا السيارة ومررنا بجوار بقية الينابيع التي لا تُعدّ ولا تُحصى، ربما مئات أو أقل أو أكثر. الماء في كل مكان، والماء جارٌ للماء، يغّني له، يغازله، يتزاوجان، وينجبانِ أطفالاً.

وصلنا إلى نبع عين سيروب، كانت العمة سيران، أم سيروب، على علاقة قرابة مع والدي. لم تكن تعرف العربية، بل تتحدث الأَرْمَنية والكردية. استقبلتنا بابتسامة مشرقة، ورحّبت بنا. جلسنا تحت الأشجار، وكانت الشمس قد خرجت من حلمها، ومخبئها وأخذت ترمي بسيول أفراحها علينا.

أخذتنا إلى شجرة عالية قالت لوالدي:

ـ هل لديك المقدرة على هزّ هذه الشجرة؟

وأشارت إلى شجرة المشمش.

قال لها والدي:

ـ بالطبع أستطيع.

في هذه اللحظات اقترب كثير من الأطفال لجني بعض حبّات المشمش أو للصعود إلى أعلى أغصان الأشجار المثمرة.

كانت سيران، امرأة مسنة، تركض وراءهم وتشتمهم بأقدح العبارات، بلغة عربية ركيكة، مضحكة. ويتخلل الشتائم، شتم لنفسها أيضاً، أكثر من شتمها للأطفال، الذين كانوا يهربون منها، ويضحكون عليها.

صعد والدي إلى أعلى الشجرة. وصعدتُ وراءه، بعد أن فرشت والدتي بطانية على الأرض. هزّ والدي الشجرة. وانتقلنا إلى شجرة أخرى. امتلأ المكان بالمشمش، ووضعنا الجني في السيارة بكميات كثيرة.

قال لها والدي:

ـ يجب أن نتوقف. من المؤسف أن لا ننتقل إلى بقية الأشجار، أن نترك هذا المحصول الوفير يتعفن أو يموت على ظله أو على الأرض.

قالت سيران:

ـ أريد أن أتخلّص من المشمش الباقي على الأشجار. الأَطْفال يسببون لي الإزعاج. ارمِ المشمشَ، أرجوك. أريد أن تتعرّى الأشجار من الثمار حتى لايكسّروا الأغصان، هؤلاء الأَطْفال أشرار، ولا أريدهم أن يدخلوا إلى حقلي في غيابي أو إلى نبع الماء الخاص بي.

عين الزرقاء

في الصيف، كنت أذهب مرات كثيرة إلى عين الزرقا، برفقة أصدقائي، تمو ومعمو وقيس وأولاد عبد الرحمن باشا. كان النبع مزنّراً في الأعلى، مقصفه تحته. نمشي خطوات قصيرة لا تتعدى بضعة أمتار، ننزل الدرج، ونشاهد العمال، ونشم رائحة العَرَق، ماركة «بطة بيضاء»، يتناثر في الهواء ويرقص.

عندما كنت أرى انعكاس أشعة الشَّمْس على الماء، يأخذني الحنين إلى الحنين، إلى السماء، إلى تجليّات القدر، ومكامن الجمال.

جمال يأخذ بيدك، ويرحل بك إلى البعيد. جمال بلّوري اللون والسحر، يرفعك من جناحيك، ويشعشع، ويغرز النور والضوء في ذاكرتك، ويضعك في إبداعات الوجود. انظر إلى انعكاس السماء على الزمن، كيف يتكئ انقسام الجنون على بعضه، وتنفتح الألوان على سحرها. ويرقص قلبي على قلبي ويسرحُ بي، يحوّلني إلى طائر، عاشق للأرض، للماء والطبيعة والحياة. النبع شيء من ظلال الوجود والجنون والجلال. إنه مجد الوجود، حجّه، حلم يتداخل في الحلم. طفح من باطن الأرض وجلدها. وينبثق من ذاكرتها، ويضعها في مصاف الآلهة والنجوم والحقيقة.

لم يسمحوا لنا أن نسبح، نتأمل، نحن الأطفال الصغار، العشاق، رسل الفرح، المولودين من رحم الجوهر. الراغبين في دخول جوف الماء والتعمّد برسله ورسائله. نقف على حافة الاستغراب، كاستغراب الوجود للوجود، نرى أسماك الشبوط الطويل والبوري، تتمايل مع تمايل لون الشمس وانقسامها، وانعكاسها على بعضها.

نزلنا إلى تحت، المكان الذي ينثر الماء من النبع، وينهمر في الماء. خرج الماء الصافي من جوف وحطّ رحاله في المجرى والفروع التي تذهب به إلى الخابور. سبحنا هناك، في المكان الضيق، تحت الشلال، ضحكنا وغنينا. في هذا المكان كانت تُرمى بقايا قناني العرق المكسور، وأغطية المياه الغازية وبعض النفايات.

كنا نسبح وننتقل من مكان إلى آخر. أحسست بوخزة وبألمِ اصطدام رجلي اليسرى بشيء حاد. رفعتُ قدمِي، فرأيت دماً قانئاً يلّون الماء. خرجت من الحوض الضيّق، لأسدّ الجرح العميق في منتصف راحة قدمي. خرج الأطفال معي، ومضوا يساعدوني، محاولين إيقاف النزيف. جاء بعض العمال القريبين منّا، وتضامنوا معي، وجلبوا قطعة شاش كبيرة، فربطوا قدمي، بيد أن النزف لم يتوقف، بل بقي الجرح مفتوحاً

وكأنّ لعنة ما حطّت علي.

كنت ألعب كرة القدم بقدمي اليسرى، المكان الذي أضرب فيه الكرة. وتحوّل إلى وجع ونزف.

عرجت مع أصدقائي إلى البيت مسافة كيلو مترين. وبقي الدم نازفاً، والجرح مفتوحاً.

بكت والدتي مطولاً، وعنفتني كثيراً على لجَاجتي، وحيويّتي.

في اليوم الثاني أخذني والدي إلى الطبيب. ضمّدها جيداً، وأعطاني مضاداً حيوياً، إبر بنسلين، كلّف الأمر ثلاثة عشرة ليرة ونصف الليرة، كلها على بعضها مع معاينة الطبيب.

بلدية مدينة رأس العين

في ذلك العام/ ١٩٦٩/ بدأت بلدية رأس العين بحفر الشوارع لتمديد مجاري المياه المالحة تحت الأرض. جلبوا حفارة /باكر/ وحيدة. ومضوا يمدّون القساطل وملحقاتها من الاسبستوس.

أكثر ما أثار اهتمامي هو وجود أكوام من العظام والجماجم البشرية تحت الأرض، على مسافة لا تتعدّى العشرين أوالثلاثين سنتمتراً من سطح الأرض.

كنّا ننام في غرفة تطلّ على الشارع على مسافة متر ونصف المتر، بالقرب من تموضع العظام البشرية المكوّمة. رائحة التربة كانت رائحة عظام، ورائحة الشارع أيضاً. جماجم بالآلاف، سواعد، عظام الفخذ، أصابع اليد، أسنان، مكوّمة فوق بعضها البعض، وكأنّ هذه العظام وصلت إلينا نتيجة معركة كبيرة جَرَتْ على هذه الأرض أو مجزرة حدثت في زمن ما.

أستطيع القول إن مدينة رأس العين متموضعة أو نائمة على تلالٍ من العظام ليس أولها ضاحية الخرابات القائمة في شرقي المدينة على مقربة من سكة القطار، أو في المكان الذي نسكنه على مسافة لا تتجاوز بضع مئات من الأمتار من الحدود التركية.

كنتُ، مع بقية الأَطْفال من عمري نسير مع الحفارة /الباكر/ نتحرك مع دلوه أينما ذهب. العظام المفتتة ترمى على الجانبين من الشارع.

كنت أقول لنفسي:

ـ عظام من هذه؟ من هم هؤلاء الضحايا؟ لماذا لم يذكر كتب التاريخ شيئًا عنهم؟ أم أن ذاكرة بلادنا ميّتة؟

مرات كثيرة كنت أقف مع تمو ومعمو الباشات فوق العظام، ونتحدث عن الأموات. كنت أسْتغربُ هذا الكم الهائل من المخزون الثقافي في عقولهم عن الموت وعذاب القبر ومجيء عزرائيل وجبرائيل وبيدهما العصا، ويُفرزان المؤمنين عن الكفار.

كنت أَتَساءَل:

لماذا هذه الثقافة المخيفة محشوة في عقول أطفال مثلي؟ ولمصلحة مَن يتم استثمار هذا الخوف الربّاني؟

وعندما كبرتُ، علمت أن هذه الثقافة توارثها الناس عبر أئمة دجالين ليس لهم هم إلا تخويف الناس ليبقوا خاضعين، صاغرين لإرادة رجال السياسة ورجال الدين المنافقين.

سألت أبي مرّةً عن عذاب القبر، فقال:

ـ هذا كلام فارغ، لم يأت إنسان من بين الأموات، أو حدّثنا عن أوجاعه.

وأردف:

ـ مَنْ مَات فات. لا تعطِ أذنك لهذه الخرافة الفارغة.

كان الملّاكون الكبار، نساءهم وأبناءهم، صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثًا قد

تركـوا البـلاد وهربـوا بأجسـادهم وكأنهـم فـصّ ملـح وذاب.

تركـوا كل شـيء وراءهـم، بيوتهـم، أملاكهـم، الخطـط والبرامـج الطويلـة لاسـتثمار البـلاد وتنشـيط دورتهـا الاقتصاديـة، بعـد أن صادرتهـا دولـة البعـث.

وكأنّ السـلطة الجديـدة كانـت فـي حالـة حـرب معهـم. وهكـذا، دفعـة واحـدة وبجـرّة قلـم حـدثَ تغييـر جـذريّ فـي المُلكيـة وتوزيعهـا وبعثرتهـا وتشـظّيها إلـى قطـع صغيـرة لتسـهيل هضـم القـوى التـي حـازت علـى الأرض كانتفـاع أو حيـازة دون سـند ملكيـة أو ضمـان بعـدم أخذهـا مـرة ثانيـة.

لـم يكـن لـدى القـوى القديمـة القـدرة علـى الرفـض أو الاعتـراض لهشاشـة قواهـا أو تمثيلهـا السياسـي.

وهكـذا تبـرز الأيـام موحشـة، متعبـة. لقـد زرع العسـكر الخـوف والرعـب فـي طـول البـلاد وعرضهـا. لا أعـرف مشـاعر الذيـن تخلّـوا عـن أراضيهـم تحـت سـطوة القـوة، عـن حياتهـم ونبـض العيـش فـي مـكان وجودهـم. لكـن مـا أعرفـه أنهـم خسـروا بضربـة واحـدة كل شـيء وإلـى الأبـد. ومـن دون تعويـض.

قصة

أخي رشاد

للكاتب: يونس بهرام
ترجمها من الألمانية إلى العربية: يوسف عبدي

كلَّما تذَّكرتُ أخي رشاد تغالبني الدموع بغير إرادة ... كان رشاد أَوَّلَ مَنْ عانقني في الظلام حين ودَّعتهم ليلاً وعبرتُ نهر دجلة، وهو مَنْ يعيلُ الأسرةَ لوحده منذ أمدٍ طويل!

أخي رشاد ذلك الشاب الذي كان ينتفضُ قوةً وحيوية، لم يعد كذلك الآن ... بل أنه لن يعود إلى سالف عهده أبداً، فالإصابات تملأ جسده والعلل نخرت صحّته وأفقدته عافيته؛ وسبب ذلك يعود إلى السبعينات.

في ذلك الوقت كان الزعيم الكردي مصطفى البارزاني يشكل أحد مقدساتنا القومية، ولا يجوز لأحد الانتقاص من مكانته أو المساس بقدسيّته؛ فالبارزاني لم يكن يناضل لتحرير جزء من كردستان فقط، بل كان يسعى

لتحقيق حرية كردستان كلها، ولهذا فإن حبّنا وولاءنا له يفوق كل شيء.

مع قدوم موسم قطاف القطن كانت الأسرة تخرج إلى حقل القطن البعيد على ضفاف الخابور وبين خضرة الأرض الطيبة، وتسكن في كوخٍ صغير محاطٍ بسياج من أشجار الحور الطويلة، كما أن شجرة التوت الكبيرة مازالت تسدل بأغصانها المتدلية على سطح الكوخ بجانب الحقل.

كان حقل موسى الشيشاني يجاور حقلنا، وموسى هذا عضو في حزب البعث الحاكم؛ ولا أدري لماذا كان يحقد علينا أشدَّ الحقد، ويحاول الإساءة إلينا بشتّى الوسائل!

كان لديه كلب سمّاه (بورز)، ولكننا حين نمرُّ أمام كوخه فإنه يتقصَّد أن ينادي كلبه باسم (بارزان) ممّا ولَّدَ غضباً عظيماً في نفسي.

حين مرَّ أخي رشاد يوماً بجانب كوخه صاح موسى كلبه: بارزان! توقف رشاد وقال له:

ـ أعتقد أنَّ كلبك اسمه بورز وليس بارزان.

فردَّ هذا بكل تعجرف:

ـ إنني اسمّي كلبي ما أشاء! وهجمَ على أخي رشاد الذي قال له :

ـ لن أرفع يدي على رجلٍ في عمر والدي، فإن كنت تريد العراك أرسلْ لي أولادك وأنا أتفاهم معهم .

وحين جاء ولداه أشبعهما رشاد ضرباً وبكل ما يملك من قوة؛ فامتلأ قلب موسى الشيشاني حقداً وقرّرَ الثأر، وتوجّه بعد أيام إلى أحمد في قرية (سري كانيه) الذي كان من جواسيس المنطقة ومقرباً من سلطات الأمن، وبمساعدته استطاع أن يشكوه للسلطات .

لم يذكر في الشكوى أنَّ رشاد قد ضرب ولديه، بل ادّعى أنه قد سخر من الدولة وقام بتوزيع منشورات حزبية في القرية تحرّضُ الناس ضد الحكومة .

في إحدى الأمسيات كانت أمي تقوم بتحضير العشاء في الكوخ وكان أبي جالساً على لبنة عند عتبة الباب يلفُّ سيجارته من تبغ (خورسى)، ويقوم رشاد بتزييت عجلات العربة ... فجأةً توقفت سيارة جيب عسكرية أمام الكوخ بعد أن أثارت زوبعةً من الغبار لتكسر الهدوء المخيم على الحقول، ونزل منها أربعة رجال مسلحين بينهم مسؤول مفرزة الأمن في (سرى كانيه) الذي صرخ :

ـ مَن منكم رشاد؟

عندما عرَّف رشاد عن نفسه اقتربَ منه رجل الأمن وشدَّه من شواربه:

ـ سوف نقتلع شواربك هذه شعرةً شعرة، كيف تتجرّأُ وتسخرُ من الحكومة وتشتم القادة وأنت لا تتعدى سوى أن تكون كلباً .

إن مَن يشدَّ شوارب الرجال فقد أهان كرامتهم، فما كان من رشاد إلا أن أمسك بيد الرجل وشدَّهُ ثمَّ أوقعه أرضاً؛ فانهال كلهم على رأسه بمؤخرة أسلحتهم حتى وقع فاقداً الوعي .

ترجّاهم والدي:

ـ ماذا تريدون من ولدي، إنه لم يرتكب ذنباً ...

فردّوا عليه:

ـ إنك لا تعرف شيئاً أيها العجوز، ابنك لا يستحق الحياة فهو يعمل لحساب الأحزاب المحظورة، وإذا كنت تريد أن ترافقه فلا مانع لدينا لأننا نحبُّ هذه التسلية كثيراً .

ثم ربطوا يدي رشاد وعلَّقوه بمؤخرة السيارة وجرُّوه خلفهم بوحشية، فارتفعت صرخات أمي من داخل الكوخ:

ـ يا إلهي! لقد أخذوا ابني، أخذوه وحيداً .

وقف أبي على مفارق الطرق رافعاً يديه بالدعاء لا يدري ما يفعله، فأولئك المجرمون لم يحترموا كبر سنه.

خيَّم الليل وهبّتْ نسمات باردة من الخابور ... كان عواء الذئاب يتردّدُ في كلّ الجهات ... لم يكن رشاد يرتدي سترة تقيه من البرد، وقد ربطوه بتلك السيارة ولا نعرف إلى أين .

عند استجوابه اتهموه بأنه قام بكتابة وتوزيع منشورات سياسية ضد الدولة، فأنكر رشاد ذلك وأكّد لهم أنه لا يعرف القراءة والكتابة فقالوا له:

ـ سوف نعلمك كيف تقول الحقيقة !

وتم تعذيبه بقسوة، ثم ربطوه مرة أخرى بتلك السيارة وجرّوه خلفهم على ظهره مسافة سبعة كيلومترات من قرية (عريشا) حتى (سري كانيه)، وتركوه مرمياً على قارعة الطريق حتى وجده أحد الفلاحين العرب؛ فنقله بجرّاره إلى المستشفى .

كانت الجروح التي تملأ ظهره بليغة جداً فاللحم انسلخ عن العظم، ولكنه لم يستطع البقاء في المشفى أكثر من يوم واحد لأنه لا يملك هويّة شخصية، ومَن لا يملك الهويّة الشخصية (كما هو حال العديد من كرد المنطقة) فلا يحق له النوم في المشفى مهما كانت حالته خطرة .

بقي أخي رشاد يتلقى العلاج لمدة ثلاثة أشهر، وكانت العائلة توفِّر ما أمكن من طعامها وثيابها لتوفير الأودية اللازمة لعلاجه وإنقاذه من الموت .

كان كل ذنب رشاد أنه أحب بطلاً كردياً أرادوا مساواته مع كلب موسى!

فنان ولوحة

ميديا سليمان أمراني

ميديا سليمان أمراني نازحة من مدينة سري كانيه، بدأت بالرسم كهواية وحبّاً للالوان لا أكثر، كنت أرسم طبيعة صامتة واقتبس بعض اللوحات التي تثير اهتمامي، بعد النزوح وما تلاه من أسى وآلام كانت محاولاتي بالحفاظ على ما أحمله في قلبي وذاكرتي من ملامح لمدينتي بطرقاتها، أزقّتها، مبانيها وسكانها وحتى رائحة المكان، خصوصاً حينما وجدت نفسي أمام أعوام تتالى من الانتظار والبعد ومن شعوري بالخوف بأننا يوماً عن يوم نفقد جزءً منا، فبدأت باستحضار تلك التفاصيل في لوحاتي ورسم جزيئات مدينتي وبيتي، وتلك الأروح العزيزة التي فقدتها بسبب الحرب محاولةً أرشفة ذاكرةٍ على وشك النسيان، علّني أكوّن جزءً من بقاء حياة شعبٍ لطالما كلّ أمانيه هي العودة إلى مدينته أو حتى الدفن بترابها، وليتذكّر كلّ طفل رضع بعيداً عنها أنها سري كانيه وأنها باقية.

حالياً أعمل في مركز مالفا للفنون والثقافة، وأسعى لنشر أهمية دور الفن والفنان في بقاء الشعوب، لأنّ ريشة الفنان قادرة على رسم خارطة البقاء، ووحده القادر أن يلّون دخان المدافع لتكوّن غيوم أمل منتظرة، ويجعل من لون الدم ذاته لون الحب الذي يدفعنا لنمضي ونحن نحمل في قلوبنا سري كانيه بقداستها، ليراهن في لوحاته أن المكان يمتلك الشوق ذاته لساكنيه، فالفن يتجاوز الزمن ويخلق للحياة معنى.

الفهرس

الافتتاحية		
مِن ينابيعِ السلامِ إلى جريمةِ «نبعِ السلام»	أسرة التَّحرير	٤
منطقة سري كانيه/رأس العين في ظل احتلال تركيا		
أولاً: جوانب تاريخية واجتماعية		
رأس العين – Serê kaniyê... توأمُ الحضارةِ والتاريخِ	محمد جزّاع	٩
مسيحيّو بيث نهرين في عهد الإتحاد المللي	إعداد: أنطون قس جبرائيل	١٨
لمحة عن تاريخ سري كانيه Serê kaniyê/ رأس العين	علي شيخو برازي	٤١
ملحمة درويشي عفدي (الجغرافيا، المكان، الفضاء)	عبد الناصر حسو	٥٣
لمحة عن التاريخ الحديث لمدينة سري كانيه/رأس العين عروسة الجزيرة	عبد العزيز محمد أيو	٦٩
رأس العين في بعض وثائق الأرشيف العثماني (ملحق وثائقي)	إعداد: بدرخان علي	٨٠
ثانياً: سري كانيه/ رأس العين تحت احتلال الدولة التركية		
السياسة التركية وأهداف العدوان على سري كانيه/ راس العين Serê kaniyê	فارس عثمان	٩٩
سري كانيه/ رأس العين.. قربانٌ كردي للتاريخ وا لجغرا فيا	عبد الحليم سليمان	١٠٧
النساء والحرب: الصرخات المكتومة لنساء سري كانيه/راس العين	دلشا أيو	١١٣
أقليّة على حافة الانقراض: «سري كانيه/رأس العين» والفصل الأخير في إبادة الإيزيديين	أحمد قطمة	١٢٠
«غصن الزيتون ونبع السلام»... جرائم حرب وانتهاكات ممنهجة في ضوء القانون الدولي	محي الدين عيسو	١٢٧

الأربعاء الأسود: يوم احتلّوا بيوتنا	زكي حجي	١٣٤
سري كانيه.. أيقونة الجزيرة	شيرا أوسي	١٣٨
حوارات		
الشخصية الوطنية الكردية المعروفة عمر عفدكي	أجرى الحوار: نواف بشار عبد الله	١٤٢
الناشط والكاتب يونس بهرم	أجرى الحوار: رئيس التحرير	١٥٣
شخصيات كردية		
يوسف شيخو برازي (بي بهار/Bêbuhar)	آزاد برازي	١٦٥
قراءة في الكتب والمطبوعات والوثائق		
كتاب: عائلة أصفر ونجار للكاتب: الياس سعيد نجار	د. آزاد أحمد علي	١٧٠
أدب وفن		
نصوص: يوميات طفل في رأس العين	آرام كره بيت	١٧٥
قصة: أخي رشاد	للكاتب: يونس بهرام	١٨٤
فنان ولوحة: ميديا سليمان أمراني		١٨٨

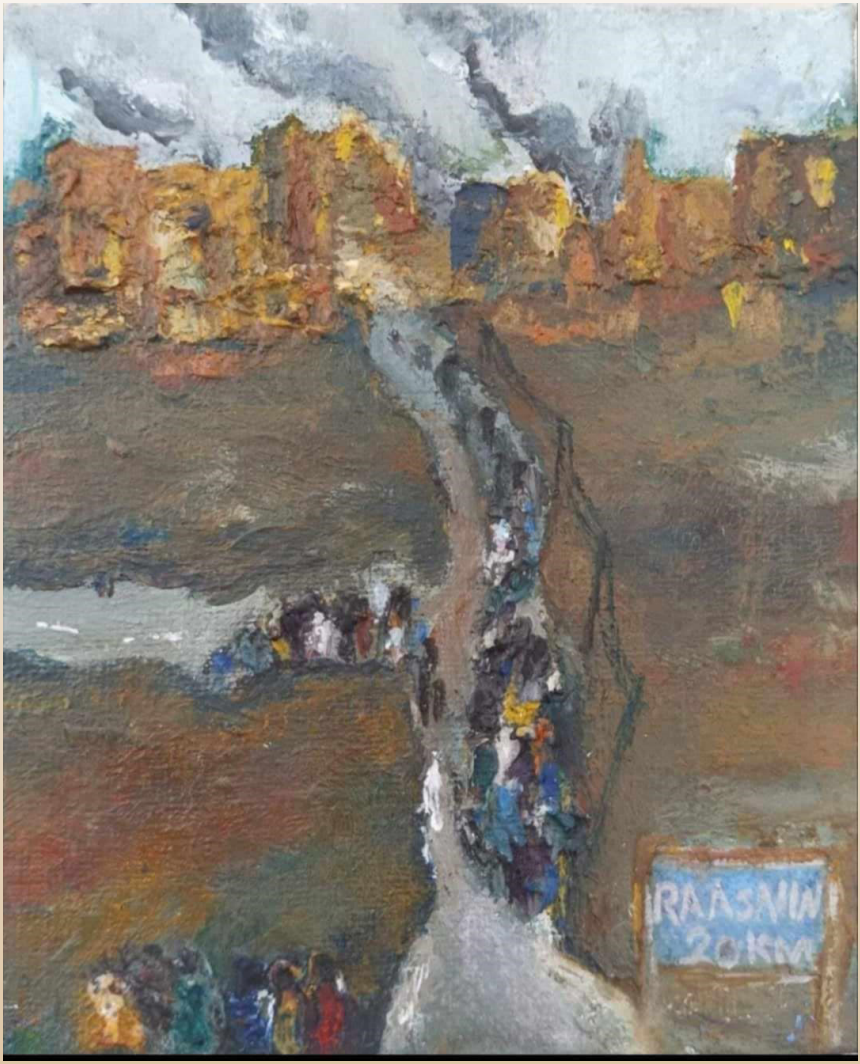
RAASAIN
20KM